حوار مع هؤلاء

مازن النقيب

طبعة أولى ١٩٩٦

الرقم الدولي
٩٧٧-٢٨٦-٠/٣-٩

رقم الايداع
٩٦/١١٨٢٠

الإهــــداء

إلى روح أمي وروح كل أم عظيمة في بلادي أنجبت رجالاً شرفاء يؤمنون بتحرير الأرض والإنسان العربي وتحقيق وحدتنا الكبرى من المحيط إلى الخليج ..

هـــذا الكتـــاب

١- عرف الصديق مازن النقيب خلال حياته العملية الغنية والطويلة أنماطاً من الناس ، وعايش كثيراً من الكتاب والشعراء والفنانين ورجال السياسة الذين أعطوا أمتهم العربية جهدهم وحياتهم ودمهم ، وضحوا في سبيل تقدم هذه الأمة ورفعتها وتحررها ، وكانت له مع كل منهم وقفة بل وقفات ، تخللها حديث أو حوار ، وربما جرى فيها نقاش ، كان مازن فيه المحدث والمحاور والمناقش الذي يستهدف الحقيقة ، عن طريق الولوج إلى أعمق أعماق من يحاوره ، وسبر غوره وكشف أسراره ، والخروج بإضاءات كاشفة ، توضح معالمه وتنبئ عن شخصيته ، وتبسط موهبته أمام الناس بسطاً ، وتنير لهم الدرب إلى معرفة تتعدى الظاهر المرئي أو المسموع أو المقروء .

هذه الوقفات المتأنية ، أثراها الزمن المتعاقب ، فغدت شهادات لا تدل على الشخصيات الفكرية أو السياسية أو الأدبية التي حاورها مازن فحسب ، بل تدل على مراحل من التاريخ المعاصر لعبت هذه الشخصيات أدواراً فعالة بلغت أحيانا من القوة إلى حد مشاركتها في المتغيرات التي حدثت على سطح أو في عمق الحياة العربية الثرة والمورّارة بالأحداث منذ الخمسينات وحتى اليوم .

٢- هذا كتاب ممتع إذاً ، وتجئ متعته من تنوع المحاورين وتنوع ميادينهم واهتماماتهم ، فمن السياسي العربي الذي يشارك

في الثورة إلى الشاعر الذي عبر عن هموم شعب ومعاناته إلى المنظر الذي ما تزال نظرياته تصول وتجول بين ظهرانينا : إلى الأديب الذي أثرى الحياة الأدبية خلال نصف قرن ، إلى الإذاعي الذي كانت تخفق الأفئدة لكلماته من المحيط إلى الخليج ، كل هؤلاء وغيرهم .. يضمهم هذا الكتاب بين دفتيه ، أي أنه يضم نماذج وأنماطاً من المشاهير العرب ، ممن كان لمازن وقفات طويلة معهم .

إن الدخول إلى تفاصيل هذه اللقاءات ، يفسد على القارئ العربي متعة كشف الشخصية ، التي تجعل منه مشاركاً في الفعل ، أي فعالاً في استحضار الشخصية التاريخية التي بين يديها : لا على ضوء ما يقدمه مازن في كتابه فحسب ، بل على ضوء ما يتذكره هو شخصياً عنها من خلال رحلة الحياة، فلكم يلزمنا أن نعرف عن معاصرينا أكثر مما نعرفه عنهم عن طريق وسائل الإيصال والإعلام المعاصرة ، وهذا الكتاب يتيح لنا هذه المعرفة ، كما يتيح لنا أن نعقد مقارنات بين صور الشخصيات في أذهاننا ، وصورها كما هي في الواقع ، أو على الأقل كما اعتصرها مازن النقيب.

وأملي بعد أن يكون هذا الكتاب متعة للقارئ ، وشهادة وتاريخاً وحواراً خلاقاً يثري ، ويكشف ويدفع ويحرض .

دمشق في كانون الثاني ١٩٩٦

عادل أبو شنب

كلمـــة في البـــدء :

لم يعد جديـداً أن نصـف الوجـع العربـي الراهـن ، ولم يعـد مجدياً ، أن نمسك الجسد العربي ، لنجلده بالتهم .

ولم يعد الكلام على المأساة التي دخلت النخـاع العربـي إلا عزفاً رتيباً لمناحة امتد حزنها على قارعة جيل كامل .

هكذا : مازلنا نسمع ونقرأ مسلسل التشكي والتظلم الدائـم كأن العالم كله، أصبح بالنسبة لبعض العرب ، حائط مبكى .

فـالحق دائمـاً علـى سـوانا ونحـن ضحيـة العصـر الحديـث بامتياز.

فلنخرج من هذا اللامنطق ، ولنـترك جانبـاً هـذا اللامعقـول ولنعد إلى تأكيد بعض الحقائق السياسية ، ولنبحث عن عمق المشكلة التي لم يتلمسها العقد النقدي العربي .

نستدرك لأن بعض هذه الحقائق ، يتحـول إلى وهـم عربـي، ويصير التعامل معها بأسلوب كارثي ، منها : بما أن أمريكا هي القوة فلنتجاهلهـا أو نحيدهـا ، أو فلندفـع الآخريـن ليقفـوا في وجههـا ، أو فلنقـم علاقـات جيـدة وممتـازة مـع أوروبـا وحتـى مـع الصين كـي تساعدنا على أمريكا .

هذا وهم لا يمكن التحدث فيه ، ولا يجوز الركون إليه ، إذن كيف نخرج من مأزق التعامل مع قـوة عظمـى تجـرب كافـة الحجـج ضدنا ، هل يعني أن نيأس من حقوقنا ؟ لعل بعض هذا ساء فعـلاً في

السابق فخسرنا كثيراً في السياسة ، ما لم يستطع العدو أن يكسبه بحروبه المتكررة ، فلنعد إلى البديهيات والحقائق التي تخصنا:

" إن التخلي عن حقوقنا ، وترك العدو يعبث بمصيرنا ، غير ممكن ، ولا يجوز.

أن نتخيل إن إسرائيل هي الموت السريع عبر ذاته ، أمر غير ممكن ، ولا يجوز.

لذلك ، فمن العناد أن ترى الحل في الاستسلام ، أو في منطق استرداد الحقوق من القبضة الإسرائيلية ، عبر الواسطة الأمريكية .. علينا أن لا نصدق أمريكا ، وهي تشاركنا عدونا التراث .

علينا أن لا نصدق أن أحداً يستطيع أن يحل مكاننا ، ولا أحد سيسمح لنا بالوجود في ظل المعادلة الدولية ، إن لم نكن أقوياء، فإسرائيل بكل حاجة أمريكا إليها ، لا تستطيع أن تخترق المعادلة الدولية ،والتوازن الدولي ، بل جل ما تستطيعه وبدعم من حليفتها ، أن تستفيد من الخلخلة الطبيعية في هذه الميزات .

فلندخل إلى هذه الذات ، فماذا نرى ؟

إن بعضا من ذاتنا هو أمريكا ، ولنقل بوضوح أكثر ، إن ذاتنا هي أمريكا ".. وأن بعضا من ذاتنا هو إسرائيل ، أو لنقل بوضوح فج ، إن ذاتنا هي الوهم الإسرائيلي ، وإذا توغلنا في ذاتنا العربية رأينا لسنا نحن ، فذاتنا مصابة بالفرقة، إنها مصابة بالتخلف أي أنها ضد ذاتها ، كأنها تجر نفسها باتجاه الماضي ، بدل أن تقودها أقدامها باتجاه المستقبل ، وذاتنا مصابة أيضاً بالجهل .فهي لا تعرف

ماهيتها ، كينونتها ، وقوتها ومناطق ضعفها ، لا تعرف إرثها وواقعها ، إنها في غياب عن علمها ، أو هي الذات التي غابت عن ذاتها ، فكيف تعرف هذه الغائبة ذاتها؟

فالعلة ليست في الآخرين ، بل إن العلة كامنة في هذه الذات التي شرعت وجودها ، لكل الآخرين ، ولكل الأهواء ، ولكل المطامع فباتت كل شيء إلا ذاتها.

نعم ، إن أمريكا ، هي جزء من العقل العربي السائد ، وإسرائيل جزء من الوهم اللاعقلاني السائد ، مع أن أطفال الحجارة، علموا الحاضرين اليوم كيف يمكن التعامل مع منطق العدو .

قلنا لكن لأننا ندرك أن من أصيب بغياب ذاته الحقيقية، فكل الحقائق السياسية ، والبديهيات الدولية ، والحقوق القومية ، تصير ضده ، ومن صار يفكر أمريكيا ، ولا يريد من المسألة إلا النفاذ إلى البصيرة الأمريكية، لابد أنه مصاب بالعمى السياسي ، واصل هذا العمى العجز الذي أصاب الذات .

قيل : " ما ضاع حق وراءه مطالب" والعرب يطالبون ، فما أجمل هذا القول، وما اقبح ذاك العقل ! يطالبون من ؟ فليطلب صاحب الحق من ذاته ، فليس يرتجى ممن هضم الحق أن يعيده ، وليس يعقل ، أن نطلب من صديق أن يحارب عنا، ليستعيد لنا حقا.. لقد طالب العرب ، أكثر من ٤٨ عاماً ، و لم يحصلوا على حبة خردل من حقوقهم ، والسبب، ليس في ظلم الآخرين ، بل في ظلم ذوي القربى .

على الرغم من كل ذلك ، كيف ننظر إلى المستقبل ؟

لسنا نرى بعين التشاؤم ، فتلـك العين مصابـة بلوثـة العمـى ولسـنا نـرى بعـين التفـاؤل الكـاذب ، فتلـك العـين ملوثـة بانتهازيـة مفضوحـة .. إننـا نـرى أن نتفـاءل بـإرادة الحضـارة . أي بـالدور الحضاري ، وذلك لكي نقيم مواجهة حضارية مع الولايـات المتحـدة الأمريكية ، وعندهـا يكـون العـالم معنـا ، وإلى جانبنـا ، فـإذا كـانت الولايات المتحدة الأمريكية قد ميزتها حضارة التكنولوجيا، فإن العالم الذي يقف في غيبة عن هذه الحضارة هـو معنـى أن يقـف مـع الحـق العربي ، ليسجل ، وجودا إنسانيا يستوعب شرور الحداثة في الحضارة الأمريكية الشاذة

هذا التفاؤل بهذا الدور ، هو تفـاؤل تـاريخي ، يشـدد علـى المستقبل ، لأن معطيات الحاضر ، لا تسمح بأكثر من أن نكون علـى المستوى الفعلي ، من دعاة عدم تصديق الحلول السـحرية أو الحلـول الكاذبة التي تبخر لها السموم الولايات المتحدة الأمريكية .

أول الكـلام إذن : المسـتقبل رهـن إشـارة دورنـا الحضـاري وآخر الكلام إذن / نستحلفكم بأمريكا أن لا تصدقوهـا أبـدا ، فـإن صدقناها اليوم ، ألغينا المستقبل الذي سنعجز عن صنعه ، فبين الرهان الحاضر ، والرهان على المستقبل اخترنا الرهان الثاني وسنربح الرهان.

تمهيد

العنق العربي مطلوب عبر أجيال وأجيال ، والأرض العربية مطالبة بتغيير اسمها ووصفها وأهلها ، والحق العربي مطالب بالرحيل خلف البحر الأبيض المتوسط والى القارتين الأمريكتين ، والى القارة الأوروبية .

هذا هو ملخص شريط الزمان عبر المكان العربي ومن خلال حركة التاريخ ، الأرض العربية لها سحر خاص ، حيث تشكل ذلك القلب الموصل للحياة إلى كل القارات ، فهي تحمل كنوز الذهب الأبيض والأسود وكنوز التراث الحضاري القابع في أحضان السهول والجبال والصحراء الممتدة الشاسعة .

الأرض العربية تحتل الموقع الاستراتيجي الهام من حيث المفهوم العسكري أو المفهوم السياسي أو المفهوم الحضاري .

الأرض العربية مركز إشعاع حضاري على مر الزمن ، ولو أنها قد مرت بفترة رحيل لهذا الشعاع ، وهي مفاتيح القارات .

من هذه النظرة نعرف لماذا تحولت الحروب الصليبية إلى غزو عثماني وتلاه الغزو الأوروبي الجديد ، وتلاه الغزو الإسرائيلي الاستعماري الصهيوني وبالتالي تلاه مخفر الحراسة المتقدم - إسرائيل- التي سرقت الأرض وطردت الإنسان ونهبت الحقوق.

لم تكن الأرض العربية وحدها المطالبة ، بل ذلك الإنسان العربي الملتحم معها على مر العصور والذي بتلاحمه وتفانيه ونضاله

قد شكل ذلك الشريط الحضاري الهائل والذي تربع معظم صفحات التاريخ .

من هذه النظرة نعرف لماذا ولد التناقض الدائم بين وحدة الأرض والإنسان والتراث كطرف ، يقابلها مغايراً أو معاديا الطرف النقيض ، وهو الغزو القادم من خارج هذه الأرض.

الحضارة باقية معطاءة ، والإنسان العربي باق فوق الأرض يمدها بالدفء واليخضور والمياه ، ومن خلال عناقه الأبدي بينه وبين هذه الأرض نشأت حضارته المادية والروحية ومن خلال حركته الإيجابية فكرا وساعدا وقدرة ، ولدت له تلك الحقوق وذلك الإرث العظيم الكبير .

نعم التناقض دائم بينه وبين هؤلاء الأعداء الذين ينظرون إلى بريق الشعاع الحضاري فيظنون أن سرقة الشعاع يعم على أرضهم ذلك الضياء ، وذلك العمق في البصيرة .

أيضاً تمت سرقة هذه الحضارة المشغولة عبر أقنية تجارية أو اقتصادية أو ثقافية أو بكل هذه الأشكال معاً .

لكن ماذا كان يحدث باستمرار .. ؟

هذا هو السؤال ، وإن الإجابة عليه تعطينا قبس نور وتحدد لنا أفق الرواية للحاضر والمستقبل من خلال تلك القوانين التي تحكمت في مسيرة التاريخ .

كان يحدث باستمرار ذلك الصدام سواء المباشر أو غير المباشر بين الإنسان العربي الملتحم مع أرضه وحقوقه وتراثه ، وبين

عودة الغازي الذي جاء للنهب أو السلب أو امتصاص الحضارة أو الاستعمار المباشر .

لم تهدأ جذوة الحرب في أرض العرب على مدى التاريخ، ومن خلال هذه الحروب كان الإنسان العربي مدافعا وحاميا ومتصدياً لهؤلاء الغزاة أعداء الإنسان أعداء الحضارة أعداء الحق .

ماذا نستنتج إذن من هذا التاريخ اللاهب ؟

إننا نستنتج ان الإنسان العربي على مر التاريخ كانت صناعته بناء الحضارة الإنسانية في عمقيها المادي والمعنوي ، وبالوقت نفسه الدفاع عنها بكل ما يملك ولو أدى ذلك إلى حياته .

وإرادة الشعب في بناء حضارته وحمايتها هي إرادة تاريخية في وظيفة تاريخية فمن المستحيل إذن سحب هذه الإرادة مهما كانت الأسباب ومهما كانت الأساليب الإرادة في البناء والحماية هي فوق مستطاع الغزو بكل أشكاله وعذابه وألوانه الشريرة ، فوق رؤى المخططات المعادية لهذه الإرادة ، فوق المبشرين بقتلها إذن لا يمكن لغزو أن يستقر ولا يمكن لجهل أو استبداد أو استعمار أو استيطان مسلح أن يبقى ، لا يمكن تغليف هذا الغزو سواء الإمبريالي أو الاستعماري أو الصهيوني أو الإسرائيلي بأي وسيلة لأن عمق التجربة عمق النضال عمق العطاء لهذه الأمة العربية فوق هؤلاء .

لن أبحر كثيراً في هذا المجال فبحر التاريخ لا شطآن له ، لا ميناء استقرار ، بل إبحار وابحار.

سأعود الآن لكي أتحدث عن حقبة قصيرة ، عن مسافة زمنية مصيرية لعمق التاريخ ،وهذه المسافة الزمنية هي الـتي تبدأ من عام ١٩٤٨ وحتى عامنا الحالي.

ترى ماذا يمكن أن نلتقط من نقاط بارزة على الطريق ؟

ماذا يمكن لأخذ درس أو موعظة أو رؤيا ..؟

تبدأ هذه المرحلة الزمنية عبر جزيرة صغيرة تكاد تكون منسية وسط أمواج البحر الأبيض المتوسط تدعى رودس حيث أضاءت أنوار قصر الورود أبعاد ذلك البحر لكي تصل إليه قوارب الهاربين من حركة التاريخ بحثا عن أوراق وتواقيع وأختام باسم اتفاقية الهدنة ، الأرض العربية من أغلى أجزائها تسرق أمام أعين الأمم وأمام ممثليها في هيئة الأمم المتحدة وأقصد - أرض فلسطين -

والإنسان العربي الفلسطيني يطرد من أرضه وتسرق حقوقه وأملاكه وتسحب بالقوة شرايينه الحضارية بالأرض ، حيث استقر بها غزاة جدد جاءوا بثوب كاهن عبري جاء من خيال التوراة وفق خرافة التاريخ ، أما مضمونهم وأسلوب ممارساتهم ورؤيتهم السياسية والاقتصادية والأمنية فإنها تصب في خانة الاستعمار والإمبريالية .

وبصورة أدق لقد جاء الغزاة الجدد لكي يشكلوا مخفر حراسة متقدم يستعد في أي لحظة للوثوب في وجه بوادر الوحدة العربية وبوادر الحضارة العربية وبوادر الثورة العربية من النوافذ المطلة على البحر .

كان ممثل الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة - رالف بانش - يوزع نظرة على شفاه اليابسة العربية وبصفته الوسيط الدولي بين العرب واليهود .

لن أطيل الحديث فلقد انتهت الوليمة بانتهاء التوقيع على وليمة الهدنة وظن الجميع أن الأرض والحق والإنسان مع الزمن سوف تتبعثر هوياتهم وتضيع ويصبح الوجود الاحتلالي الاستعماري هو الصفة الحقيقية والشرعية والمتعارف عليها فوق اليابسة ، لقد صفق الجميع وتعانقوا لأن اتفاقية الهدنة قد تمت ، ومعنى ذلك أن السلام سيعم فوق الأرض المسروقة وان الإنسان العربي الفلسطيني المطرود سوف يهجر الذكريات وينسى تاريخه وحياته ويلقي بعيدا آماله بالعودة .

ماذا حدث عبر شريط الزمان العربي ؟

لقد ازداد أمل الإنسان العربي في عودة الأرض ، عودة الحقوق وعودة الإنسان ، وازداد تمسك الإنسان العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه وسلطته لقد انفصل وقتها - القادة عن الجماهير - قادة الأنظمة - يريدون الهدنة - والجماهير تريد رفض الهدنة ومتابعة النضال ولو بحمل العصي والحجارة ، وهذا التناقض كان سببا في عدم توقيع كل الدول العربية المواجهة دفعة واحدة ، بل على مراحل امتدت أكثر من سنة ونيف ولقد ابتدأت الهدنة بين إسرائيل وحكام مصر آنذاك .

المسافة الزمنية قصيرة بين جزيرة رودس وكامب ديفيد ، ولقد حملت هذه الفترة محطات متقاربة ، ولكن ما هو وجه الشبه في هذه المحطات ؟

أول الشبه :

إن إسرائيل كانت تبحث عن عزل شعبنا العربي في مصر عن خط النار ومحاولة إجراء اتفاق منفرد بينها وبين حكام مصر كما حدث في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في الثالث عشر منن كانون الثاني عام ١٩٤٩ حيث جلس وفد حكام مصر المؤلف من :

القائمقام محمد كامل عبد الرحمن ، القائمقام إسماعيل شيرين المستشار القانوني محمد كامل ولقد تم التوقيع على الاتفاقية تحت مظلة أميركا وتحت إشراف مندوب هيئة الأمم المتحدة –رالف بانش – والجنرال – رايلي – كبير مراقبي الهدنة وحصلت إسرائيل على ما تريده .

أما الشبه الثاني :

في المحطات فهو التركيز على انفراد كل دولة عربية لوحدها وبذلك تضعف قوة العرب في الحوار .

الشبه الثالث :

هو انحراف بنود الاتفاقيات بالغموض والضياع ومحاولة الفرار من جدول زمني أو تمديد مكاني دقيق ومحاولة طمس كل ما يقيد حركتها أو أهدافها .

الشبه الرابع :

ربط الاتفاقيات بالمظلة الأمير كية وتحريك الحوار بمندوبين دوليين ، وذلك لتعميم الشرعية التي تأخذها نتيجة هذه الاتفاقيات ولكي تفرض أميركا ما تريده على نصوص الاتفاقيات.

الشبه الخامس :

إن كل اتفاقية تعني بدء مرحلة جديدة لها حيث تستفيد من الزمن ومن تجميد القدرة العربية وتضييع رؤية العالم لمطامعها الحقيقية ريثما تقوم بشن حرب جديدة تحصل بموجبها على أرض جديدة ومواقع جديدة .

ولا غرابة في ذلك طالما أن الوكالة اليهودية قبل أن تتحرك نحو إيجاد وطن لليهود في أرضنا العربية فلسطين ، وضعت نصب أعينها أن تكون على غرار الوكالات الاستعمارية الاستيطانية ، عودة إلى تاريخ نشوء الحركة الصهيونية نجد كيف أن إنكلترا ثبتت الصهيونية من أجل زرعها في فلسطين لتأمين طريق الهند سالكا لمصالحها ، ولكي تفتت أحلام العرب في وحدتهم كما كان يحلم محمد علي في إقامة دولة عربية واحدة .

أيضا لننظر كيف فكرت الكولونية الفرنسية في تأمين ودعم الصهيونية ودفعها لاستعمار فلسطين لكي تؤمن لها حماية قناة السويس .

لقد كتب - ناحوم سوكولوف - حول فكرة تبني إنجلترا فكرة الصهيونية بحثا عن المطامع الاستعمارية - وسوكولوف هو أحد كبار مؤسسي الحركة الصهيونية ودعاتها الأوائل .

لننظر إلى كتابة تاريخ الصهيونية -المجلد الأول - صفحة ١٠٥ - ١٠٦ حيث يقول:

" إن فكرة استعمار بلاد الشام ليست غريبة عنا - فلسطين - الأردن - سورية - لبنان حين كان استعمار أمريكا أو استراليا يجري على قدم وساق من أجل زيادة الموارد البريطانية التجارية وزيادة قواها الدفاعية " .

بعد ذلك جاء تيودورهرتزل وأعلن في كتابه - دولة اليهود الإيديولوجية الصهيونية ومخططاتها في بناء الدول اليهودية وبين على ضرورة إنشاء الشركة اليهودية الاستعمارية على غرار المستعمرات أو اتفاقيات السلام بحثا عن كسب الوقت وتحويرالقضية وتطبيع الرأي العام الدولي .

هذا سوكولوف مرة ثانية يقول :

" وتسأل ما هي سياستكم ، وآخرون يقولون يجب استبعاد السياسة فالصهيونية يجب أن تكون اما استعماراً واما حركة روحية ولكن يجب أن نكون صهيونيين في استعمارنا وروحنا وديننا " .

هذه هي بداية الحركة الصهيونية وهذه هي بداية التقائها مع الاستعمار البريطاني آنذاك ، حيث لابد من استعمار بلاد الشام وخاصة التركيز على الجزء الأساسي منها وهي فلسطين ، وبذلك يتم لبريطانيا تأمين طريقها للهند ، وتقسيم وتفتيت الوحدة والقوة العربية وبالوقت نفسه تكون قد زرعت مخفر الحراسة الأمامي -إسرائيل - لتخدم مصالحها وبعد بريطانيا جاءت أمريكا لتحل مكان الإمبراطورية التي غطت حدود الشمس ولقد استطاعت أمريكا أن

تحل مكان بريطانيا وأن تتوسع في سيطرتها حتى نقلت الاستعمار إلى أعلى مراحله ، وبإحلال أمريكا استعمارا جديدا بدأت العلاقة الصهيونية الأميركية في تنسيق وانسجام حتى غدت في قمة اللقاء حيث لا استغناء عن أمريكا في خلق ودعم وتطوير إسرائيل ولا استغناء عن إسرائيل في دورها كمخفر حراسة متقدم لحماية المصالح الإمبريالية الاستعمارية الأميركية على وجه الخصوص وفي دورها كقطعة إسفنج تمتص الزمن والقدرة والإرادة العربية .

الشبه السادس :

هو تأليف لجان متفرعة عن المباحثات الأصلية مهمتها أن تحوّل المباحثات الأصلية إلى فرعية وبالتالي تتحول القضية الأساسية إلى فرعية ، والفرعية إلى أساسية ومع مرور الزمن تصبح أولوية النضال السياسي هو توضيح ما هو الأساسي ، وما هو الفرعي ، وما أن يمر الزمن حتى تكون إسرائيل قد استنفذت كل أغراضها المرحلية وأصبحت ملزمة ذاتيا بالقيام بعمل عدواني بحثا عن عبور جغرافي جديد يليه عبور في كل اتجاه لنتأكد معا من هذا الشبه السادس في الاتفاقيات أو المؤتمرات أو الحوار سواء الذي يجري في هيئة الأمم المتحدة أو في مجلس الأمن ، أم الذي يجري من خلال وسطاء دوليين .

لقد استطاعت إسرائيل أن تحول أنظار العالم عن القضية الأم وهي القضية الفلسطينية ، وجرت أنظار العالم إلى القضايا الجانبية المتفرعة عنها ، مثل مسائل الاعتداءات على الحدود ، ومسائل الحدود الآمنة ، ومسائل تطبيق بنود قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي هي في صالحها فقط .

على سبيل المثال : عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة أكثر من عشرين دورة خاصة لبحث قضايا فرعية متعلقة بفلسطين منذ عام ١٩٤٧ وحتى الآن وقد نظرت الجمعية العامة أيضاً في قضية فلسطين الأساسية بين عام ١٩٤٧ - ١٩٦٧ في -٢٠- دورة و -٦٥٧- اجتماعاً وأصدرت -٨٨- قرارا .

كذلك عادت بعد حرب تشرين لتتابع عدة اجتماعات ولتصدر عدة قرارات هامة جداً وقد لحق مجلس الأمن الذي نظر في القضية الفلسطينية (٢٥٠) اجتماعا واصدر (٤٥) وأهم قراراته رقم (٢٤٢) والقرار (٣٣٨) .

أما اللجان المشكلة من قبل مجلس الأمن فقد تجاوزت الثمانين لجنة حتى الآن لكي تتداخل هذه المسائل مع بعضها والقرارات ببعضها واللجان ببعضها ، ويضيع الحابل بالنابل لكي يمر الزمن وتنفذ إسرائيل أهدافها المرحلية ، في الحين الذي يناقش فيه العالم بما فيهم العرب كيفية إخضاع إسرائيل إلى هذه اللجان أو القرارات أو التوصيات .

نعم إن المسافة الزمنية بين القاعة الصفراء في قصر الورود والقابع فوق جزيرة - رودس- وبين معاهدة كامب ديفيد وما تلاها من معاهدات واتفاقيات وصلح ذليل هي مسافة قصيرة بعمر التاريخ ولكنها زاخرة بالأحداث وبكل المفاجآت والنضال المرير والكوارث المريرة .

عبد الله السلال

أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية



المؤلف مع الرئيس اليمني عبد الله السلال

إن وفاء الشعب اليمني جزء من
حياته وقيمه النبيلة ، يحرص كل الحرص
على الحفاظ عليها في كل الظروف

حــوار مفتـوح ....

مع الرئيس اليمني السابق عبد الله السلال

هناك من يقول ، أن البطل يقوم بدور الأب للشعب .

وعندما يحس الشعب أنه ابن الزعيم يتحول الناس جميعـاً إلى أطفال يتعلقون بأبيهم ويلقون بالعبء عليه ، وهـم كالأطفـال أيضـاً يرون أنه قادر على كل شيء ، قوي دائماً ، غني دائماً صبور دائمـاً ، موجود في كلٍ لحظة ، لا يتعب ولا يمل ، ينسون أن الأب إنسان قبل كل شيء أيضاً ، وهم ينسون لأنهم كالأطفال ، ولأنهـم اعتـادوا أن يجدوه وأن يجدوا ما يطلبون ، ولأنه أعطاهم الكثير ، لا يرضـون منـه بالقليل وإذا تنحى عنهم الأب أحسوا بأنهم يتامى .

وفي نظري أن الثورة اليمنية التي قادها وفجرها الرئيـس عبـد الله السـلال يـوم ٢٦ سبتمبر أيلـول ، ١٩٦٢ كـانت ثـورة عربيـة صافية ، وكانت تحمل أماني وآمال الجماهير العربية اليمنيـة في حيـاة حرة وكريمة وحضارية أيضاً .

الرئيس عبد الله السلال الذي عرف مع صبيحة يوم الثورة ، تبقى شخصيته واسمه ملتصقان بهذا اليوم المجيد الذي فجر فيه الشعب ثورته ، وأعاد إلى اليمن وجهه العربي وتقدم به عشرات القرون على طريق التقدم والحرية والكرامة بعد أن عاش عمره تحـت حكـم عفـن متخلف أعمى لا يرى من الحيـاة إلا السلاسـل والسياط والسـجون وقطع الأيدي والرؤوس .

عبد الله السلال الرئيس اليمني السابق عاش في القاهرة بعيداً عن السياسة والسياسيين ، مؤمنا بأن، الصمت الذي يعيشه هو أفضل شيء في هذا الزمن العربي الانهزامي

ولقد أجريت معه هذا الحديث عام ١٩٧٤ ، وأعيد نشره هنا للذكرى والتاريخ ولكي يأخذ هذا الرجل حقه بعد أن أنقذ شعبه من حياة التخلف والدمار.

قلت للرئيس عبد الله السلال ، قبل أن تصل إلى رئاسة الجمهورية يوم ٢٦ سبتمبر (أيلول) أين كان موقعك ؟

ونظر الرجل إلى " سقف غرفته " وراح يستذكر الماضي ويقول : منذ عام ١٩٤٨ وقبل أن تنطلق الثورة كنت في سجن (نافع) في مدينة (حجة) إلى عام ١٩٥٥ عند قيام الانقلاب الأول بقيادة المقدم (أحمد يحيى الثلايا) حيث يعتبر ذلك الانقلاب الأول بقيادة المقدم (أحمد يحيى الثلايا) وحيث يعتبر ذلك الانقلاب معجزة في رأيي أنقذ المساجين من حياة الفناء الذين تركوا لها وكان عددهم على ما أذكر حوالي (المائة) وكلهم محكوم عليهم بالسجن المؤبد بعد أن قاموا بحركة ثورية عام ١٩٤٨ للإطاحة بالحكم الرجعي وتحرير البلاد من الجهل والعبودية ، وعندما خرجت من السجن عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٦٢ كنت قد تعرضت لأكثر من محاولة لقتلي ، وكانت المحاولة الأخيرة قبل قيام الثورة بعشرين يوماً حيث استدعاني الإمام أحمد إلى تعز بحجة واهية جداً وهي مراجعتي في رفع مرتبات الجيش، أما ما كان يريده الإمام في الواقع هو استدعائي للخلاص مني نهائياً لكنْ لحسن الحظ عندما وصلت إلى تعز وجدت

الإمام أحمد يحتضر ويودع الحياة ، فعدت بعدها إلى صنعاء لأقود الثورة وأخلص الشعب من حكم أسرة حميد الدين .

وقلت له :

لاشك أن القاهرة كانت وراء الثورة اليمنية ودعمها من خلال وجودها في اليمن ، هل لك أن تحدثنا عن ذلك الدور .

أجاب :

إننا عندما نتحدث عن دور القاهرة في دعم الثورة اليمنية لا نعني بذلك الوجود العسكري فحسب ، بل إننا نعتبر القاهرة شريكة فعلية في تثبيت وترسيخ دعائم الثورة والنظام الجمهوري إن كان ذلك بالمشاركة العسكرية أو بما بذلته من تضحيات عزيزة وغالية سيخلدها التاريخ اليمني في أنصع صفحاته أو ما قدمته من خبرات فنية في كافة المجالات التي ساهمت فيها ، ولقد ضرب الشعب العربي في مصر بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مثلاً نادراً في الوقوف إلى جانب الثورة اليمنية ومساندتها بمبادرته في إرسال قوات عربية للمشاركة في صد الهجمات الرجعية والاستعمارية التي تعرضت لها الثورة اليمنية منذ أول أسبوع لقيامها ، وبذلك أدت القاهرة دوراً تاريخياً وعظيماً كانت نتيجته أن الثورة جابهت من المؤامرات ما لم تجابهه ولا ثورة عربية ، وقد أثبت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أنه رجل القومية العربية والنضال العربي من خلال ما قدم وسوف يذكره التاريخ في صفحات مجيدة لما قدم لشعب اليمن .

وسألت المشير قائلاً - سيادة الرئيس ، لاشك أن لكل ثورة دوراً إيجابياً تلعبه في حياة شعبها فهل لك أن تحدثنا عن الدور

الحقيقي والإيجابي الذي أسهمت فيه الثورة اليمنية في تطوير الثورة في الجنوب والتي انتهت بتحريره وجلاء القوات الأجنبية عنه ؟

• وأخذ نفساً من سيجارته ثم أجاب .

إن الدور الذي قامت به الثورة اليمنية لمساندة وتطوير ثورة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣ في الجنوب ، دور معروف وغير محدود ، فلقد ولدت أول جبهة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني في صنعاء اثر اجتماع تاريخي عقد بين العناصر الثورية والقوى الوطنية تمخض عن إعلان الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني ، وعندما بدأ ثوار الجنوب ممارسة النضال المسلح وواجهوا قوات الاحتلال قدمت لهم ثورة سبتمبر كافة الإمكانات ووفرت لهم الاحتياجات اللازمة ، وجعلت من الشمال قاعدة ومنطلقاً وخلفية لحمايتهم وإيوائهم والكل يعرف كم من المواقف الصعبة واجهتنا والى ما تعرضت له ثورة ٢٦ سبتمبر بسبب موقفها الصلب وتأييدها الكامل لأنها انطلقت من مبدأ وحدة التراب من يمن واحد وضرورة تحرير الجزء الجنوبي من اليمن حتى تتحقق الوحدة في نظام ديموقراطي تحرري تقدمي، ولقد تحقق الجزء الأول من أمل الشعب اليمني برحيل الاستعمار البريطاني وحصول جنوب اليمن على الاستقلال وقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

وسألت المشير وقلت - بعد عدوان ١٩٦٧ الغاشم وانسحاب القوات المصرية من اليمن حدث غموض سياسي نتيجة بعد اليمن عن دائرة الضوء ، ما هي الأحداث التي صاحبت انسحاب القوات المصرية ؟ .

• حاول المشير السلال أن يتهرب من الإجابة كما تهرب من عشرات مثلها لكنه أخيراً قال :

إن انسحاب القوات العربية من اليمن جاء على أثر حدوث النكسة الأليمة في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ولقد صاحب انسحابها المحاولة اليائسة والفاشلة التي قامت بها الرجعية مدعومة من الإمبريالية العالمية لإسقاط النظام الجمهوري وضرب الثورة ، لكن الشعب اليمني العظيم وجيش الثورة الفتي سجلا ملحمة بطولية خلال حصار (السبعين يوماً) وأثبتا الدليل القاطع للرجعية والإمبريالية والعالم كله استحالة عودة النظام الملكي البائد ، واثبت أيضاً هذا الحصار قدرة شعبنا على الدفاع عن مكاسبه ، وإذا كانت الأمور قد جرت في اليمن بعد ذلك في غير ما تريد وصاحبها الغموض والبعد عن دائرة الضوء فإن ذلك مرجعه إلى الجمود الذي فرض على مسيرة الثورة والقيود التي حدت من تحركها النشيط نتيجة للمؤامرات الرجعية والاستعمارية ونتيجة للظروف العربية الراهنة .

• وعدت اسأل المشير – هل هناك تنسيق وصلات بينك وبين العناصر اليمنية الثورية التي شاركت في صنع الثورة وبين جماهيركم في اليمن ؟ .

• وأجاب فوراً :

طبعاً طبعاً ، لأن ما يربطني بالشعب اليمني والعناصر الثورية الشريفة التي شاركت في ثورة سبتمبر وظلت محافظة حتى اليوم على خطها ، وعلى المبادئ والأهداف الستة التي أعلناها والتي أقسمنا سوياً على تحقيقها منذ اليوم الأول لقيام الثورة واعتبرناها خطوطاً

عريضة نهتدي بها في مسيرتنا ، ومن الطبيعي أن يكون بيني وبين رفاق النضال وشركاء المصير من أبناء الشعب اليمني المناضل اتصالات دائمة ، وأود أن أؤكد لك هنا برغم كل ما حدث فإن وفاء الشعب اليمني جزء من حياته وقيمه النبيلة ، يحرص كل الحرص على الحفاظ عليها في كل الظروف .

- وقلت له ... عندي سؤال آخر ..
- وابتسم الرئيس السلال وقال آخر أم أخير .. ؟
- وقلت ، كما تريد .
- فأجاب باسماً ، إذن ليكن السؤال الأخير .
- وقلت سؤال أخير ، هل أجريتم تقييماً شاملاً لفترة حكمكم في اليمن حول ما وقعتم فيه من سلبيات وإيجابيات تمهيداً لرسم مخطط جديد للمستقبل ؟
- وأجاب بهدوء وتفكير عميقين قائلاً :

إن التاريخ سوف يسجل تلك اللحظة التي تحملت فيها مسؤولية قيادة الثورة (المعجزة) وأعباء الحكم بعد نجاحها ذلك لأن اليمن كانت تعاني من أقصى وأعتى حكم رجعي عرفه التاريخ وإذا كانت فترة حكمي قد اقترنت باستمرار الثورة في المسيرة العربية الصحيحة وتثبيت دعائم النظام الجمهوري ، وتحقيق مكاسب اعتبرها في نظري إنجازات هائلة بالنسبة لما كان عليه الشعب اليمني من تخلف رهيب قبل الثورة فقد شهد لأول مرة في حياته حاكماً من

أبناءه ومن الطبقة الكادحة التي لا تنتمي إلى الأسر التي كانت لها السيادة المطلقة على مقدراته ، كما أطل على الحضارة والحياة الحرة الكريمة التي حرم منها مئات السنين وحصل على بعض الإنجازات التي كانت حلماً من أحلام حياته ، كالمدارس والمستشفيات والمرافق العامة ، وجهاز الدولة الذي لم يكن موجوداً من قبل ، والاقتصاد الوطني والجيش وبعض المشاريع الصناعية ، والكثير الكثير من المشاريع العمرانية الحديثة والطرقات التي ربطت لأول مرة مدناً وقرى لم تكن في الماضي تتصل ببعضها إلا في المواصلات البدائية ، ولست هنا في مكان تسجيل وسرد المنجزات كاملة فإن ما تحقق خلال فترة حكمي من إنجازات ثورية ستظل مفخرة لي ولزملائي ثوار السادس والعشرين من سبتمبر / أيلول الشرفاء الملتزمين بالخط الثوري التقدمي تمدنا بالقوة والطاقة الخلاقة حتى نشهد تحقيق الآمال والأماني للشعب اليمني العظيم ، وليس هناك من شك أن كل ثورة لها إيجابيات وسلبيات ، ولقد كانت الأسباب لمعظم السلبيات التي حدثت خلال فترة حكمي هي الحرب التي صاحبت قيام الثورة بفضل التدخل الرجعي الاستعماري وما نتج عن هذه الحرب من مشاكل عكست نفسها على مسيرة الثورة ، ولقد أمكن معالجة بعض هذه السلبيات وتجاوزها بفضل صمود الشعب اليمني وقدرته على البذل والعطاء المستمر وبفضل ما قدم لنا الأشقاء والأصدقاء من عون إنساني سوف يبقى شاهداً على روح الصداقة .

• وهنا توقفت عن طرح الأسئلة العامة التي سمح لنا السيد المشير بنشرها ..

وبدأ الحديث في أسئلة خاصة ليست للنشر وكلها تحمل في ردودها إيمان الرجل بثورته ، بوطنه وبوحدته العربية ، وتحمل في طياتها حكايات مريرة وبعضها يفوح منها الأمل في أن تبقى ثورة ٢٦ سبتمبر / أيلول ثورة عربية تقدمية لصالح الجماهير الطيبة في اليمن ، بعيدة عن مخططات الاستعمار والرجعية المتعاونة معه وقريبة من روح العصر الذي نرجو أن تعيش فيه ومن خلاله.

القاهرة : ١٩٧٤

الأستاذ أحمد الشقيري

أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية



المؤلف مع السيد أحمد الشقيري

(إذا أراد الملوك والرؤساء الحصول على القدس فإنهم لا يستطيعون الوصول إليها عن طريق مؤتمر جنيف ،ولابد لهم من استئناف القتال ، وفي شوارع القدس نفسها)

كان ذلك في العام ١٩٧٣ ، وكان العالم كله ينتظر ولادة التاريخ الجديد الذي سوف يخرج من بين حديد ونار وسلام " مؤتمر السلام " العالم كله كان ينتظر أن يعقد مؤتمر جنيف للسلام ، ويقف أمام القضية التي حملت في بطنها جنينا طالت ولادته المبعثرة منذ عام ١٩٤٧ وحتى يومنا هذا ..

ترى : هل سيكون هذا الجنين ولدا يكبر في أيام قليلة ، ليمتطي حصانه ويمتشق سيفه ، ويصبح اسمه الفارس الذي يخوض من جديد الحرب في ساحات الوغى !!

أم أن هذا المولود سوف يكون طفلة طيبة مسالمة تحمل اسم " السلام " وفي يدها غصن زيتون ؟؟ .

هذا التساؤل جعلني ابحث عن الرجل الذي يستطيع أن يتكلم عن كل شيء في هذه المرحلة بالذات ، وهو الأستاذ أحمد الشقيري ، الذي عاش قضايا العرب والقضية الفلسطينية بكل مراحلها وخطواتها ، وكان أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية.

تكلم الشقيري .. وكان هذا الحديث :

قلت له : ما هو تقييمك لما وصلت إليه الأمة العربية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ !!

صمت الرجل قليلا ، ثم تنهد وقال :

لقد حققت حرب أكتوبر " تشرين الأول " إنجازات كبرى ، ولكن لهم الحفاظ على هذه الإنجازات ، واتخاذها نقطة انطلاق إلى ـمام ، ولو شئت أن اضرب مثلاً على ذلك لتبادر إلى الذهن فورا

أن عدداً من الدول العربية قد قبلت بقرار مجلس الأمن الدولي عقب هزيمتنا من حرب الأيام الستة رغما عن القيود الثقيلة التي يتحملها قرار مجلس الأمن ، والمفروض بعد الانتصار الكبير في حرب أكتوبر أن نتخلى عن صيغة قرار مجلس الأمن وهي صيغة الهزيمة إلى صيغة أكثر تقدما ، وهي صيغة النصر ، ولن تعدم العقلية السياسية العربية ، بعد الذي حققته في ميادين الصواريخ أو البترول ، يجب أن تخاطب العالم الدولي من منطلق القوة والنصر لا من موقف الهزيمة التي فرضت علينا في الماضي .

سألته :

• ولكن ... ماذا تتوقع من نتائج مؤتمر جنيف المقبل !!

أجاب :

• أنني لا أتكلم في هذا الموضوع عن عاطفة مجردة ، ولكنني أتحدث عن خبرة طويلة تمرست بها من المحافل الدولية ، بالإضافة إلى خبرتنا الطويلة بأهداف إسرائيل وخططها .. أريد أن أقول بكل صدق وأمانة أنني غير متفائل بنتائج هذا المؤتمر ، ولا يصح أن نرهن مصير الأمة العربية على أبحاث هذا المؤتمر من قريب أو بعيد ، واني أستطيع من الآن ، أن أتصور النتائج التي سيصل إليها هذا المؤتمر، وأرجو من كل مواطن عربي أن يحتفظ بهذا الحديث الذي تجريه معي ليقرأه بعد ذلك ، وليتحقق مما أريد أن أقوله الآن .

وأضاف يقول :

• إن هذا المؤتمر سيظل يدور في دوامه الأمور التالية :

أولاً – إصرار إسرائيل على الاحتفاظ بأجزاء من سيناء والجولان.

ثانياً – تمسك إسرائيل المطلق بالقدس العربية ، ودمجها في القدس الجديدة لتكون عاصمة موحدة لإسرائيل .

ثالثاً– عدم التنازل عن المدن والقرى الأمامية الواقعة في الضفة الغربية من فلسطين !

رابعاً –الاحتفاظ بالمستعمرات الإسرائيلية العشرين التي بنتها إسرائيل على ضفاف الأردن .

خامساً– رفض إسرائيل أية قوات دولية على الأراضي التي تقع في حوزتها مع الإصرار على حشد القوات الدولية في الضفة الغربية وفي سيناء ومرتفعات الجولان .

سادساً– إلغاء المقاطعة العربية ، وقيام العلاقات العادية بين إسرائيل والدول العربية، وإنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل .

سابعاً– عدم الموافقة على إعادة اللاجئين إلى ديارهم والإصرار على توطينهم في الدول العربية .

ثامناً– تعويض اللاجئين ، وستصر إسرائيل أن يكون جماعيا لا فرديا بحيث يتيسر بناء قرى للاجئين الفلسطينيين في الأراضي العربية المجاورة .

تاسعاً– بالنسبة إلى قطاع غزة ، ستبذل إسرائيل كل جهودها للسيطرة عليه اما بصورة مباشرة ، أو عن طريق إنشاء نظام دولي عليه يكون ممهداً لتدويله.

عاشراً- تظل الأقسام العربية من سيناء والجولان ، التي يتم الجلاء الإسرائيلي عنها، تظل مناطق مجردة من السلاح ، ويتبقى فيها قوات دولية بصورة دائمة ، ولا تخرج منها إلا بموافقة الأمم المتحدة ..

وقلنا له :

- ولكن مؤتمر الجزائر أصر على أن يتم الجلاء الإسرائيلي عن القدس أولاً! ..

وأجاب الأستاذ الشقيري :

- الجواب بكلمة واحدة : إذا أراد الملوك والرؤساء العرب الحصول على القدس ، فإنهم لا يستطيعون الوصول إليها عن طريق مؤتمر جنيف ، ولابد لهم من استئناف القتال ، ومن شوارع القدس نفسها ..

وقلت للأستاذ :

- اعتقد أن الدول العربية لن ترضى بمثل هذه النتائج التي ذكرتها ، فهل لك رأي آخر تتصوره من خلال ما لديك من معلومات :

ورشف الأستاذ الشقيري من فنجان "اليانسون" ثم راح يتفرّس في وجهي وقال :

- أنا لا أعرف ما سيكون عليه موقف الوفود العربية المفاوضة ، ولكنني أعلم أن الأمة العربية التي حاربت في تشرين الأول " أكتوبر " وخاصة القوات العربية وفي طليعتها

الجيشان المصري والسوري ، لا يمكن أن تقبل بهذه الحلول المشينة التي هي اقرب إلى الاستسلام منها إلى السلام ، وأن الذين قاتلوا من الأمة العربية ، الأحياء منهم والأموات ، لم يتقدموا إلى ميدان الشرف ليصلوا إلى هذه النتيجة ، خاصة وأنه يجب ألا يغيب عن بالنا أن إسرائيل ستصر على عقد اتفاقية صلح بينها وبين الدول العربية

وقلت للأستاذ الشقيري :

- ما هو تقييمك لجهود الدكتور هنري كسينجر وزير الخارجية الأمير كية وقال:
- إن كسينجر يهودي أولاً : وأميركي أخيراً ، ويضاف إلى ذلك بأنه حاو دبلوماسي وهاو سياسي ، وكل ما يهمه الآن هو تصفية القضية الفلسطينية وإلقاء شعبها في البحر .

وتابع الأستاذ الشقيري بما يلي:

- لقد كانت الدعاية الصهيونية تتهمنا زورا وبهتانا بأننا سنلقي بهم إلى البحر، ولكننا نواجه الآن محاولة أميركية ضخمة لتصفية القضية وإلقاء العرب في البحر بعد خمسين عاما من النضال الفلسطيني العربي ..

وسألته :

- أثناء مؤتمر القمة العربي في الخرطوم تقدمت إلى الملوك والرؤساء العرب يومها بثلاث " لاءات " معروفة وهي :

– لا صلح :

- لا مفاوضات :

- لا اعتراف :

فهل هناك " لا " رابعة لم تضم إلى " اللاءات المذكورة ولم يسمح بنشرها آنذاك !

ضحك الأستاذ الشقيري ورد قائلاً :

- أريد أن أقول باختصار شديد انني إلى جانب " اللاءات " الثلاث المعروفة ، طالبت المؤتمر بما يلي :

أولاً : وقف ضخ البترول .

ثانياً : أن لا تنفرد أي دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية .

ثالثاً: أن توضع خطة فلسطينية عربية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي من داخل الضفة الغربية وقطاع غزة .

وأضاف الأستاذ يقول :

- وبعد جدال عنيف جرى بيني وبين الرئيس السوداني " الأزهري " رحمه الله والملك حسين ملك الأردن ، والأمير حسن الرضا ، ولي عهد ليبيا آنذاك وغيرهم من الحكام ، لم يوافق المؤتمر على تلك المطالب ، مما اضطرني إلى الانسحاب من مؤتمر الخرطوم .

ثم قال بعد صمت قصير :

• إن المواطن العربي ، الذي يحس الآن بقيمة سلاح البترول، لابد له أن يحزن كثيراً لأن مؤتمر الخرطوم لم يشهر ذلك السلاح في العام ١٩٦٧ ولو فعل ذلك لكان وفر على الأمة العربية كثيراً من الذل والهوان والضياع الذي عاشت فيه هذه الأمة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

• وقلت للأستاذ الشقيري :

• لو طلب إليك المشاركة في مؤتمر السلام المرتقب ، فهل تقبل أن تكون إلى جانب الوفود العربية كشخصية عملت طويلا في الحقل السياسي العربي والعالمي .

أجاب الأستاذ الشقيري :

• إن فارس هذا المؤتمر هو الدكتور كسينجر ، وهو يمثل السياسة الأميركية التي خبرتها منذ ثلاثين عاما .

ولهذا ، فإنني اكذب على نفسي إذا قلت بأن السياسة الأميركية قد تغيرت وتبدلت لصالح الأمة العربية .

إن الدكتور كسينجر سيحاول أن يدفع مؤتمر جنيف إلى تصفية القضية الفلسطينية وها هو قبيل انعقاد المؤتمر يعلن بأنه لابد من الوصول إلى " الحل المعقول مضافا إلى أنه يشعر بأن قضية القدس بالغة التعقيد ، وأن مباحثات المؤتمر ستستغرق عاما كاملاً على الأقل، ولهذا فان الولايات المتحدة لا تسعى إلى تطبيق قرار مجلس الأمن بكامله ، كما ترجو الدول العربية نفسها هذا مع العلم بأنني لست من الموافقين على قرار مجلس الأمن ، ويجب علينا أن نضيف إلى ذلك أن الولايات المتحدة ، حتى في الأسبوع الأخير الذي يسبق

انعقاد المؤتمر ، وافقت على تزويد إسرائيل بأسلحة تتجاوز قيمتها ثلاث آلاف مليون دولار .

ولو عدنا إلى الماضي قليلا لتذكرنا أن الولايات المتحدة قد اقترفت ما يأتي:

١- حملت الأمم المتحدة على الموافقة على قرار التقسيم وإنشاء إسرائيل تحت حملة تقترب من الإرهاب السياسي الطاغي .

٢- عارضت عودة اللاجئين الفلسطينيين لديارهم على مدى عشرين عاما ..

٣- أصرت على توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية .

٤- قامت بدور كبير في هزيمة العرب من حرب حزيران ١٩٦٧ .

٥- ساهمت إلى حد كبير في توظيف حرب أكتوبر " تشرين الأول " بأكثر من ناحية عسكرية ولصالح إسرائيل .

٦- اصرارها على تصفية القضية الفلسطينية وشطبها من جدول أعمال الأمم المتحدة.

٧- معارضتها ، بعد كل هذه النكبات والويلات بحق الشعب الفلسطيني من أن يقر ر هذا الشعب مصيره ، وكان الأولى بها أن تعترف للشعب الفلسطيني بهذا الحق في العام ١٩٤٧ .

لهذه الأسباب ولغيرها ، فإنني أرفض المشاركة في مؤتمر جنيف من قريب أو بعيد ، ولا اعتبر نفسي إنني خلقت لهذا الدور ..

وقلت للاستاذ :

• وما هو تعليقك على مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي انعقد في الجزائر أخيراً!!

• لا أريد أن أتكلم عن إنجازات المؤتمر ، لأن أجهزة الإعلام العربية الرسمية هي المكلفة بهذه المهمة ، غير أن الذي لفت نظري في بياناته هي العبارة الجديدة عن .. الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وفي الماضي كانت العبارة الرائجة في هذا الصدد .. الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

ولست أدري ما الذي حمل الملوك والرؤساء على تبديل عبارة بعبارة وإنني رغما عن معرفتي المتواضعة بمعاني " العبارتين " سألت نفسي و لم استطع أن أجيب و لم أجد جوابا حتى الآن لا عن معنى العبارة الأولى ولا عن معنى العبارة الثانية فما هي الحقوق المشروعة وغير المشروعة للشعب الفلسطيني ثم أضاف الأستاذ الشقيري.

• الذي أعرفه ويعرفه معي كل مواطن عربي ، إن حقوق الشعب الفلسطيني هي حقه من التراب الفلسطيني الكامل ، وهذا ما يفهمه كل مواطن عربي فهل هذا ما أراده الملوك والرؤساء العرب من مؤتمر الجزائر أم أن هناك معنى آخر !!

أما ملاحظتي العامة على مقررات مؤتمر الجزائر ، فهي أنه عدل عن كثير من المبادئ الأساسية التي أقرتها مؤتمرات القمة في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، والخرطوم .

إن حرب أكتوبر تشرين الأول . كانت أعظم بكثير من مقررات الجزائر وسيظل الزمام بيد الأمة العربية على كل حال !.

وقلت له :

• هل تعتقد أن وفود الدول العربية إلى مؤتمر جنيف سوف توقع الصلح مع إسرائيل.

أجاب الشقيري بحده :

• لا ... لا اعتقد أن الحكومات العربية ، وبالتالي وفودها ، مفوضة بأن توقع صلحا مع إسرائيل " وإذا ما فعلت ذلك أية حكومة عربية فان ولايتها تسقط بصورة تلقائية ، دستوريا وقوميا . " ؟

وقلت للأستاذ أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير سابقاً .

• أزمة الشرق الأوسط مازالت تدور في حلقة مفرغة منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن رغم حروب ٥٦ - ٦٧ - ٧٣ والإنسان العربي لازال بعيدا عن قرار الحرب أو السلام في هذه الأزمة ، والحكام وحدهم هم أصحاب القرار دائماً .

• برأيك هل هناك برميل بارود عربي لابد أن ينفجر يوما ما ، أم أن الناس قد دجنت وانتهى الزخم النضالي القومي .

أجاب الأستاذ قائلاً :

• يخطئ كل من يفكر أن الإنسان العربي قد دجن " أو استسلم للحكام المواطن العربي الذي عاش طويلا على شعارات التحرير والعودة والانتصار على الإمبريالية والصهيونية ، وعاش النكبة ، والنكسة ، ومر الهزائم ، هذا الإنسان العظيم الذي صبر وصمد

طوال كل هذه الأعوام لا يمكن له إلا أن يكون على مستوى القضية التي يؤمن بها حتى الموت ، وان برميل البارود الذي ذكرته نعم من الممكن أن يتفجر كالبركان الهادر ذات يوم في أكثر من بلد عربي إن المواطن العربي الذي يقدم ثمن رغيف خبزه وخبز أطفاله من أجل حماية الأرض العربية وأمنها وسلامتها لا يمكن أن يتغاضى عن حاكم أو مسؤول استطاع ذات يوم أن يحكمه بالحديد والنار إلا أن هذا المواطن يصبر ويتحمل ، لكنه لا " يدجن " أو يستسلم .

وقلت للأستاذ :

• أحمد الشقيري السياسي والمحامي والخطيب البارع ، ما أعظم ما قدمه لشعبه في حياته .

• إقامة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب وأعظم ما في هذا القرار هو الوحدة الوطنية التي تجمع هذا الشعب ، رغم كل محاولات التفرقة والتقزيم والتحطيم لهذا الشعب إن الوحدة الوطنية الفلسطينية كان كل هاجسي وحلمي ولقد تحققت والحمد لله .. وأصبح لنا كيانا اسمه الكيان الفلسطيني الموحد ، الواحد ..

• كيف كانت علاقتك مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

• الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في رأيي كان زعيما عربيا مميزا كان رجلا بكل ما لهذه الكلمة من معاني ، كان جبلا تحمل أعباء الأمة العربية وخلافاتها وممارساتها وتشكيكها بصبر لا حدود له كان يؤمن بان إسرائيل لا تريد السلام ، ولن تقبل قرارات الأمم

المتحدة ، وليس هناك من حل سوى النضال القومي من خلال الوحدة العربية أو التضامن العربي على الأقل .

- ومع جلالة الملك حسين .
- يوم عسل ويوم ... !
- لماذا ؟
- اختلافات في وجهات النظر بين ما كنا نطالب به وما كان يعطيه لنا ..
- ومع .... !
- وهنا قاطعني الأستاذ الشقيري قائلاً .
- أرجوك دعنا من هذه الأسئلة التي ربما تترك آثراً في نفوس الآخرين لا يخدم قضيتنا أو صداقتنا لهم .
- وقلت للأستاذ كيف كانت علاقتك بالاتحاد السوفيتي .
- ضحك الأستاذ الشقيري وقال :

من قال لك إن الاتحاد السوفيتي كان معنا .

- وهنا سألته مندهشاً .
- إذن أمريكا كانت معنا .
- عاد الأستاذ الشقيري يضحك وهو يعصر أصابعه ثم قال.

لا .. لا أمريكا معنا .. ولا الاتحاد السوفيتي ، كل يبحث عن مصالحه .. إن أمريكا غير مستعدة لحل سلمي في المنطقة لأنها بحاجة إلى وجود هذا الأخطبوط المسمى " إسرائيل " كقاعدة عدوانية تساعده في أطماعه ومشاريعه ضد العرب والروس .

والاتحاد السوفيتي لا يريد الحل السلمي أيضاً على حساب مصالحه ومصالح الحلفاء في المنطقة .

لذلك أقول أن أقرب حل للوصول إلى حقوقنا الضائعة وأراضينا المحتلة هو بناء جبهة عربية قوية موحدة على أسس ديموقراطية وبعيدا عن الخلافات التي أدت بنا إلى ما نحن عليه من ضياع .

- وقلت للأستاذ الشقيري مستفسرا .

- ماذا تم على صعيد توحيد المنظمات الفلسطينية .. "

- هناك لقاءات واجتماعات مطولة تمت بين قادة فصائل المقاومة الفلسطينية وإني على قناعة تامة بأن جماهيرنا الفلسطينية قادرة ذات يوم على توحيد نفسها داخل إطار منظمة التحرير بالرغم من حملات التشكيك .

- وعن حرب جديدة سألت الأستاذ الشقيري ، هل تعتقد أن هناك حربا جديدة تدور في المنطقة ، وهل تؤيد قيام حرب أم حل سلمي بعد كل ما حصل خلال الحروب السابقة ..!

أجاب الأستاذ الشقيري

إنـي أؤيد كـل عربـي يحمــل الســلاح في وجــه الاحتــلال الصهيوني ، وقد ثبت بالبرهان القاطع أن عصرنا الحـالي هـو عصر الرجال والقوة ، وكما قال الرئيس الراحل جمـال عبـد النـاصر " مـا أخـذ بـالقوة ،لا يسـترد إلا بـالقوة " فالشــعب الفلسطيني ، ومنذ عهد الأتراك إلى الاحتـلال الإنكليزي إلى العدوان والاحتــلال الصهيونـي ، هـو شعب مغلـوب علـى أمره ، لا قيادة منظمة ، ولا سلاح لديه ، بل مؤامرات تحـاك مـن هنـا وهنـاك ، إلى أن اصبـح شـعبنا مـن اللاجئـين عــام ١٩٤٨ ثـم عـام ١٩٦٧ ، ثـم تغلـب علـى مرحلـة الضيــاع والتشرد وأصبح شعبنا مــن الثـائرين والمنـاضلين والمقـاتلين ، يحمل السلاح ، ويتلقى طعنات الأشـقاء ويواصـل المسيرة ، فادعو معي يا أخي مازن أن يلهــم الله إخواننـا المسـلمين في كل العالم أن يتذكـروا بيـت المقـدس الـذي داسـه الصهاينـة بأقدامهم ، وأن يذكر إخواننا المسـيحيون كنيسـة القيامـة في بيـت لحـم ، لعـل أمتنـا ولـو مـن خـلال الذكـرى تســتعيد شهامتها ورجولتها وإحساسها ، وتعـود لوحدتهـا وتفـرض نفسها على واقــع التجزئـة القاتلـة ، وربمـا يكـون في إنشـاء تنظيمـات شـعبية عربيـة مقاتلـة طريقـا صحيحـا لاسـتعادة الأمجاد والمقدسات الطاهرة ، وترفع بعـد ذلـك رايـة الحريـة للأبد .

وسألت الأستاذ قائلاً : هل تعتقد أنـه مـن الممكـن حـدوث حرب بين الاتحـاد السـوفيتي والولايـات المتحـدة الأمريكيـة بسـبب القضيــة الفلســطينية رغــم تعــاطف العــرب مــع السوفييت ، وانحياز أميركا الكامل لجانب إسرائيل .

- أجاب الأستاذ :

- أولاً مصالح الطرفين ليست فقط في منطقة الشرق الأوسط وأن كانت منطقتنا هي الأهم بالنسبة لسياسة البلدين : إن الحرب مستبعدة جداً بين السوفييت والأميركان ، لأنه لو وقعت سيحدث التدمير الشامل من خلال استخدام الأسلحة النووية والصاروخية ، وهذا ما لا يفكر به الطرفان لأن مصالحهما حاليا لا تتعرض للضرر ، وان كان السباق على المنطقة والسيطرة عليها على أشده بينهما .

- وقلت للأستاذ الشقيري نعود إلى كسينجر ، فهمت من كلامك أن كسينجر جاء إلى المنطقة ليصطاد في الماء العكر " أي جاء لاصطياد العرب لصالح أمريكا وإسرائيل ما هي مؤشرات هذا الاصطياد .. ؟!

- بحزن عميق أجاب الأستاذ مردداً .!

- سجل كلامي هذا للتاريخ .

أولاً : أمريكا لن تبدل سياستها العدوانية تجاه العرب ، لأن مصلحتها تتحكم بها دائما.

ثانياً: سيحاول كسينجر جر العرب وخاصة أولئك الذين اشتركوا في حرب تشرين واقصد سوريا ومصر إلى خلافات شديدة وصراعات لا تنتهي من خلال التلاعب بالألفاظ وإعطاء الوعود واللعب فوق الحبال ، وزرع الشقاق بين كافة الأطراف العربية .

ثالثاً : إذا كان لابد من التضحية بطرف أو بأطراف ما ، فإنــه مـن المفضل أن تكون إسرائيل هــي الطـرف الأخـير الـذي يمكـن لأمريكا أن تضحي به وهذا ما عبر عنه نيكسـون بأسـلوب ما في الاجتماع الذي تم مع وزراء الخارجية العـرب ، فقـد أكد الرئيس الأمريكي بالحرف الواحـد بـأن " الأولويـة الـتي تجعـل الولايـات المتحـدة مسـتعدة لفصـم الوفـاق مـع السوفييت ، ويخاطر الدخول في حرب عالميـة ضدهـم ، هـو تهديد إسرائيل ، وان أمريكا تريد صداقة العرب ، شـريطة إلا يكـون ذلـك بـأي شـكل مـن الأشـكال علـى حسـاب إسرائيل ، وأمنها وسلامة أراضيها ..

ماذا نفهم من ذلك ، هل هناك تأكيدات أكـثر مـن هـذا في دعم العدوان الإسرائيلي ضد العرب .

إن الولايات المتحدة لا تتكلـم عـن " عبـط " وهـي مـع كـل آسف لا تـرى العـرب إلا مـن خـلال عيـون إسـرائيلية " ولا تطمئـن لمصالحها النفطية في الشرق الأوسط إلا من خلال إسـرائيل كحليـف وحارس لمصالحها في منطقتنا .

وإسرائيل وحكامهـا أعلنـوا أكـثر مـن مـرة أنهـم مطمئنـون لسياسـة أميركـا المنحــازة ، ويفــاخرون بــأنهم اسـتطاعوا أن يكونوا " اللوبي الصهيوني " داخل البيت الأبيـض والكونغـرس ، بـل وفي كـل المؤسسـات الأمـيركيـة الفاعلـة الاقتصاديـة ، والسياسـية ، والعسكرية ، وحتى الاجتماعية لهذا السـبب لا تشعر إسـرائيل بـأي ضغوط عالمية عليها وعلى سياسـتها الاستيطانية العدوانيـة ، فـالدعم الأمريكي موجود ولن تكـترث بـالقرارات الدوليـة الـتي تصـدر عـن

مجلس الأمن أو سواء من المنظمات الدولية " سجل للتاريخ " إن السلام لن يتحقق في المنطقة بدون حروب ، لأن أمريكا المنحازة لإسرائيل كليا من مسألة الصراع العربي – الإسرائيلي لن تكون محايدة .

• وقلت للأستاذ الشقيري..

وقائع الأيام الأخيرة من حرب تشرين أكتوبر أكدت أن أمريكا لعبت دوراً هاماً في منع العرب من تحقيق نصر كامل وشامل على إسرائيل ، حيث قامت بإمداد إسرائيل بالسلاح ، وتمثل ذلك في الجسر الضخم الذي بدل من سير المعارك واستطاع أن يرفع القدرة العسكرية الإسرائيلية بعد أن كادت إسرائيل أن تنهار لفقدان سلاحها الجوي ، ثم قامت بعمليات التشويش من خلال طائرات التجسس على المقاتلين العرب .

• قاطعني الأستاذ الشقيري مستكملاً .

• لقد نقلوا في ظرف ساعات من أمريكا وأوروبا الغربية كميات كبيرة من مختلف أنواع الصواريخ – جو – جو ، وإعداد كثيرة من صواريخ أرض ، جو ، وقنابل انشطارية من كافة الأنواع إضافة إلى مئات الدبابات وآلاف الصواريخ المضادة للدبابات ، إضافة إلى مئات القادة العسكريين الأمريكيين الذين جاءوا لرسم الخطط وتقديم المشورة حسب الادعاء الأمريكي .

ثم لا تنسى آلاف الملايين التي حولت فوراً لدعم الآلة الحربية والكيان الصهيوني :

- وقلت للأستاذ الشقيري ، لقد صدر أكثر من تصريح على لسان المسؤولين الصهاينة بمنأى عن أي خطر يتهددها ، وإنها هي وحدها القادرة على لجم القيادات الوطنية والثورية في المنطقة العربية .

- هنا هز الأستاذ الشقيري رأسه ثم أجاب .

- هنا المصيبة ، مصيبتنا نحن العرب إننا نملك البترول والثروات ، وأمريكا لا تريد أحدا يهدد هذه المصالح ، لذلك تراها دائما أول المتآمرين على حرية العرب وتقدمهم وبناء حضارتهم من جديد .

- وقلت للأستاذ ، هل نستطيع القول أن منطقتنا العربية سوف تبقى ترزح تحت الضغط الأمريكي الإسرائيلي بسبب البترول، وكيف الخروج من هذا المأزق .

- قال الأستاذ : لا يغير الله ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم .

- وانتقلت بالأستاذ إلى جو جديد من الأسئلة السريعة ، وقلت له ماذا تعكس هذه الكلمات في نفسك كسياسي بارع ومحام ممتاز .

- المأساة : هي رحلة الألم الفلسطيني المطوقة بألوان الظلم والغدر من الأهل والأعداء

- المقاومة : طريق الشرفاء لاستعادة الكرامة العربية المفقودة .

- الثورة : الطموح إلى العودة واسترداد الوطن السليب .

- المنظمة : البيت الفلسطيني الأخير الذي يجب أن نحافظ عليه بالدماء ، لأنه الأمل في استعادة البيت الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة .

- العرب : أرجو أن تفك ألسنتهم وينالوا حريتهم ليرتفع صوتهم في قول الحقيقة، والدفاع عن كرامتهم المسلوبة .
- البيت الأبيض : بيت التآمر على العرب في كل عهد ،
- الاتحاد السوفيتي : صوت خافت يدافع عن العرب باستحياء حسب مصالحه .
- الحكام العرب : اسأل شعوبهم ، ولا تدخلني في متاهات جديدة .

القاهرة : ١٩٧٤

أكـــرم ديــــــري

وزير سوري في عهــد الوحــدة

الحرب والسياسة متلاحمان ومترابطان

بصــورة عميقــة



أكرم الديري :

اسم من الأسماء المعروفة في عالمنا العربي لعب دوراً عسكرياً وسياسياً خلال ربع قرن .

أكرم الديري واحد من الضباط السوريين الذين أقاموا الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وأكرم الديري إضافة إلى شخصيته السياسية البارزة ، فهو شخصية عسكرية مثقفه وضع العديد من الكتب والدراسات العسكرية والسياسية المترجمة لكبار العسكريين والسياسيين الغربيين وقد ساهم أكثر من مرة مساهمات إيجابية في حوارات سياسية عربية ودولية حول الحق الفلسطيني وقضايا الحرب والسلام في هذا العالم وخاصة في منطقتنا العربية

أكرم الديري الذي اصبح وزيراً في أول حكومة للوحدة بين مصر وسوريا كيف يرى العرب بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وما هي نظرته للمستقبل لنبدأ الحوار :

قلت له: كيف يرى أكرم الديري الرجل السياسي والعسكري العرب بعد الخامس من حزيران ، وما هو شعوره لكي لا يرى العرب حزيرانا آخر لا سمح الله .

أجاب : لاشك فيه أن عدوان حزيران "يونيو" ١٩٦٧ الذي مازلنا نعيش آثاره حتى يومنا هذا على الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية يمثل برهانا ساطعا لاستراتيجية إسرائيلية عدوانية تامة الوجوه أخذت كل العوامل الدولية والمحلية بعين الاعتبار

فلقد كان لهذا العدوان أهداف عسكرية محسوبة ومقدرة، كما يمكن التأكيد فإن خطة العدوان قد نفذت بشكل كامل ولا يعنينا أن نعترف لعدونا بهذا فليس العدو هو الصهيونية بما تمثله من مطامع وأهداف فحسب ، وإنما عدونا الحقيقي هو الاستعمار المتحالف معها بكل قواه وجبروته .

وقد أثبتت هذه الحرب ، بالمقابل ، وعلى الجانب العربي، خطأً كبيراً في الحسابات والتقدير ، وكان التصميم العسكري فيها متناقضاً كل التناقض مع التصميم السياسي ، وقد اتضح هذا التناقض وعدم التوافق ، والتلاؤم بعد المؤتمر الصحفي الكبير يوم (٢٨) أيار مايو الذي أعلن فيه الرئيس جمال عبد الناصر صراحة بأن مصر لن تكون البادئة بالعدوان .

وكان ميدان القوى الحقيقي يجعل من المفروض على هيئات العمليات في الجيوش المواجهة لإسرائيل ، وعلى الأخص هيئة عمليات الجيش المصري ، أن تسحب ثلثي قواتها إلى منطقة " الدلتا " والضفة الغربية لقناة السويس وأن تنقل قواتها الجوية وتوزعها في أعماق مصر والسودان وأن تموهها وتخفيها لتكون جاهزة لتلقي أية ضربة والرد عليها ، ولتتوجه الضربة الإسرائيلية في فراغ كامل .

إن الحرب متعلقة إلى حد كبير بالسياسة ، وتعلقها بها يجعلها تأخذ بالضرورة صفتها ، ولما كان الهدف من حشد الجيش المصري في سيناء هو منع وقوع أية ضربة ضد سوريا - طبقا للمعلومات التي وردت من جهات دولية رسمية فقد كان من الواجب إذن أن تأخذ الحرب صفة " السياسة " التي تريد أن تحقق ببعض

الوسائل والتدابير العسكرية هدفها فالحرب والسياسة متلاحمان ومترابطان بصورة عميقة ، وقد قال " كلاوزفيتز " منذ أكثر من مائة وثلاثين عاماً .

" إن الحرب أداة من أدوات السياسة ، وهي تحمل بالضرورة طابع هذه السياسة وليست إدارة الحرب في خطوطها العريضة الأساسية ، ولكنها سياسة تحمل السيف بدلاً من القلم دون أن يمنعها ذلك من أن تفكر بناء على قوانينها الخاصة ".

وقلت له : برأيك هل كان من الضروري حشد كل القوات المصرية على الجبهة وماذا كان يقصد بمثل هذا الحشد " اللامدروس " حسب ما قيل .

أجاب : لقد كان من الضروري أن تدرس كل الاحتمالات للتحقق من الوسائل العربية ، وهنا يدخل الهدف السياسي للحرب ليحتل أهمية مطلقة من وجهة نظرنا ، ومن وجهة نظر العدو ، إذ لابد من تحديد قوة ووضع الدولة المعادية، بالإضافة إلى قوة ووضع (دولتنا) أو " دولنا " وعلينا أن نعرف شخصية حكومة العدو وشعبه بعين الاعتبار العلاقات السياسية للدول الأخرى والأثر الذي ستحدثه الحرب في مختلف الدول .."

وقد بدأت إسرائيل عدوانها بمهاجمة أقوى الخصوم وأرهبهم وهي الجمهورية العربية المتحدة ، منطلقة من خطوط داخلية ، واحتوت جبهة سوريا والأردن في المرحلة الأولى من العدوان ، وتمكنت إسرائيل ، بالمفاجأة ، وتحت خديعة دولية رهيبة ، وبموجات جوية قادمة من البحر عن طريق الغرب من مهاجمة كل القواعد

الجوية الواقعة شرق القناة وغربها ومن خطوط داخلية وبمنتهى الفاعلية .

• ولكن كيف بدأت العمليات البرية بعد ضربة الطيران برأيكم؟

• بدأت العمليات البرية بنفس أسلوب الحرب الميكانيكية الخاطفة التي مارسها النازيون في الحرب العالمية الثانية ، والتي اعتمدت على المفاجأة والحركة ، والسرعة والصدمة ، والتصميم والتفوق الجوي ، ولامركزية القيادة ، وعلى قطعات متمرسة ومدربة تخلصت من مركبات العمليات العسكرية التقليدية البحتة ، والمزودة بشؤون إدارية " لوجيستيك " مبسطة .

وكان الجيش الإسرائيلي مزوداً بأحسن وافضل الضباط الذين خاضوا حربين متتاليتين ، كما كان جنوده من المواطنين الذين يعتبرون المعركة بالنسبة لهم معركة وجود أولا وجود ، في حين كانت القوات المسلحة العربية مازالت تتبنى عقيدة الدفاع ، ومذهب الجبهات الجامدة المتصلة ، وكانت عاجزة عن القيام بأية ردة فعل هجومية ، وأصيبت القيادات العسكرية العربية بالشلل التام ، وهو هدف من أهداف الحرب الخاطفة التي تستهدف شل الجهاز العصبي المعادي ، ومنعه من القيام بأية ردة فعل في الوقت المناسب .

• كيف استخدم العدو قواته المدرعة ؟

• لقد استخدمها بكتل كبيرة ضاربة وعلى أساس مجموعات تكتيكية وميدانية مكتفية ذاتيا ومستقلة " تحقق كل مجموعة هدفاً رئيسياً وتخوض معركة متواصلة"

وهكذا لم تتح هذه القوات أية فرصة للقوات العربية كيما تلتقط أنفاسها أو أي وقت للراحة أو اتخاذ القرار ..

وقد اضطرنا إلى هذا التمهيد عن عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ لنبرز بأن هذه المعركة كانت نموذجا مكررا لمعارك الحرب الخاطفة التي خاضها خصمنا لما يعرفه نفسيا وماديا عنا ، وبصورة متواصلة ، وبمنتهى الوضوح والبساطة لأنه يعرف أن وراءه حليفا قويا هو الولايات المتحدة الأمريكية ، المستعدة للتدخل بمختلف السبل والوسائل لدعمه ، أو وضع حاجز من القوات العسكرية الأمير كية بينه وبين القوات العربية في حالة إخفاقه ، وجاهز لاتخاذ كل التدابير لمنع انهيار إسرائيل في حالة إخفاق هجومها الخاطف والسريع .

وبرغم قناعة "البنتاغون" والقيادة السياسية الأميركية بنجاح إسرائيل في خطتها قبل تنفيذها ، فقد أثبتت بعض الكتب الغربية التي ظهرت حتى الآن أنه كانت هناك خطة بحرية وجوية كاملة لإجلاء سكان إسرائيل في حالة أطباق القوات المسلحة العربية عليها .

- هل لنا أن نناقش المذهبين العسكريين الذين تبناهما الجانبان العربي والإسرائيلي .

- أجاب الأستاذ ديري بقوله : الجانب الإسرائيلي من جانبه اعتمد على المذهب السائد وهو المذهب الحركي ، وهو يعتمد على القوة والسرعة والصدمة والمناورة، واستخدم الفاشيون الإسرائيليون المناورة والدهاء" في خطة شلت كل التفوق العددي لسلاح الطيران المصري في البداية" وكان الوقت القياسي المذهل لقيام الطائرات الإسرائيلية كل سبع دقائق ونصف تقريبا أكبر

عون للمفاجأة " وهذا ما أكده " ليدل هـارت " الـــذي نشـــر مقالة عن حرب حزيران في مجلة (انكونـتر) عـدد شـباط فـبراير ١٩٦٨ .

وهكذا حقق المذهب الحركي الإسرائيلي" الضربـة الجويـة" التي مكنته فيما بعد من تحقيق قوة متفوقة في المكـان والزمـان اللذيـن اختارهما ، وحصل على نتائج عسكرية حاسمة .

إن المذهـب الحركـي يرفـض انتشـار القـوات علـى جبهـة واسعة ، كما يتحاشى تبديد قواته ، ولايتم انتشارها لتكون جـاهزة من أجل الضربة الحاسمة التي توجـه في النقطـة واللحظـة الحرجتـين ، وبما أن كل الجيوش تملك قدرة نسبية على الحركة ، فإن مبدأ الحركة يعتمد على مفهوم الحركة النسبية ..

ولكي ينتصر جيش من الجيوش لابد من أن يملك قوة وقدرة على المناورة متفوقتين على قوة خصمـه وقدرتـه علـى المنـاورة ، وان الجيش الأقل قدرة على الحركة هو الجيش الـذي يتعـرض للهزيمـة في معركة تقليدية .. !

أما الجانب العربي فقـد كـانت قواتـه الناريـة موزعـه علـى طول جبهته ، وكـان يتبنـى مذهـب الجبهـات المتصلـة ، ومثـل هـذا التوزيع يتطلب وجود قوات من المشـاة مدعومـة بصنـوف الأسـلحة الأخـرى ، ويتطلـب أعـداد كبـيرة مـن الوحـدات ، وبمـا أن المشـــاة ستكون هي السلاح الأساسي ، فان إيقاع المعركة سيتطابق ويتوافـق بالضرورة مـع سـرعة ومـدى عمـل جنـدي المشـاة ، وبقيـة صنـوف الأسلحة .

-حتى ولو كانت آلية أو محمولة جوا ، إلى إتباع هذا الإيقاع
إذا ما استمرت في مهمة دعم وحدات المشاة فقط ، والجبهات
المتصلة جبهات دفاعية تستهدف ضرب العدو وقهره أمام موقع
دفاعي ، أوفي داخل هذا الموقع ، بضربة نيران وبكل صنوف الأسلحة
وعندما يخترق العدو الموقع أو يلتف عليه ، نحاول تقويم الوضع
بهجمات مضادة محلية مبدئيا ، وينبغي أن تقاتل الوحدات الدفاعية
عادة دون أي تفكير بالتراجع .

وليس من الممكن على الجبهات المنفصلة أن تقوم بالهجوم
المضاد الخارجي ضد خصمها الذي اخترق مواقعها الدفاعية أو التف
عليها ، إلا إذا كانت تملك قوات متفوقة كما ونوعا ، وفي قوة
النيران والقوات الجوية ، ولم تلعب القوات المدرعة الإسرائيلية دوراً
أقل أهمية من دور السلاح الجوي ، فقد اندفعت المجموعات
المدرعة ، بعد تحقيق السيادة الجوية وتعطيل المطارات دون أن تهتم
بأجنحتها أو مؤخراتها ، تماما كما حدث في الحرب العالمية الثانية
عندما هاجمت القوات الهتليرية كل أوروبا واجتاحتها وأدى وصولها
إلى مؤخرات المواقع الدفاعية الأوروبية إلى انهيار المقاومة ، غير أن
تكتيك التثبيت والالتفاف لم ينجح ضد الاتحاد السوفيتي ، وبهذا
الشكل شلت فاعلية الحرب الخاطفة ، وتعرضت أرتال المدرعات
الألمانية لهجمات مضادة محلية على أجنحتها ومؤخراتها ، كما لعب
الأنصار السوفييت دوراً حاسماً في تثبيت وإشغال ما لا يقل عن خمس
عشره فرقة ألمانية ..

ولقد تحققت المفاجآت الإسرائيلية في المجال التقني أساسا،
فمن المعروف أن كل جيوش دول المواجهة كانت محتشدة ، ومن
المعروف أن هيئات العمليات في هذه الجيوش كانت مقتنعة منذ زمن

طويل بضرورة البدء بالضربة الجوية الأولى والسيطرة على المطارات الإسرائيلية وشلها قبل أن تبدأ إسرائيل ضربتها .

- برأيك ما هو نوع المفاجآت التي تحققت في هذا المجال .. ؟

- مما لاشك فيه أن القنابل المتفجرة الجديدة التي استعملها الإسرائيليون في ضرب المطارات ، وتعطيل مدارجها ، كان لها أثر كبير فهي مزودة بجهاز يكبح إسقاطها السريع ، فتفجر بعد أن تلتصق بطبقة الإسفلت في المدارج وتحدث بهذا الشكل حفرة ضخمة قطرها (٧) امتار وفي المدارج المجهزة تجهيزا حديثا والصالحة لإقلاع وهبوط الطائرات الأسرع من الصوت ، تحدث القنابل التقليدية أضرارا بسيطة ، وغالبا ما تصطدم بالمدرج وتقفز وتنفجر خارجه .

وقد استخدم الإسرائيليون كذلك كل طائراتهم دون استثناء بعد أن سلحوها حتى أنهم استخدموا " الأوراغان " و " الفوغاماجيستر " وزودت الطائرات الأولى بالصواريخ (١٢ صاروخ عيار ٨٠ مم) أو (١٨ صاروخ عيار ٦٩ مم) واستخدمت هذه الصواريخ ضد الدبابات في غزة ورفح وخان يونس ، ولم يكن من الممكن استخدام مثل هذه الطائرات في المعركة لولا تحقيق السيادة الجوية المطلقة التي توصلوا إليها بفضل التدريب العنيف للطيارين ، وأهمية القوام الفني والتقني للمطارات!

- يقال أن إسرائيل طبقت نظرية الجنرال وايزمان الذي قال لبن غوريون ذات يوم " ينبغي أن ندافع عن أجواء تل أبيب فوق أجواء القاهرة " .

• نعم حدث هذا ، وقد حرص كل المسؤولين الإسرائيليين على إخفاء نواياهم بالعدوان ، فلقد صرح ليفي اشكول أمام البرلمان الإسرائيلي بأن إسرائيل لا تنوي احتلال أي أرض عربية ، كما أنها لا تريد الإضرار بالمصالح الشرعية العربية وفي الرابع من أيار مايو صرح الجنرال وايزمان رئيس هيئة عمليات الجيش الإسرائيلي " إنني لا اعتقد أن حربا على نطاق واسع من الممكن أن تنشب في هذا العام " وبتاريخ الثاني من حزيران " يونيو" وصل شارل يوست ، المبعوث الأمريكي إلى القاهرة ، وكان من المفترض أن يسافر إلى واشنطن مبعوث مصري على مستوى عال جداً " زكريا محي الدين " هذا بالإضافة إلى الاتصالات السياسية والدبلوماسية الدولية الأخرى .

ورغم هذا الانتصار العسكري على جيوش ثلاث دول عربية ، فقد كان هذا الانتصار انتصار تكتيكي وعملياتي " ميداني " أشبه بوصول القوات النازية إلى " دنكوك " في الحرب العالمية الثانية ، ونجاح انسحاب قوة الحملة البريطانية التي وصلت إلى القارة الأوروبية لدعم فرنسا ، وانسحاب بعض القوات الفرنسية معها ..

وقلت للأستاذ ديري ، هل لك أن تذكر لنا أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الهزيمة المروعة .

أجاب : أهم الأسباب ، النظرية الجديدة التي ظهرت بدءاً من مؤتمرات القمة العربية في نهاية عام ١٩٦٤ ، هذه النظرية التي اعتبرت أن معركة تحرير فلسطين هي السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة

العربية ، ردا على نظرية القائد الراحل جمال عبد النـاصر القائلـة بـأن الوحدة هي طريق التحرير ..

وقد أثبت عدوان ١٩٦٧ خطأ هذه النظرية وان هدفها هـو القضاء على مصر التي تعتبر الدولة النواة لأية وحدة عربية ..

ولو أردنا أن نجمل أسباب هذه الهزيمة المروعة في تاريخ الأمة العربية لاوجزناها بالعوامل التالية :

١- التجزئة والإقليمية بكافة أنواعها وأشكالها ..

٢- غياب استراتيجية عربية موحدة واضحة المعـالم ، مـع تطـابق التصميم العسكري مع التصميم السياسي.

٣- عدم وجـود قيـادة سياسـية واحـدة ، لأن القيـادة السياسـية الواحدة هي التي تستطيع إدارة الحرب .

٤- الافتقار إلى التصميم وإرادة القتال ..

وقـد أدى كـل هـذا إلى تهديـد " الأمـن القومـي " فليسـت إسرائيل هي التي كانت مهدده وبحاجة إلى حدود آمنة ، بـل العرب هم الذين اصبحوا الآن بحاجة إلى حدود آمنة.

ولقد أثبت عدوان ١٩٦٧ أن النصر العسكري لا يؤدي إلى تحقيق الهدف السياسي كما قلنا ، إلا أننا ينبغـي أن لا نعـزي أنفسـنا أكـثر ممـا يجـب في أن إسـرائيل لم تفـرض علينـا شـروطها السياسـية بواسطة نصرها العسكري ، ولم تجرنا إلى مائدة المفاوضات المباشرة .

فقد حققت إسرائيل من عدوانها ما لم تكـن تحلـم بتحقيقـه خلال عشرين عاما ، فقد احتلت هضبة الجولان السورية الـتي تعتـبر

خط الدفاع الأول عن دمشق، ودمشق بمرتفعاتها وغوطتها تشكل خط الدفاع الاستراتيجي الأول عن سورية تجاه الغزو الصهيوني الاستعماري ، كما أن إسرائيل احتلت سيناء ووصلت إلى الضفة الغربية من قناة السويس ، واحتلت كل الضفة الغربية الفلسطينية .. وان إسرائيل تشكل بوضعها الحالي حاملة طائرات تستطيع أن توجه طائراتها إلى شواطئ البحر الأحمر ، والى كل الأعماق المصرية والسورية وهذا الخطر لا يعد له ولا يوازيه عدم تحقيقها لهدفها السياسي ! .

- هل لك أن تقدم لنا تحليلا موجزاً للوضع الاستراتيجي بصفتك أحد كبار العسكريين في الوطن العربي يحدد الوضع غير الآمن الذي تعيشه الأمة العربية .

- ثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن أمريكا هي العدو الاستراتيجي الأول للأمة العربية وهي ضالعة في العدوان على هذه الأمة منذ عدوان ١٩٥٦ وحتى يومنا هذا ، وهي صاحبة نظرية " ملء الفراغ " التي سميت بمبدأ ايزنهاور ، وهي صانعة اتفاقية التعويضات الألمانية لإسرائيل ، وكل المساعدات التي قدمت لها في مجالات البحوث العلمية ، والنووية ، والكيماوية ، والبيولوجية ، وهي التي دفعت فرنسا لتسليح إسرائيل وإقامة تعاون بين الدولتين .

وهكذا فان إسرائيل تقوم بدور فيلق أمريكي متقدم للإمبريالية الأميركية التي تريد وراثة الاستعمار القديم ، والسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط " حصل ذلك بعد ربع قرن أثناء حرب الخليج الثانية " وما سيل التصريحات

الأميركية المتتالية عن ضمان التوازن في منطقة الشرق الأوسط " والتزام نيكسون من حيث المبدأ " بإرسال أي عدد من طائرات الفانتوم " للمحافظة على ميزان القوى في الشرق الأوسط " حديث الأحد - الأستاذ أحمد بهاء الدين -" الأهرام " ١٣ شباط فبراير (١٩٧٢) وما حديث ستيوارت سيمنتجون وهذا كان أحد المرشحين السابقين لرئاسة الجمهورية الأميركية ، من أن إسرائيل " حاملة طائرات غير قابلة للغرق " وحديثه عن التسهيلات العملية والمادية المعطاة لها ، وتقديم كل المعنويات لتمكينها من صناعة الأسلحة إلا دليلا ماديا على ذلك! .

- العدو الميداني هو إسرائيل والصهيونية العالمية ، وإسرائيل قاعدة مفتوحة على البحر الأبيض المتوسط ، وعلى الأسطول السادس الأميركي ، تدعمها الإمبريالية الأمريكية ، وظروف تكوينها وسياستها يشكلان منها دولة استعمارية عدوانية توسعيه واستيطانية .

إن وجود إسرائيل في حد ذاته وليداً للاستعمار الأميركي في المنطقة ، وفيما تجسمه وتعبر عنه مطامع ومطامح استعمارية صهيونية موحدة هو ظاهرة عدوان في منطقتنا العربية ، ولن يستطيع العرب ضمان أمنهم وتأمين مستقبل أفضل لأبنائهم إلا بنزع هذه الظاهرة المفروضة عليهم ! .

وقلت للأستاذ أكرم الديري ، لابد للقارئ أن يتعرف على معنى كلمة العوامل " الجيوستراتيجية " .

أجاب : لابد للقارئ من أن يتذكر كلمة " الجيوبوليتيك" وهو علم " سياسة الكرة الأرضية " وهو ثمرة ونتاج

كل من علمي الجغرافيا والسياسة (٢ و٣) رواد الاستراتيجية الحديثة - تأليف ادورميل وآخرين منشورات مكتبة النهضة المصرية- فلجغرافية العالم والموقع الذي يتمتع به أي بلد من البلدان ، ولبيئته ، اثر كبير على وضع السياسة القومية لأي بلد من البلدان في السلم والحرب ، وهذا العلم هو الذي جاء بمصطلحات "آور - أفريقيا" و "أور - آسيا" و "بان أمريكان" و "المناطق الحساسة" و "المناطق المحيطة" و "قلب العالم" و "الجنس المتفوق" و "الحواجز السياسية العسكرية" إلى آخر ذلك من المصطلحات التي يستخدمها الغربيون اليوم ، وكانت أصول هذا العلم هي التي وجهت تحركات هتلر والنازية، ولقد انحدر هتلر إلى هاوية الفشل عندما انحرف عن الطريق السوي الذي رسمه هذا العلم " .

إن إسرائيل تسيطر اليوم على ألوف من الكيلومترات المربعة من الأراضي العربية وقد طرأت عوامل جيوستراتيجية جديدة من جراء هذا الاحتلال ، فمن المعروف في أيامنا هذه أن الدول الكبرى لا تستطيع أن تدخل ضد بعضها بعضا في صراع مباشر بفضل الردع النووي المتبادل ، في حين تستطيع الدول الصغرى " مسلحة من الدول الكبرى بأسلحة تقليدية " خوض حرب محددة ، والقيام بأعمال عسكرية متنوعة ، تبدأ من الحرب الميكانيكية الخاطفة ، إلى حرب العصابات ، وهي سلاح الدول الصغرى في هذا العصر.

ويبرز العامل الجيوستراتيجي بصورة أوضح في الصراع العربي الإسرائيلي فمصر مقطوعة عن سوريا ، تفصل بينهما إسرائيل ، وهكذا فان ما يسمى بالجبهة الشرقية معزول عزلا تاما عن الجبهة الغربية بحاجز بشري وجغرافي وان الصفة المميزة للصراع

العربي الإسرائيلي هي أنه في بؤرة صراع عالمية ، وهي حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ، وتعتبر منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لأمريكا وأوروبا الغربية منطلقاً للهجوم على الاتحاد السوفيتي ، هذا بالإضافة إلى أهمية هذه المنطقة " الجيوستراتيجية " .

أولاً : عندما كان الجنرال ايزنهاور " الرئيس ايزنهاور فيما بعد" قائداً عاما لقوات الحلفاء في أوروبا ابرز أمام مجلس الشيوخ ببيان تفصيلي أهمية الشرق الأوسط وضرورة كسبه لصالح قضية الإمبريالية العالمية ..

ثانياً : الوضع الجيوستراتيجي الذي لا مثيل له في أي مكان في الكرة الأرضية والذي يسمح بإقامة إمبراطوريات عالمية كإمبراطوريات الإسكندر ، والإمبراطورية الرومانية التي تشكل ثلاث قارات " طبعاً هذا التعبير استعماري ويناقض مبدأ التحرر القومي العربي " .

ثالثاً : وقد تعززت الأهمية الجيوستراتيجية لهذه المنطقة بواقع جيو - اقتصادي ذي مدلول عالمي في السلم والحرب هو البترول ، وما يجري اليوم في الخليج العربي وفي الجنوب العربي من الوطن العربي من تحد يبرز فيه عامل جيوستراتيجية المنابع البترولية - ومحاولة التحكم بالعبور البرزخي ، ومحاولة إقامة قواعد عسكرية متقدمة للإمبريالية الأميركية في المنطقة مشابهة لما حدث في فلسطين .

رابعاً : إن الشرق الأوسط يتضمن المضائق الثلاثة التي تفصل البحر الأبيض المتوسط عن خلجان السويس ، والعقبة ، والخليج

العربي ، وبعبارة أخرى بين المحيط الهندي وآسيا الجنوبية والشرقية .

" مجلة الدفاع الوطني الفرنسية - عدد كانون الأول ديسمبر - ١٩٧١ " ولهذا حاولت إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ بلوغ خليج العقبة ، وأنشأت ميناء ايلات ، كما احتلت شرم الشيخ عام ١٩٥٦ ، وفي عدوان ١٩٦٧ احتلت مضائق " تيران " واندفعت إلى قناة السويس .

إن إسرائيل والوجود الصهيوني الإمبريالي ليس بعيدا عن احتلال الجزر الثلاث في الخليج العربي الذي قامت على شواطئه أعرق الحضارات ، ومما لاشك فيه أن وراء هذا العمل عملاً استراتيجيا شاملا يستهدف حصار الوطن العربي. وسد كل المنافذ عليه بقصد الإجهاز عليه ، وإبقاء ثراوته حكراً للاستعماريين وإذا أضفنا إلى كل هذا تحركات الأسطول السادس الأميركي ، وإعداد ميناء بيريه اليوناني ،ومحاولات الضغط على قبرص ، يبدو الوضع الاستراتيجي واضحا كل الوضوح ، محاولة أحكام الطوق حول الأمة العربية من مدخل الخليج العربي تقوم به أمريكا وإيران ، ومحاولة خنق في البحر الأحمر تقوم به أمريكا وإثيوبيا والسيطرة الأميركية على منافذ البحر المتوسط الشمالية الشرقية ، والسيطرة على أهم اختناق في البحر الأبيض المتوسط يمتد من ميناء " بنذرت " إلى صقلية بعرض (٩٠) ميلا ، ومحاولة إعادة السيطرة على مالطة بواسطة حلف الأطلنطي وبريطانيا ، هذا بالإضافة إلى حركة الأساطيل الأميركية في المحيط الهندي ، والوجود الأميركي في البحر الأحمر .

وقلت للأستاذ الديري :

• ماذا تقول عن اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة الذي انبثق عن ميثاق طرابلس ، ثم بيان بنغازي من السابع عشر من نيسان إبريل وانضمام سورية إليه بعد قيام الرئيس حافظ الأسد في السادس عشر من تشرين الثاني " نوفمبر " ١٩٧٠ بحركته التصحيحية في سورية .

أجاب الأستاذ أكرم الديري بالقول :

• سأحاول اختصار الرد على الآثار الاستراتيجية للاتحاد كما يجب أن تكون :

أولاً : الاتحاد – أو الوحدة – عامل استراتيجي أساسي في مواجهة الصراع العربي – الإسرائيلي الإمبريالي – وهو الرد العملي على هزيمة حزيران ومن المفترض أن سياسة اتحاد الجمهوريات ا لعربية المتحدة الثلاث هي تحرير الأراضي العربية المحتلة وتحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي الاستيطاني ، وبوسع الاتحاد أن يضع لهذا الغرض استراتيجية شاملة سياسية واقتصادية وعسكرية وإعلامية ، وبوسع مجلس رئاسة الاتحاد وضع استراتيجية قريبة وبعيدة المدى إزاء قضيتي الحرب والسلم ، وعندما يتم وضع مثل هذه الاستراتيجية تستطيع دول الاتحاد التمتع بحرية عمل سياسية واسعة ، وأن تستخدم مختلف وسائلها، على أن يكون التصميم السياسي متفقا عليه ، فبدون تصميم سياسي ومضمون سياسي للاستراتيجية الشاملة لا يمكن وضع استراتيجية عسكرية شاملة بمرحله ومنهجيه .

ثانياً : الاتحاد عامل أساسي من تحقيق التكامل الاقتصادي وتعبئة الطاقات والموارد للاكتفاء الذاتي ولمعركة المصير .

إن بوسع مجلس التخطيط والشؤون الاقتصادية تحقيق مشروعات اقتصادية هامة لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الثلاث وخاصة في مجال البترول، والصناعات المعدنية والحربية ، والتطوير الزراعي ، وإقامة صناعة للآلات والجرارات الزراعية ، وإعادة التأمين وتوحيد النقل البحري والجوي ، والتجارة والسياحة وإقامة مشروعات اقتصادية أخرى تشكل دعامة من دعامات الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية .

ثالثاً : إن تحقيق الوحدة السياسية يستتبع بالتالي تحقيق وحدة عسكرية حقيقية إن الشكل الذي يتخذه الصراع العربي الإسرائيلي يحتم معالجة أمن الدول العربية لمواجهة إسرائيل على أساس قومي لا على أساس إقليمي ومن المؤكد ان وحدة القيادة على المستوى السياسي والعسكري ضرورية جدا في هذه المرحلة وستكون أثراً من آثار هذا الاتحاد بالالتزام

وهنا لابد أن نؤكد هذه الحقيقة بالمشاهد التاريخية ، فقد كان نابليون بونابرت يعتبر ان وحدة القيادة على المستوى السياسي والعسكري ضرورية جدا في هذه المرحلة وستكون أثراً من آثار هذا الاتحاد بالإلزام.

وهنا لابد من أن نؤكد هذه الحقيقة بالشواهد التاريخية ، فقد كان نابليون بونابرت يعتبر إن وحدة القيادة هي " أولى

الضروريات في الحرب " ولكن معظم المؤرخين والنقاد العسكريين أجمعوا على أن وحدة القيادة غير ممكنة إلا عندما تكون الإدارة السياسية والعسكرية بيد هيئة واحدة وقد أضاف نابليون إن قائدا سيئا واحدا يقود بمفرده (قائد عام) أفضل من قائدين جيدين)

ثم أضاف نابليون قائلاً ما يلي: " لاشيء أكثر أهمية في الحرب من وحدة القيادة وعندما لا نخوض الحرب إلا ضد دولة واحدة ، ينبغي أن لا يكون هناك سوى جيش واحد ، يقوده قائد واحد .

وقد عبر الجنرال " جوفر " في الحرب العالمية الأولى عن المعنى ذاته عندما قال في عام ١٩١٥ " إن وحدة القيادة تفرض ذاتها في كل عمل حربي لأنها تشكل الشرط المطلق للنجاح " .

وهناك مبدأ أساسي في أسلوب قيادة العمليات يتمثل بوحدة الحرب ووحدة القيادة التي تديرها .

ويؤكد هذا المبدأ ضرورة وجود مستوى عال للإدارة والقيادة ، ومن الممكن توفير مثال هذا المستوى السياسي القيادي ضمن إطار اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة ، ومن الممكن أن تتم اجتماعات دوريه لرؤساء الحكومات التي تقبل بقومية المعركة أو ممثلين عنهم تتخذ فيها القرارات المتعلقة بالاستراتيجية العليا وتكون ملزمة لكل الأطراف .

والتاريخ زاخر بأمثلة التعاون العسكري الذي لا يتسع المجال هنا لشرحها بالتفصيل وأخص بالذكر منها لجنة رؤساء الأركان لجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية اثر مؤتمر " اركاديا " الذي

انعقد في كانون الأول ديسمبر ١٩٤١ وكانون الثاني " يناير ١٩٤٢ " وكانت هذه اللجنة أهم المنجزات في تاريخ حروب الوحدات والتحالفات ، وقد علق على تشكيلها الجنرال " مارشال " رئيس هيئة أركان حرب القوات الأميركية المسلحة آنذاك قائلاً :

" لم يتخذ الحلفاء في ساحة المعركة مبادرة أهم من هذه المبادرة ، ولا ابعد أثرا على قيادة الحرب وإدارتها " .

ولو أخذنا الروابط القومية التي تربط بين الدول العربية ، تلك الروابط النابعة من وحدة الأرض العربية ووحدة تراثها الحضاري ، ومن وحدة عقيدتها لوجدنا أن كل هذه الروابط تسهل الوحدة العسكرية كنتيجة طبيعية لوحدة النضال والمصير .

وتتطلب وحدة حشد كل القوى الجاهزة على حد تعبير الجنرال " فوللر بقيادة قائد واحد على مسرح العمليات الرئيسي الذي ينبغي أن تحسم فيه المعركة ويتطلب حشد الطاقات والوسائل من هذا القائد أيضاً تحديد صفة الحرب التي يخوضها ، وشكلها العام ، واحتمالاتها ، وشروطها ، وعلاقاتها بالأوضاع الدولية، ومن ثم لابد للقائد العام من تقييم هدف الحرب السياسي وأضاف " كلافيتز " قائلاً " إن أول مهمات القائد العام ورجل الدولة كامنة في التقدير الصحيح لنوع الحرب التي يقومان بها حتى لا يعتبرانها غير ما هي عليه حقا ، ولكي لا يحاولا أن يجعلا منها شيئاً لا تسمح به الظروف " و " لابد من أن يتلاءم الهدف السياسي مع طبيعة الوسائل التي نملكها " وقد يبدو لأول وهلة أن التنسيق العسكري بين جيوش دول الاتحاد مسألة سهلة، والحقيقة ان كل

العسكريين الذين عالجوا موضوعات التنسيق بين جبهات متباعدة بهذا الشكل وجدوا أنها مشكلة معقدة ، وبخاصة عندما يتطلب الأمر نقل قوات من جهة إلى أخرى .

وقلت للأستاذ أكرم الديري:

- كثر الحديث عن إقامة دولة الطوق حول إسرائيل كضرورة قومية ، ماذا يعني ذلك ، وما مدى حصار إسرائيل لو قامت مثل هذه الدولة (الطوق) .

- إن دولة الطوق التي يسعى كل المؤمنين بالعروبة إلى إقامتها ضرورة قومية بالفعل لتطويق العدومن الجنوب والشمال .

ولكن هذا الواقع يخلق صعوبات استراتيجية هائلة .. فبوسع الجيش الإسرائيلي أن يقاتل دفاعا وفي عدة جبهات بآن واحد ، نظرا لتركيبه الدفاعي ووضعه المركزي ، فالاستراتيجية مملكة الكتل والمساحات والمهل الزمانية الكبرى كما قال " كلاوفيتز " لهذا فان الهجوم من عدة جبهات لا يعطي في المساحات الواسعة " المجال الاستراتيجي " نفس النتائج التي يعطيها في مجال التكتيك ، كما أن ميزة الخطوط الداخلية التي يتمتع بها خصمنا تزداد مع اتساع المساحات التي توجد فيها هذه الخطوط ، ولن يتحقق حسم المعركة معه إلا عندما تستطيع الجبهة السورية الوصول إلى سهل عكا ، في الوقت الذي تكون فيه القوات المصرية قد عبرت قناة السويس واجتازت مساحة لا بأس بها من أرض سيناء ، وفي الوقت الذي تدفعه القوات المسلحة العربية في كل الجبهات ، كما تدفعه المقاومة الفلسطينية إلى توزيع قواته الجوية على عدة جبهات بآن واحد ، والاهتمام بآمن مؤخراته وهنا تلعب الجبهة الشرقية بكاملها دورا أساسيا في المعركة وهكذا فان الوحدة العسكرية الحقيقية للدول التي تقرر وضع إمكاناتها العسكرية تحت تصرفها، تستهدف أول ما تستهدف تضافر كل الجهود نحو هدف واحد وبما أن العدوالمدعم

بالإمبريالية الأميركية هو عدو واحد ، ويفكر هو وأركانه على نسق واحد، إذن لابد لمثل هذا الاتحاد من تطبيق مبدأ " وحدة الحرب " مهما كانت أشكالها ، مستندة إلى تصميم سياسي واستراتيجي واحد ، فخطة حرب واحدة، وضمن هذا الإطار تؤمن وحدة إدارة العمليات العسكرية بخطة ميدانية واحدة ، وبخطة عمليات موحدة تراعي فيها المراحل المتوافقة مع الإمكانات والوضع العربي والدولي .

ومن الممكن أن تتضمن خطة الحرب دورا دبلوماسياً أو نفسانيا تقوم به هذه الدولة أو تلك طبقاً لامكاناتها وارتباطاتها على أن تتضمن بالتأكيد تضامنا استراتيجيا للجبهات لا يسقط دور المقاومة الفلسطينية خلف مؤخرات الجيش الإسرائيلي وكثورة تحررية من الاستيطان الصهيوني .

إن الصراع العربي الإسرائيلي يتطور تطورا خطيراً يهدد أمن الأمة العربية كلها ومن هنا فان الاتحاد خطوة على طريق تعبئة كل القوى العربية في وجه التحالف الإمبريالي الصهيوني في خدمة قضية واحدة ، وفي قوة عسكرية وسياسية واقتصادية وديمغرافية واحدة

إننا نخوض اليوم معركة عادلة من أجل الدفاع عن النفس، لابد أن تكون كلمة الله وكلمة الحق فيها هي العليا مهما بغى البغاة وطغى الطغاة ، ورغم البغي والطغيان ، فان إرادة الإنسان العربي ستنتصر وسنحيا أحرارا بأذن الله .

القاهرة ١٩٧٥

صـــلاح خلـــف



(أبو ايــاد)

عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

(من قال أن الكفاح المسلح قد انتهى أو توقف ، نحن عندما أعلنا بدء الثورة كنا نقدر تماما أن العدو الإسرائيلي لن يتراجع عن بوصة من الأرض دون كفاحنا).

صلاح خلف : مناضل من فلسطين العربية ، حمل في عينيه ينابيع الفرح والأمل والعودة ، رغم مأساة التشرد والغربة والضياع انه يعشق العمل الثوري النضالي الحقيقي .

من وجهه تُحس بالربيع يندفع اندفاعاً ومن شفاهه تخرج الكلمات مثل عروس خجلى تود الرد على المولعين بها بأجمل الكلام .

انه لم يتغير منذ أمد بعيد ، انه مازال يعرف الطريق إلى الأمل ، يعرف كيف تكون دقات القلب ، وكيف تبني السعادة في واقعه ، وكيف تنتقل من الخيال إلى الواقع .

انه من وسط فلسطيني فقير ، خرج من بين أفواه جائعة وسواعد مفتولة تبحث عن طريق .

انه يبحث دائماً عن فلسطين المحررة ، ولا يفوته موقف ولا تخونه فرصة اتخاذ القرار .

لقد استطاع أن يفهم واقع شعبه ، واستطاع أن يدفع الآخرين باتجاه الأمل والعمل والنجاح .

هذا الوطن العربي ، وطن التحدي ، وطن استمرار الحضارة ، وطن عمالقة الفكر والسواعد ، وطن الثوري والمناضل والمقاتل هو وطنه الذي يعمل من أجله ليل نهار .

إرادة الإنسان هي الصخرة التي يتكسر عليها المستحيل ، وهذا ما نشاهده دائماً في كل حركات وثورات الشعوب .

" أبو إياد " الثوري الملتزم معنا في هذا الحوار .

- قلت له : من هو صلاح خلف

- ضحك ثم قال هو " أبو إياد " الفلسطيني المشرد الذي يبحث عن وطن ضائع ، هو صلاح خلف ابن فلسطين الذي ولد في مدينة " يافا " التي احتلت عام ١٩٤٨ من قبل قوات العدو الإسرائيلي .

- هل تذكر اليوم الذي تركت فيه يافا وخرجت مع أهلك إلى ديار الغربة .

بكل تأكيد ، لقد خرجنا من يافا تحت وابل من الرصاص والقتل الذي مارسته المنظمات الإرهابية الصهيونية " شتيرن " "والارغون " دون رحمة أو شفقة بأحوال الأطفال والشيوخ المسنين والنساء والعواجز ، لقد كان مشهداً لن أنساه طوال حياتي .

لقد كانت يافا عروس المتوسط ، وكنا نعيش فيها حياة هادئة رغم الاحتلال البريطاني الذي راح يساعد العصابات الصهيونية بالسلاح والمال ، وفتح لهم كل النوافذ لارتكاب المذابح ضد السكان العرب في قبيه ونحالين ودير ياسين وغيرها من القرى والمدن الفلسطينية ، مما جعل الأهالي العرب يعيشون في رعب ، وهذا ما ولد الحقد في نفسي كطفل ضد الإنجليز واليهود معا ، لأن الإنكليز ساعدوا أعداء بلادي على اغتصاب بيوتنا وأراضينا وأملاكنا ، وكان هذا الموقف من قوات الاحتلال البريطاني واضح لنا حيث الانحياز الكامل لليهود ، إضافة إلى أن الإنجليز كانوا يمارسون القمع ضد شعبنا المناضل لكي يتوقف النضال ضد الإسرائيليين .

بعد أن تركنا يافا التي هاجمها اليهود بمساعدة الإنجليز ذهبنا إلى غزة التي ولد فيها أبي حيث عشنا حياة قاسية لا مجال على ما اعتقد لذكرها هنا .

- قلت للأخ صلاح خلف :
- وبعد غزة إلى أين ذهبت ، وأين أكملت تعليمك ! .
- أجاب ذهبت إلى القاهرة وفيها أكملت تعليمي .
- اعتقد بأن اللقاء بينك وبين الأخ ياسر عرفات قد حصل في القاهرة .
- نعم وكان ذلك أثناء دراستنا هناك ثم انتقلنا إلى الكويت بعد أن أقمنا منظمة فتح .
- ثم انتقلتم إلى سوريا على ما اعتقد .
- لقد فتحت لنا سوريا أرضها ومخازن سلاحها وقد لعب الرئيس **حافظ الأسد** دوراً بارزاً في مدنا بالسلاح والرعاية الكاملة وإقامة الصداقات مع المسؤولين آنذاك ، مما دفعهم لدعمنا ومساعدتنا في بدء الكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين .
- وقلت للأخ " أبو إياد " هل انتهى الكفاح المسلح الذي نادت به حركة فتح مع بدء انطلاقتها وأصبح مشروعكم السياسي هو الوحيد الذي تؤمنون به وتعملون من خلاله .
- بكل عصبية ، وبعيدا عن الهدوء الذي عرف به أبو إياد أجاب من قال أن الكفاح المسلح قد انتهى أو توقف ، نحن عندما أعلنا بدء الثورة كنا نقدر تماماً أن العدو الإسرائيلي لن يتراجع عن

بوصة من الأرض دون كفاح ولكن مع كل هـذا المفـروض بنـا كفلسطينيين مشردين في كل أصقـاع الدنيـا أن نفـرض قضيتنـا على العالم من خلال الحوار والنـار ، ونحـن عندمـا نعلـن قبولنـا للحوار ، هذا لا يعني أننا سنتوقف عن الكفاح المسلح ، فللثـورة وجهان ، وجه نضالي ثوري ، ووجه سياسي نعمل من خلالهمـا لاستعادة حقوقنا المغتصبة .

إن انتفاضة شعبنا العظيم في الأراضي المحتلة خير شاهد علـى ما أقول لقد انصهر الشعب كل الشـعب في صفـوف المقاومـة معلنا رفضه للواقع المرير الذي هو عليه .

وهذا نوع من استمرار الكفاح ، واحب أن اشـير هنـا بكـل صـدق أن الكفـاح المسـلح وبكـل أنواعـه سـيعود إلى سـاحة الصـراع العربـي الإسـرائيلي وبكـل قـوه إذا لم تسـلم إسـرائيل بحقوق الشعب الفلسطيني في إعادة أراضيه وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف .

خذها علـى لسـاني لـن نوقـف الكفـاح المسـلح ، ولـن نسـقط البندقية الفلسطينية مهما كانت حدة الصراع ، ومهما دفعنا من شهداء وخسائر وتضحيات .

- وحول الاستيطان الصهيوني وإقامة المسـتعمرات وجلـب يهـود العالم إلى فلسطين سألت أبو إياد وقلت :

- عندما أقيمت دولة إسرائيل فوق ترابنا الفلسطيني وعلى أنقـاض حقوقنا وطرد شعبنا ، فإن أول ما قـامت بـه تلـك الدويلـة هـو

الحفاظ على الأسس التي أرستها الصهيونية في كل مؤتمراتها والتي حددت بالنقاط التالية :

أولاً : الهجرة اليهودية الصهيونية إلى فلسطين .

ثانياً : الاحتلال للأراضي العربية الفلسطينية .

ثالثاً : التهجير لشعبنا العربي الفلسطيني .

رابعاً : التهويد ، وذلك بفرض الهوية الصهيونية الإسرائيلية على الأرض والإنسان والحقوق والتراث .

والذي يهمنا من هذه النقاط التي ذكرتها هو التركيز على موضوع الاستيطان لما له من خطورة كبيرة على حقوقنا التاريخية في الأرض والمصير .

ماذا تقول عن الاستيطان ، وهل معني بهذا الأمر الصقور والحمائم في إسرائيل.

- صمت أبو إياد قليلا ، ثم راح يستجمع أفكاره وأجاب .
- يكفي أن نعرف جيدا أن الاستيطان هو أحد الأسس الرئيسية في بناء الدويلة الصهيونية الإسرائيلية ، وإنها الوسيلة والهدف في آن واحد لدى مخططي النظرية الصهيونية ، ولنتذكر جيداً الادعاء الباطل الذي يرفعه الصهاينة على مر مراحل مؤتمراتهم والذي يقول :

" إن فلسطين أرض بلا شعب ، ونحن شعب بلا أرض "

ولنتذكر الادعاء الباطل أيضاً والذي يقول :

" إن فلسطين هي أرض الميعاد "

ولنتذكر أيضا إن عملية الاستيطان هي مسألة استراتيجية يمارسها الصقور والحمائم على السواء، حيث لا يمكن في أي مرحلة من المراحل التخلي عن هذه المسألة وإدراجها في بنود النسيان، لأن العدو الصهيوني بالأصل مرتبط بهذه المسألة.

ولأن دور إسرائيل بالأصل هو خلق الواقع الاستيطاني، والذي يجب أن لا يغيب عن ذاكرتنا أبدا، هو أن الاستيطان الصهيوني الإسرائيلي أول ما بدأ خطواته الأولى كان بالتوجه نحو العمق الفلسطيني لأراضي فلسطين الطبيعية، والتي يطلق عليها أراضي فلسطين قبل عام ١٩٤٨ والتي على أساسها بنيت دويلة العدوان الإسرائيلي.

إن مرور الزمن على الجريمة لا يعني أبدا طمس معالمها أو تحويلها إلى لغة مشروعة، ولا يعني أبداً الانصياع إلى الأمر الواقع، وان الذي يبنى على باطل فهو باطل إلى نهاية الأجيال والأزمان.

لهذا فان إدراج الأراضي الفلسطينية التي بنيت عليها دولة إسرائيل في عداد الاستيطان والمستوطنات، إنما هو أمر جوهري وضروري للعدو مهما كانت الأمور والمحصلات والأزمان.

لذلك حتى نبقى نذكر الأجيال بتلك الأرض المسروقة، والتي ستبقى حقا عربيا على مدى الحياة، وحتى

يكون من مهام الثورة دائماً التوجه نحو هذه الأرض التي هي الحق الواضح لشعبنا العربي الفلسطيني والذي تعود العالم على تسميته اليوم في مسألة الاستيطان والمستوطنات الإسرائيلية اليوم هي التوجهات نحو أرض ١٩٦٧ وما تبعها و لم يدخل في تسميتها مثل أرض الضفة الغربية وغزة والجولان وعمق الأرض الفلسطينية المحتلة .

- السؤال لماذا ازدادت التوجهات الصهيونية الآن نحو بناء المستعمرات بشكل مكثف وسريع ومتواصل .. !

- لاشك أن إقامة المستعمرات الصهيونية هو عمل عدواني استراتيجي لإسرائيل ويعد أساسا من أسس وجودها ، إن إيجاد مستعمرات جديدة وبشكل مكثف في غزة والجولان والضفة ، إنما هو عمل يضاف إلى الخط الاستراتيجي ومفاده إيجاد دفرسوار سكاني بحيث يخدم إسرائيل ومصالحها .

ومهما يكن فما على العرب إلا أن يفتحوا أعينهم جيدا ، وان ينظروا إلى مسألة الدفرسوار السكاني نظرة فاحص ورافض، حيث مقايضة أرض بأرض ، وسكان بسكان ، إنما هي ورقة لعب بيد إسرائيل ستضعها على مائدة المفاوضات في الوقت المناسب .

وحتما يجب أن يكون الرفض هو التمسك الأكيد والممارس لاستراتيجية التحرير والالتفاف جميعا يدا واحدة للقضاء على هذا السرطان الاستيطاني قبل أن يستفحل شره ، وعندها لا ينفع الندم .

- وقلت للأخ أبو إياد ، هناك إجراءات تقوم بها إسرائيل ، مثل الحد من الحركة والتنقل لعرب المناطق المحتلة سواء تجاه الداخل

أو تجاه الخارج وتنقلهم المحدد و الجزئي مرهون بموافقة السلطات العسكرية الإسرائيلية بشروط قاسية جدا ، كما أنه هناك التدخل العسكري في حياة المواطنين اليومية ، حيث أن المواطن الفلسطيني مهدد بالتوقيف والسجن ، ماذا تقول في مثل هذه السياسة.

- أجاب الأخ أبو إياد :

لاشك أن من يتابع هذه السياسة الإسرائيلية ، يلمس فورا الغاية منها ، وهي خلق وقائع اقتصادية واجتماعية وثقافية وأمنية جديدة تجعل من مسألة ارتباط الإنسان العربي بأرضه ضعيفة ، ودخوله الهيمنة الإسرائيلية يشكل قيداً لا يمكن تجاوزه .

ومن زاوية السياسة الاقتصادية التي تتبعها إسرائيل لخلق وقائع جديدة هي دمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، واستغلال طاقة العمال العرب الكثيفة والرخيصة في نفس الوقت ، وإتباع سياسة غير متوازية وتمييزيه بين المشروعات الاقتصادية الإسرائيلية والعربية لأبناء شعبنا في الضفة والقطاع.

هذه هي الحكاية ، استعمال كل الطرق من أجل هدف واحد ، هو تهويد الأرض والإنسان والتراث ، وليس أمامنا سوى طريق واحد ألا وهو استمرار الانتفاضة ورفض الأمر الواقع حيث ان إسرائيل قد صعدت من هذه السياسة، وفي نفس الوقت زادت من عدد المستوطنات في الضفة والقطاع والجولان .

- وقاطعت الأخ أبو إياد وسألته ، هل تستطيع الآلة الحربية الصهيونية أن تلتهم المسألة الأساسية وهي إنسان الأرض..!
- بانفعال ظاهر وبصوت مرتفع أجاب الأخ أبو إياد على هذا السؤال :

الأمل التاريخي ليس مجرد حلم أو أمنيات ، بل هو نتيجة لعدة عوامل وعدة شروط متفاعلة ، حيث هناك مقدمات وتفاعل ونتائج وللتاريخ منطقه الذي يستند أساسا على تلك العلاقة الجذرية بين الأرض والإنسان ، أما القوة المسيطرة الدخيلة على حركة التاريخ هي مؤقتة مهما تمكنت من قوتها ومن سيطرتها ضمن بوتقة الحاضر .

ولنقرأ ما حاولت أن تفعله الصهيونية من خلال كيانها إسرائيل تجاه الأرض والإنسان ، لقد وضعت جل همها في عملية السيطرة على الأرض ثم سرقتها وتهويدها وبكل الوسائل العنيفة ، مثل الحروب والإرهاب المسلح أو بالوسائل الأخرى مثل التحايل ووضع الشروط الموصلة إلى اليأس والرحيل ان ما يميز الصراع العربي الإسرائيلي عن غيره من الصراعات في هذا العالم ان الكثير مما يجري يدور حول السيطرة على الثروة والقرار، بينما في الصراع العربي الإسرائيلي يدور حول قوة بشرية دخيلة على أرض ليست لها بأي شكل من الأشكال وإنها تفعل كل ما في وسعها لسرقتها وطرد سكانها الأصليين الذين هم حلاوة الماضي وعذاب الحاضر وأمل المستقبل .

من هذا المنطلق نعرف لماذا أهداف الاستيطان ، ومن ثم التهويد عبر كل الحروب التي جرت وعبر كل الإجراءات التي مارستها إسرائيل مع عرب الأرض المحتلة.

أما الناحية الأخرى من هذه المسألة فهي إنسان الأرض ، والذي لا جدال عليه ، هو القوة الأعظم مهما كان الحاضر أليماً حيث له الجذور التي تربطه بالأرض ، وله حلاوة العناق من خلال الحضارة التي تربطه بإنسانها، وله عذاب الحاضر وآلامه ونضاله ، وله أمل المستقبل من خلال ترابط حلقاته المؤدية لمحصلة حتمية .

- وقلت للأخ أبو إياد ، إذن لعبة التهجير هي لعبة قديمة في السياسة الصهيونية، والتي لا تنفصل تكتيكيا ولا استراتيجيا عن سرقة الأرض العربية .
- أجاب : بكل تأكيد والذي ينظر إلى هذه السياسة يلاحظ الكثير من الإجراءات العسكرية والأمنية والاقتصادية واللوائح الإدارية التي صدرت والتي فيها حرب واضحة ضد السكان العرب الفلسطينيين من أجل طردهم.

لهذا كله لا نستغرب أبدا تلك الإجراءات اللا إنسانية (التي تقوم بها حكومة العدو ضد أهلنا والتي لم يعرف التاريخ النازي مثيلا لها في وحشيتها وقذارتها وابتعادها عن منطق الأخلاق والإنسانية .

- وقلت للأخ أبو إياد :

الكيان الصهيوني يتابع عدوانه على امتنا العربية بشكل عام وعلى شعب فلسطين بشكل خاص ، وفي كل مرحلة له هدف مرحلي ، وله وسائل وأدوات ، وهذه المرحلة تتصف بتهويد ما تم الاستيلاء عليه بعد عام ١٩٦٧ .

لكن السؤال الآن هو : هل استطاعت امتنا العربية أن تأخذ أهداف ومخططات إسرائيل بعين الحذر وبنوع من المسؤولية لحماية الأرض ، وتطويق تلك الأهداف الشريرة ..!

- بعد صمت طويل ، وتدخين سيجارة قال أبو إياد :

هناك بعض من يعطي كل شيء من أجل العروبة وفلسطين ومن أجل التحرير وشعبنا العربي الفلسطيني أعطى ويعطي بلا حساب ، ولكن من المؤسف حقا هناك من يقف معاديا لأهداف ومصالح أمتنا العربية ، وقد كشفته الجماهير الواعية ووضعته على الجانب الآخر من سطور التاريخ ، وهناك البقية تقف موقف المتفرج أو موقف الشخص الثالث في القضية ، حيث كل مسؤوليته أن يقدم العطف .

إن أهداف عدونا الإسرائيلي واضحة وضوح الشمس كما يقال ، ويمكن التقاط أخطرها على سبيل المثال لا الحصر .

أولاً : هناك هدف استراتيجي شمولي يقول : " إن حدود إسرائيل هي حدود السلاح ، وستبقى هكذا حتى تصل إلى خريطة جغرافية حدودها من الفرات إلى النيل .

تانياً : هناك هدف استراتيجي آخر يقول : " إن عدد السكان الصهاينة مفتوح على الإطلاق ، ولهذا فان إسرائيل غير محددة السكان ، وستبقى هكذا حتى يتم ترحيل كل الصهاينة اليهود من العالم نحو الأرض المسروقة والموضوعة تحت قبضة الاحتلال الإسرائيلي .

ثالثاً : هناك هدف استراتيجي آخر مفاده أن صمام الأمان لإسرائيل هي كونها الحارس المخلص لمصالح أمريكا والاستعمار عموما ، ونستطيع أن نستخلص من ذلك كله أن إسرائيل في وضع اعتداء دائم ، وفي حالة استعداد وتأهب للغزو العسكري ، بعكس ما نحن عليه ، اقصد نحن العرب حيث أن خلافاتنا ومشاكلنا اليومية تنسينا تلك المخططات والأهداف الشريرة .

- وسألت الأخ صلاح خلف ، عن نظرية الأمن الإسرائيلي ، وماذا تريد إسرائيل ان تحقق من هذا الادعاء فأجاب :

- إن الحدود الآمنة تعني الرغبة والأطماع والقدرة على الوصول إلى أي بقعة جغرافية يمكن لإسرائيل أن تنفذ إليها ، فهذا يعني امتداد لحدودها الآمنة .

ولو تعمقنا طويلا في هذه الحدود الآمنة لوجدنا أنها حدود السلاح ، وحدود القدرة على النفوذ والسيطرة تمهيدا للقضم والغزو ، وفي حقيقة الأمر تقف الحدود الجغرافية العربية في تلك المربعات الداخلة في تلك الحدود الآمنة.

ولهذا هناك جغرافية بعيدة وأخرى قريبة ، بل هناك جغرافية يسعى العدو لغزوها وأخرى تركها جانبا لمرحلة قادمة بالتأكيد ، ودائماً هناك تطابق في السياسة الإسرائيلية حيث الحلم الصهيوني يقول " من الفرات إلى النيل " والادعاءات الصهيونية المستمرة بالدين تقول " أرض الميعاد " ومؤسس النظرية العسكرية " جابوتنسكي " الأب الروحي لزعماء إسرائيل يقول :" الحدود هي حدود السلاح " والإرهابي بيغن قال ذات يوم " الحدود الآمنة يعني الوصول إلى تلك الحدود بالذات ، هذا الشيء يفسره تلك السياسة التي تتبعها إسرائيل وفي مقدمتها الدعوة للحدود الآمنة ، وهذه الحدود هي الأولى من نوعها في العالم ، حيث لو قامت كل دولة في العالم برسم حدودها الآمنة خارج حدودها الجغرافية لكان العالم في حالة حرب دائمة ، ولتغير الكثير من القيم والأعراف والقوانين الدولية ، ولأصبح العالم أشبه بغابة وحوش .

وقلت للأخ أبو إياد : دائماً نسمع إسرائيل تقول أنها تريد السلام وتكره الحرب وهي على استعداد لأي تفاوض أو حوار من أجل السلام وتنقل أكذوبتها هذه من خلال وسائل إعلامها ودعاتها في العالم الأوروبي والأميركي ترى هل تعتقد أنها فعلاً تبحث عن السلام .. !

أجاب الأخ أبو إياد :

لقد استطاعت إسرائيل بالفعل أن تكسب العطف والاهتمام العالمي على أنها دولة مستضعفة ، يحيط بها

الأعداء العرب من كل مكان ، وبأن هؤلاء العرب يريدون أن يلقوا بها في البحر ، الخ هذه الأكاذيب والادعاءات ، إلى أن جاءت الانتفاضة الباسلة لأطفال الحجارة وكشفت إسرائيل على حقيقتها تماما حيث هي دولة العدوان والإجرام إن الأعمال الهمجية التي مارسها جنود الاحتلال بأطفال ونساء وشيوخ فلسطين المحتلة تؤكد على أن هذه الدولة لا تريد السلام ولا تبحث عنه ، فالذي يريد السلام لا يقتل الأطفال، ولا يكسر أطرافهم ولا يضع شعبا في السجون والمعسكرات .

وأستطيع هنا أن أؤكد أن العدو الإسرائيلي مستمر في عدوانه وعدائه ، وهدفه الوصول إلى ابعد ذرة تراب عربي ، وهدفه ليس إقامة السلام بل سرقة كل الحقوق والثروات العربية.

الذي يريد السلام ، لا يبحث عن استمرار الاحتلال ، وإقامة المستوطنات وعدم التسليم بحقوق الفلسطينيين المشروعة .

- أخ أبو إياد هناك قاعدة استراتيجية تقليدية تقول :

" إذا عرفت عدوك تكسب ثلثي الحرب " فهل تعتقد أن العرب قد فهموا عدوهم الإسرائيلي بشكل مدروس ، أم أننا نتعامل مع هذا العدو حسب المزاج والضرورة والأحوال .. !

- أستطيع أن أجيب على هذا السؤال بكل وضوح وصدق وأقول .

- أمر عجيب وغريب أن نجد أنفسنا أمام عدو شرس ومتابع في عدوانه وحدوده التي يريدها هي من الفرات إلى النيل ، عجيب أن يكون النفط بعيداً عن المعركة ، والأموال والأرصدة العربية بعيدة هي أيضاً ، إضافة إلى أن معظم الطاقات العربية والجهود والتوجهات لا توظف في سبيل الهدف الاستراتيجي المتمثل في القضية المركزية حتى على مستوى الأفراد وهناك من الأمور التي تدعو للعجب أيضاً تلك الأنباء التي تقرأها في الصحف والمجلات عن أثرياء عرب ، كيف يعيشون ويسرحون ويمرحون ويبذرون أموالهم هنا وهناك لدرجة الغرابة ، وبالوقت نفسه تقرأ الكثير عن نشاط الأثرياء الصهاينة وهم يجمعون التبرعات لحكومة العدو الإسرائيلي .

المطلوب من العرب كل العرب حتى لا تكون أوطانهم في المستقبل لا سمح الله (أوطانا ضائعة) الالتزام القومي وحمل الأعباء والالتزامات والتضحيات الناتجة عنه ، بل والتي هي مبنية عليه .

المطلوب التزام قومي يعادي علنا وفعلا احتلال العدو الإسرائيلي للأراضي التي احتلت ، المطلوب الالتزام الاقتصادي والمالي لدول المواجهة ولمنظمة التحرير وأطفال الحجارة لأنهم عصب التحرك ، وعصب القوة العربية بل عمودها الفقري .

عدونا الذي عرفناه نحن جيدا لا يمكن دحره بالأقوال أو عدم المبالاة بل يدحر فعلا عندما نعرفه جيدا، ونريد له الهزيمة .

لا مكان في هذا العالم لبائس قانط يهرب من لعبة الصراع ، ويهرب من ضريبة الاستمرار في النضال ، لا مكان للإنسان الطائش الأرعن الذي يدخل الصراع بمفهوم السيف والترس وطواحين الهواء ، لا مكان للصوفي الذي يزرع الحب فقط والمبادئ فقط ، ويريد المصلحة فقط ، لأنه يفرض نفسه بين الورود والملائكة وخارج دائرة التصادم ، بينما الواقع عكس ذلك.

العالم يفتح صدره وقلبه وسواعده للذين يتقنون لغة الحياة ، لغة الحق القوي، ولغة قوة الحق ، ولغة المصالح العليا المصانة بالأعناق ، ولغة الحسابات والأرقام، لغة عصر الصاروخ والأقمار الصناعية والآلة المذهلة التي تنتج أكثر مما تتصور .

نحن لدينا كل أسباب الحياة ، وكل أسباب العطاء ، ولكن مع الآسف ينقصنا وحدة الرأي ، وحدة الهدف ، وحدة المصير ، لو كان العرب يتقنون دورهم الجاد في كشف العدو ومن يقف خلفه دفاعا عن وجودهم وأمنهم وأرضهم ، وأتقنوا دورهم في الصراع، لما كانت المأساة ، ولا حتى إسرائيل ..

- وقلت لصلاح خلف

نظرة فاحصة ودراسة للتاريخ تعطينا الدليل على أن أمة العرب هي أمة الحضارة الإنسانية منذ التاريخ القديم ، منذ بدء الكلمة والحركة والعطاء ، والأمة العربية كانت ولا زالت إنسانية الأبعاد ، وعاشت أوروبا في بداية العصر الحديث على شمس الشرق العربي وعلى العقل العربي المنظر للحياة على مداها البعيد - البعيد ، برأيك لماذا وصلنا إلى ما نحن عليه من تجزئه وتخلف وخصامات.

بلهجة حزينة ، وصوت مكسور أجاب أبو إياد :

إنها الديموقراطية ، والحوار ، وقبول الرأي الآخر ، إن مشاكلنا كلها جاءت من خلال الابتعاد عن الديموقراطية الحقه مشكلتنا أن كل حاكم عندنا تناسى حضارتنا الإنسانية ، ونسي أو لم يعرف أن العالم نهض فعلا على عصر الصناعة والتجارة والعلوم والعمران من خلال مخطوطات " الضاد " وطالما أن التاريخ العربي بكل مراحله قد أعطى الإنسانية الحضارة المفروض أن يترك لجيلنا هذا الحرية لكي يشارك ويدعم حضارة الإنسانية فالذي يكون مكمم الفاه ، ومقيد اليدين والأرجل ، لا يستطيع أن يسابق الزمن ، أو يبني حضارة .

عندما تبدأ الديموقراطية الحقيقية في كل قطر عربي ، ويبدأ الإنسان العربي يقول لا للحاكم إذا ما أخطأ ، عندها نستطيع أن نزيل التجزئة والتخلف وننهى الخصومات ، وعندها أيضاً نستطيع أن نكون في مصاف دول العالم الحرة المتحررة التي تتسلح بالحق والحقيقة والعطاء والشموخ .

- وقلت : أخ أبو إياد اعتقد أنني أثقلت عليك بالأسئلة ، ولكن هذا الحوار في ما بيننا سيكون ضمن حوارات عديدة أجريتها مع بعض المفكرين والسياسيين والأدباء لننشرها في كتاب يبقى شاهدا على هذه المرحلة .. وللتاريخ .

السؤال الذي أريد أن اطرحه عليك الآن ، ربما يكون قاسيا بعض الشيء ، ولكنه سؤال لابد منه .

- أجاب أبو إياد : تفضل اسأل ما تشاء .. !

- لاشك أن لكل جواد كبوه ، ولكل أصيل خبوه ، وصلاح خلف ورفاقه في النضال جابهوا الصعاب ، وحدث لهم كبوات عديدة في الأردن ، أيلول ، ولبنان ١٩٨٢ ، ترى هل عاد الجواد يسابق الريح أم أن الكبوة ستطول .. !

- أجاب ، طالما أن هناك عرق واحد ينبض في الحياة والثورة ، لا يمكن لجوادنا أن يركع أو يستسلم ، إننا ماضون على نفس الطريق الذي رسمناه لأنفسنا مع أخوتي الأحباء في الثورة الفلسطينية ، إن ذخيرة الصمود كبيرة وكبيرة جداً ، وهي متجددة باستمرار ، وهي دائماً في خدمة الحق والعدل والسلام، وهي تتابع الخط النضالي حتى آخر رمق ، أما إذا كان الأعداء يتسلحون بأخطاء حصلت من هنا أو هناك ، ويتسلحون بكبوتنا فإنني أقول كما سألت ، لكل جواد كبوه ، ولكل أصيل خبوه ، ونحن مؤمنون بالنصر الحتمي مهما جابهنا الصعاب .

- ثم قلت لأبي أياد ، إن من يصنع التاريخ لا تخيفه أبداً وعورة الطريق ولا صعابها ومسالكها المتعرجة والمتداخلة، ولا يهمه أبداً الحصار الآني السريع، ولا مكاسبه الشخصية ، بل يهمه فقط دفع ضريبة الوعي ضريبة النضال من أجل صنع الغد المشرق .. !

ولكن الذي يصنع التاريخ عليه أن لا يهمل دروس الماضي ، ولا يهمل رؤية اليوم ، ولا يسقط من حسابه الغد ..

هل أنتم في قيادة المنظمة ، والمقاومة وضعتم التنظير الجيد القادر على الرؤية للذات والمحيط بكل واقعية وعلمية ، أم أن الأمور تجري كما تشتهي السفن وتركتم التاريخ يسجل عن ثورتكم ما يشاء ..

- إن امتنا العربية قد أفرزت على مدى التاريخ القادة العظام مثل صلاح الدين الأيوبي ، وطارق بن زياد ، وخالد بن الوليد وغيرهم من الأبطال الذين سجلوا صفحات ناصعة في التاريخ العربي ، ودائماً الأمة التي تختار قائدها التاريخي هي الأمة القادرة على مواصلة النضال والثورة ، والقادرة على تحقيق أهدافها الخالدة ودائماً حين يكون هذا القائد التاريخي قد جسد الأمة في فكره ومسيرته النضالية ، فإن النصر له بالتأكيد .

ونحن في قيادة المنظمة وفصائل المقاومة لم نهمل دروس الماضي أبداً ولقد مارسنا النقد الذاتي داخل صفوفنا وتنظيماتنا بكل حرية وجرأة ناقشنا ما حصل في عمان

ولبنان برؤية علمية وواضحة ، وفي كل أمة من الأمم نجد الخلايا الحية النشيطة التي تستمر مع الحياة ، ولديها الخلايا الميتة الفاسدة التي تعرف كيف تطرحها وتلقي بها في الوقت المناسب .

هذه هي امتنا تصنع تاريخها كما صنعته على مدى الأجيال الماضية ، وسوف تواصل صناعته على مدى الأجيال القادمة .

- وقلت لصلاح خلف ، لقد قابلت العديد من زعماء العالم ، من هي الشخصية أو الشخصيات التي تركت أثراً طيباً في نفسك وأعجبت بها .

أجاب : انهم كثر ، ولكني أحمل إعجابا خاصا بالزعيم الكوبي كاسترو هذا الخطيب النادر ، أنا فخور به .

- أخ أبو إياد من الزعماء الذين بكيتهم عند وفاتهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقد كانت برقيتك التي أرسلتها للحكومة المصرية معزيا فيها ناصر جد مؤثرة حيث قلت فيها على ما أذكر .

" إن عبد الناصر الذي يجسد تطلعات وأحلام الأمة العربية كلها قد سقط في ساحة الشرف ، وستظل أفكاره محفورة في ذاكرة الأجيال المقبلة من الشعب الفلسطيني الذي أعاد إليه ، كما أعاد لكافة الشعوب العربية الأخرى ، الكرامة والأمل ..

السؤال هنا ، كيف كانت علاقتك بعبد الناصر، علما أن الخلافات والمصادمات كانت تحدث بينكم كمنظمة فتح وبين عبد الناصر .

- سقطت دمعه صادقه من عينيه ثم أجاب بصوت حزين..

- فعلا الله يرحم الرئيس ناصر ، لقد كان لنا أباً حنونا وصادقا ، وقد دعم منظمتنا وكفاحنا بكل رجولة ودون أن ندفع المقابل ، كما كان يحدث مع الآخرين ، رغم أننا اختلفنا معه كثيراً في بداية المشوار إلا أنه كان رجل قضية ومبدأ وساند كفاحنا بكل ما يستطيع ثم صمت أبو أياد قليلا وقال أما سقط شهيداً من أجل فلسطين يكفيه هذا ويكفينا أن نبقى مخلصين لذكراه .

- وكان السؤال الذي لابد منه هو ، أين يقف " أبو إياد ورفاقه قادة المنظمات من موضوع الحكم الذاتي المراد له أن يتم .. لو ... تم .. !

- إن جل همهم في إسرائيل هو أن يتحول الحق العربي في الأرض والوطن والسلطة للفلسطينيين من كامل فلسطين إلى خريطة جغرافية مجاورة وصغيرة جداً وهزيله جداً من أجل أن تولد في أناء السكون والموت .

إن الحكم الذاتي للسكان فقط ، ويكون كل شيء فيه تابعا لإسرائيل ، الدفاع والخارجية والأمن الداخلي ، إن حكم الإدارة الذاتية في الضفة وقطاع غزة بدون سيطرة الشعب الفلسطيني على مقدراته واستقلاله في الضفة

والقطاع يعني بقول صريح وجه آخر للاحتلال، ولكن بدعوى إقامة الحكم الذاتي .

لقد جاء في اتفاقية كامب ديفيد المشئومة ، ان الحكم الذاتي ليس سلطة ولا دولة ، كما أنه ليس حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني لذلك أستطيع أن أؤكد ، ونيابة عن كل فلسطيني وليس فقط قادة التنظيمات الفلسطينية إن الحكم الذاتي الذي لا يعطينا حريتنا وأرضنا ودولتنا مرفوض عندنا وأنه يخدم إسرائيل فقط .

- سؤال أخير أخ أبو إياد ، كل ما بني على باطل فهو باطل ، وكل ما أخذ بالقوة ، سوف يسترد بالقوة ، مهما كانت دعاية وأكاذيب الإعلام الصهيوني الإسرائيلي قوية ، ومهما وجدت من آذان صاغية تسمع أكاذيبها وألاعيبها إلى حين .

ولكن السؤال عن الجانب الآخر ، عن الدعاية العربية وإعلامها برأيك لماذا لم تستطيع حتى الآن الدخول إلى أعماق الآخرين رغم أن لديها المضمون الحقيقي الإنساني ، ولديها إمكانية الأدوات للاتصال بما فيها أدوات التقنية الحديثة ، إضافة أنها تملك صوت الحضارة الأصيلة التي تدافع عن نفسها .. !

- هذا سؤال هام ، وأستطيع أن أقول :

أولاً : إن الدعاية العربية تقوم بالأساس على الحق والحقيقة والمثل العليا الإنسانية ، وهذا الشيء عكس ما تقوم عليه الدعاية الصهيونية الإسرائيلية .

ثانياً : إن الدعاية العربية ليست أسلوبا وأداة من أجل تضليل العالم كما هي الدعاية المعادية ، بل هي من أجل كشف أباطيل السياسة الإسرائيلية وإنقاذ العالم من الدعايات المسمومة التي تبثها ضد العرب .

ثالثاً : وهو الأهم : إن الدعاية الصهيونية الإسرائيلية تتجه نحو الكيان الصهيوني الإسرائيلي أولاً : محاولة كسب الأفراد لجانبها وتربطهم بجملة من الأفكار والمفاهيم والعواطف والمعنويات والدعاية تتجه أيضاً نحو العرب لكي تنشر جملة مفاهيم وأفكار خاطئة تؤدي إلى التيئيس والجمود والانكسار والى قبول الذل والاستسلام والانصياع .

والدعاية الإسرائيلية حاولت ولا تزال بكل ضراوة أن تتجه نحو العالم كي توسع من دائرة المؤيدين لها وتقليص دائرة المؤيدين للعرب وإذا كان لابد لنا من تعريه الدعاية والإعلام الإسرائيلي للوصول إلى عقل العالم الحر والى كشف أكاذيبه ، علينا أن نطور المؤسسات الإعلامية والثقافية والأكاديمية ، ورفع الدعاية العربية نحو الأفضل وتزويدها بالإجابات اللازمة لكل الأسئلة المتوقعة لأي إنسان في هذا العالم ذلك الإنسان الذي يبحث عن الحقيقة والعدل والسلام .

المطلوب أن يتكلم الكتاب بلغة أعمق وبتحديد أكثر ، فنحن بلا شك لدينا الحضارة والحقوق المشروعة الواضحة ، والأهداف المقدسة والمحترمة دوليا ، ولدينا إرادة النضال من أجل الانتصار .

هذه الحقيقة يجب أن نعيشها سواء كان ذلك في أجهزة الإعلام أو في أي حوار سياسي مع أي جهة كانت .

إن الكيان الصهيوني قائم على الجريمة واستمرار العدوان ، وإسرائيل هي دائما في موقع الباحث عن الغزو والنهب والتدمير الجماعي للعرب ولكن هناك حتمية واضحة كما قلت في سؤالك ، الا وهي إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، وما بنى على باطل فهو باطل ، وقد حان الوقت لأن يركز إعلامنا العربي على هذه الحقيقة .

ملحوظة : اجري هذا اللقاء قبل استشهاد أبو إياد بشهور قليلة .. !

عدة قضايا هامة مرت بها الأمة العربية في هذا القرن وكانت فحوى الحوارات التي أجريتها ضمن هذا الكتاب مع شخصيات سياسية وفكرية وأدبية تركت بصماتها على صفحات الكتب وصفحات التاريخ .

لقد كانت هموم الجميع مركزه على قضية فلسطين وما حل بشعبها من مآس ونكبات وما حقق من نضال وانتصارات رغم الحصار المفروض عليه وعلى أمل الوحدة العربية ومأساة الانفصال الأسود الذي كان أحد أسباب

نكسه عام ١٩٦٧ ثم ركز الأخوة في حواراتهم على العدوان الأميركي الإسرائيلي على لبنان وأمة العرب وصولاً إلى مؤامرة السلام الكاذب .

تونس ١٩٩٢

حوار مع

أحمد حنيدي

وزير سوري في عهد الوحدة

عبد الله جزيلان

نائب رئيس وزراء اليمن سابقاً





(لقد استطعنا أن نحفظ سورية من كافة المؤامرات
الرجعية ، وقضينا على كافة الأحلاف العسكرية والاستعمارية،
من مشاريع الاستيطان ، إلى مشروع ايزنهاور ، الخ !)

احمد حنيدي

(إن من حق كل مواطن عسكريا كان أم مدنيا ، أن يشارك
في الحفاظ على وطنه ، ومن حقه أيضاً أن يقف بالمرصاد
لأعداء العروبة والاستقلال)

عبد الله جزيلان

السؤال هنا ، لماذا الانقلابات في الوطن العرب في هذه الأيام العاصفة التي تجتازها الأمة العربية ..

ومن خلال الكوارث الرهيبة ، والدموع والجراح والآلام، التي ابتليت بها منذ عام ١٩٤٨ ..

كان لابد من هذه الأسئلة :

لماذا قامت الانقلابات في الوطن العربي ؟؟ ولماذا تحول العسكر إلى سياسيين ؟؟ ورجال السياسة إلى عسكر ؟

لماذا بدأ الرصاص يتكلم في حسم القضايا وحلت الفرقة بدل الوحدة والتضامن ! .

لماذا أصبحنا نتعامل مع بعضنا كأعداء ، ونحن من أمة واحدة ، وتاريخنا واحد ، وأمجادنا واحدة ، وأرضنا واحدة ، ومصيرنا واحد من المسؤول عما وصلنا إليه ؟

العسكر ؟؟ أم رجال السياسة ؟؟

العسكر يتهمون رجال السياسة بالانحراف وجرهم للدخول معهم في تنظيمات وأحلاف تخدم مصالحهم الشخصية والطبقية ، وتمكنهم من الوصول إلى الحكم ، والتشبث بالكراسي، مترفعين على الشعب !! .

ورجال السياسة يتهمون العسكر بأنهم " متسلطون " مفتونون بعضلاتهم وبنادقهم ودباباتهم ، يوجهون سلاحهم إلى صدور شعوبهم بدل ان توجه إلى صدور الأعداء .!

وبحثت عن بعض الضباط الذين شاركوا بانقلابات عسكرية ، وحكموا أوطاناً عربية فترة من الزمن ، استطلعتهم الرأي في كل ما يوجه اليهم والتقيت باثنين منهم :

- الأول : شاب صريح ، ومندفع ، شارك فترة في حكم سورية قبل الوحدة وفي ظلها ، وهو العقيد ، الوزير السوري السابق السيد أحمد حنيدي ..

- والثاني : شاب مؤمن بالتقدم ، وشارك في حكم اليمن الشمالي كنائب لرئيس الوزراء ، ووزير للدفاع والداخلية ، وهو اللواء عبد الله جزيلان !

سألتهما عن سبب تركهما العمل العسكري واتجاههما نحو العمل السياسي ودورهما الحالي كمواطنين ، ورأيهما في الأحداث وتطلعاتهما نحو المستقبل ..

ومن خلال ردودهما الصريحة وجدت أن تكون هذه الصفحات منبرا حرا لتسليط الأضواء على هذه الحقيقة التي تحرك أحداث العالم العربي وتطوراته وصراعاته .

وهي بالإضافة إلى ذلك ظاهرة تشترك فيها بقية شعوب العالم الثالث ! وطموحنا هو أن تكون هذه المحاولة فاتحة حوار طويل نأمل أن يسهم فيه الكتاب وأصحاب التجربة والرأي من مدنيين وعسكريين ، للوصول إلى وضع حد للانقلابات العسكرية المتوالية في وطننا العربي ، ولنصل في النهاية إلى حل مقبول تكون فيه جميع الأطراف ملتزمة عن إيمان وقناعة بالديموقراطية السليمة التي يطلبها كل فرد مؤمن بحرية الوطن ، وحريته لكي يلتفت بعد ذلك إلى

رصد حركات الأعداء في الداخل والخارج ، وليكون كل واحد منا جنديا أمينا ساهرا على حماية وطنه الكبير ..

وفي هذا الحوار نبرز وجهة نظر العسكريين ، فربما نصل إلى الطريق السليم والغاية المرجوة ؟!.

- مع السيد أحمد حيندي !

وكان السؤال الأول هو :

- لماذا اتجهت نحو العمل السياسي رغم كونك عسكريا !.

— وكان الجواب هو :

— لقد تخرجنا في العهد الوطني ٤٥ - ٤٧ بعد الاستقلال مباشرة وكلنا أمل في خلق جيش وطني عربي ، ولكن بعد تخرجنا رأينا المؤامرات الرجعية تحاك ضدنا كجيش وطني أولاً ، وضد وطننا ثانياً :

ولقد خرجت أصوات رجعية متآمرة تطلب حل القوات المسلحة السورية وإنهاء دورها كحامية للوطن والمواطن ، وعاملة لاسترداد الوطن الفلسطيني السليب .

ولقد فكر الرجعيون بإحلال " الدرك " الشرطة حاليا " محل الجيش والاكتفاء بها لحماية حكمهم ومصالحهم ، وهنا شعر الجيش بالإهانة فقام بانقلاب عسكري للتخلص من المخطط المتآمر ومن المتآمرين ولرسم الدور الجديد لحياة الوطن وعزته وكرامته .

— وأضاف السيد حنيدي يقول :

- حدث الانقلاب الأول ، وبدأت الأحزاب تسعى لكسب الجيش بل إن بعض الأحزاب أدخلت عناصر لها في الجيش ليكونوا أملها في المستقبل للوصول إلى الحكم ، ولما كنت مع رفاقي غير حزبيين ، ولما كان الجيش قد وهب نفسه لحماية الوطن ، فقد أخذنا على عاتقنا أن نقف في وجه كافة المؤامرات الداخلية والخارجية .

وقد كان الشعب يعرف كل المؤامرات التي استهدفتنا ، وأهمها عام ١٩٥٥ ، فنحن لم نرغب العمل في السياسة أبدا ، وكلنا كنا منصرفين بقلوبنا وإيماننا نحو العمل العسكري ، ولكن الظروف أكرهتنا على أن نكون جنود الوطن في الداخل كما نحن عل الحدود ، واستطعنا حتى عام ١٩٥٨ عام الوحدة بين سورية ومصر ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة الرئيس المرحوم جمال عبد الناصر أن نحفظ سورية من كافة المؤامرات الرجعية ، ونقضي على كافة الأحلاف العسكرية والاستعمارية ، من مشاريع الاستيطان ، إلى مشروع ايزنهاور ، الخ .

ويعود الفضل في ذلك إلى كافة العناصر العسكرية الشريفة في قواتنا المسلحة التي كانت تؤمن بوطنها وحريتها واستقلالها ، وهذا ما دفعنا للتفكير بوحدة سورية ومصر ، لإيماننا الكامل بوحدة التراب العربي ، ولأننا أقسمنا منذ التحاقنا بالكلية العسكرية ونحن في أول شبابنا ، قسم حماية الوطن العربي ..

ونظراً لعدم وجود قوى منظمة وقادرة على حكم البلاد آنذاك ، حكما شرعيا ، وثوريا ووحدويا ، اتجهت أنظارنا إلى القاهرة ، خاصة بعد انتصار عبد الناصر في كسر احتكار السلاح ، ودحر العدوان الإمبريالي عام ١٩٥٦ .

كانت هذه الانتصارات المدخل الحقيقي لتوجيه أنظارنا نحو القاهرة فنحن كعسكريين ننظر إلى القوة الشجاعة التي تستطيع أن تبقى أوطاننا موحدة ومتحررة ومستقلة ، فكانت في البدء القيادة العسكرية المشتركة وبعدها اعتبرنا أنفسنا جزءاً لا يتجزأ من جيشنا المصري، ثم شكلنا مجلس ثورة وطني من الضباط الأحرار للحفاظ على وحدة الجيش والوطن وطلبت الإرادة الشعبية التي تمثلها القوات المسلحة من الرئيس عبد الناصر بعد مناقشات طويلة ، إقامة وحده شاملة كاملة بلا حدود ، وهكذا رفرف علم الوحدة على القطرين السوري والمصري ، وهو يحمل إرادة الشعبين وتصميمهما على الوحدة ، وحققنا أملا كان يراودنا ونحن على مقاعد الدراسة الابتدائية في وحدة الأقطار العربية و لم نكن نبحث عن كسب شخصي لموقع نرتضيه ، وإنما حماية لأوطاننا وعروبتنا من المؤامرات .

- وقال السيد أحمد حنيدي ، الوزير السوري والضابط السابق .

ولقد ظهر للجميع بأن الاستعمار ومن ورائه الرجعية العربية سعت من أجل الانفصال ، وتم لها ما شاءت يوم ٢٨ أيلول الأسود وقد كنا يومها من المحاصرين في الأركان العامة وقد

طلب منا أن نؤيد الحركة الانفصالية ونبقى في أي منصب ولكننا وقفنا بإصرار ، وحاربنا فكرة الانفصال ، وبحث الأمور بديمقراطية ، وتفهم لحماية الوحدة ، لكن الانفصاليين نكثوا بالعهد وفصلوا سورية لأنهم كانوا مرتبطين بحلف رجعي شيطاني استعماري .

- وأخيراً يقول :

- أما عن الأخطاء التي ارتكبت في عهدنا ، فإنها اقل بكثير من أخطاء العهود السابقة ، وكل حكم لايخطىء يكون بلا عمل ، وقد كنا نلاحق فقط كل من يتآمر على الوطن والوحدة .

والشيء الذي أريد أن اطرحه بصراحة هو إبعادنا عن مواقعنا في الجيش ، وإشغالنا في مواقع سياسية رغم حبنا لعملنا العسكري ولقد اعترف الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله ، بهذا الخطأ يوم ٢٨ أيلول الأسود سنة ١٩٦١ .

وهذا الجواب كاف لسؤالك لماذا تحولنا من عسكر إلى سياسيين

الثاني : اللواء عبد الله جزيلان .

- أجاب اللواء اليمني نائب رئيس الوزراء وزير الدفاع والداخلية آنذاك .

- لقد بدأ تفكيري بالاتجاه إلى العمل في القوات المسلحة لأسباب وطنية بحتة ، حيث أن حكم آل حميد الدين ، كان يجثم فوق صدور شعبنا يؤخره ثقافيا واجتماعيا وسياسيا

وحضاريا وكشاب آمن بحرية الشعب وتقدمه على طريق الإنسانية ، قررت مع بعض الرفاق من أبناء شعبي العمل بكل ما أوتينا من قوة للوصول ببلادنا إلى مواقع الحضارة والاستقرار ، ولتكون بلادنا كغيرها من أقطار الوطن العربي في مكانها الطبيعي تؤدي دورها وتقدم جهدها لخدمة قضايانا المشتركة .

ولما كان حكم الإمام بعيدا كل البعد عن فهم الواقع الجديد للحياة ، فقد قام بضرب وقتل وسجن الأحرار من أبناء شعبنا ، ورحنا نفكر كيف يتم الخلاص من عهد الجهالة والتخلف والطائفية ، وكان لابد من إرادة تستطيع أن تغير هذا الوضع، وهذه الإرادة لا تملكها إلا القوات المسلحة ، حيث أنها القوة الوحيدة القادرة على تغيير المفاهيم ، ودخلت مع رفاقي الكلية العسكرية في مصر ، بعد أن تخرجنا كضباط ، وعدنا إلى اليمن وساهمنا بالثورة التي قامت هناك يوم ٢٦ أيلول سبتمبر ١٩٦٢ ، وهزمنا من أرضنا قاعدة متخلفة كانت تحكم باسم الإمام ولم تكن تحكم باسم القانون .

- وردا على سؤال : لماذا اتجهنا إلى العمل السياسي مع أننا عسكريون ؟؟ أقول: إن من حق كل مواطن ، عسكريا كان أم مدنيا أن يشارك في الحفاظ على وطنه ، ومن حقه أن يقف بالمرصاد لأعداء العروبة والاستقلال ، ومن حق المواطن العسكري الذي وهب حياته وروحه لخدمة الوطن أن يكون أمينا على القسم العسكري الذي أداه عند التحاقه في الجيش - وهو أن يكون الجندي الأمين لحماية البلاد

داخلياً وخارجياً إذن ، إن القسم الذي أقسمناه في البدء ونحن طلاب ضباط ، أعطانا حق العمل في السياسة ، وحق العمل في حماية الوطن ، ونحن كضباط عندما اتجهنا للعمل في السياسة اتجهنا إليه لسببين :

الأول :لأن الوطن بحاجة إلى كل جهد ، وبما أن المدنيين لم يكونوا في البدء على اتصال بالمد العسكري وفهم الروح الجديدة التي سيطرت على البلاد بثورتها، فقد كان لابد لنا كعسكريين من المساهمة معهم في حكم البلاد إلى أن نصل ، من خلال الحوار الصريح ، إلى حياة ديموقراطية سليمة يكون فيها الحكم للشعب وبالشعب .

الأمر الثاني : الذي أحب أن أركز عليه هو أن الذي صنع الشيء يكون احرص الناس على بقائه ونجاحه .

- وكان السؤال الثاني هو : هل هناك نشاطات معينة تقوم بها حاليا ، وما هي وجهة نظرك في الأحداث وتطلعاتك نحو المستقبل ؟؟

– أجاب السيد حنيدي :

– الواقع إننا ابتعدنا عن أي نشاط سياسي ، واكتفينا بالاستماع والملاحظة حتى لا نكون عقبة في طريق أي لقاء شريف يتم من أجل امتنا العربية ووحدتها .

وعندما دقت الأخطار أبواب عروبتنا ، طلبنا بكل ما نستطيع أن نكون جنود أمتنا العربية في القطر المصري ، أو في القطر السوري ، دفاعا عن أرضنا .

ولكن الظروف ، لا أريد ذكرها حاليا أبعدتنا عن المشاركة الفعالة في كل ما كنا نريده ، وكم كان بودنا أن نقاتل جنبا إلى جنب مع رفاق السلاح يوم الخامس من يونيو حزيران ١٩٦٧ لكن ظروف المعركة وسرعة حسمها سبقتنا في تحقيق أمانينا .

وكلنا أمل كشباب عربي مؤمن ، أن نقوم بالدور الإيجابي في كل موقع ومكان دفاعا عن الأرض العربية ، نؤدي فيه ضريبة الدفاع عن الوطن دون الالتفات إلى مكسب أو مغنم أو جاه أو سلطة ويعز علينا كضباط عملوا في الجيش العربي وخبروا سلاحه ، واتبعوا من الدورات العسكرية ما يمكنهم من أن يكونوا إلى جانب اخوتهم رفاق السلاح جنود المعركة القادمة ، بلا دور مرسوم لنا ، وبلا عمل من أجل الوطن والخطر يدق أبوابنا وحدودنا صباح كل يوم .

أما رأيي في الأحداث وتطلعاتي نحو المستقبل فإني أقول بكل وضوح إن ما حدث في منطقة الشرق الأوسط مؤخراً ، أمام سمع وأبصار العالم يعطينا الدليل القاطع على أن القوة ، والقوة الذاتية لأية أمة هي الدرع الوحيد لحماية الوطن .

وإذا بقينا كما نحن منقسمين ، لدول عديدة ، وآراء عديدة ، وجيوش عديدة ، وسياسات عديدة ، فلا بد أن يأتي اليوم الذي نهزم فيه دولة وراء دوله .

- وأجاب اللواء عبد الله جزيلان على سؤالنا .

ليس من شك في أن الأمة العربية تمر بـأدق فـترة في تاريخهـا الحديث .

فقط تكالبت قـوى الصهيونيـة والاستعمار العـالمي لضـرب الأمة العربية ، والقضاء عليها .

ولكني على ثقة تامة بأن هـذه المحنـة ستكون بدايـة انطـلاق للأمـة العربيـة لتحـرر أرضهـا وتواكـب مواكـب الحضـارة الصاعدة .

إن الأمة العربية بثرواتها وإمكاناتهـا ، قـادرة ولاشـك علـى فرض إرادتها وتحقيق أمالها في النصر وفي صنـع الحيـاة علـى أرضها ، بالحرية والحق والكفاية والعدل والمحبة والسلام .

وإني أتطلع إلى اليـوم الـذي نـرى فيـه اليمـن المزدهـرة وقـد قطعت شوطا في طريق التقدم والرقى .

أما نشاطاتي حاليا فهي اتصـالي دائمـا بـإخواني اليمنيـين في كل مكـان واللقـاءات المثمـرة مـع إخوانـي لـدرس قضايانـا المشتركة والعمل على أن نبقى دائماً أمام الحقائق ومعها .

- وبعد ..

ما رأيك أنت أيها القاريْ ؟؟

ما هي وجهة نظرك في ردود الأخوين أحمد حنيدي ، وعبـد ا لله جزيلان وفي حكم العسكر ككل ؟

هل هو ضرورة قومية ووطنية في هذه المرحلة؟؟

أم أن الضرورة تفرض على العسكريين أن يبقوا فقط على الحدود .

جنود الوطن ؟

ام ان الأهم أن يكون العسكر والسياسيون ضمن الاطار الوطني والقومي الاستراتيجي الواحد

وما رأيك في حكم الساسة والسياسيين ؟

هل هم قادرون على حكم البلاد وتجنيبها الأخطار؟

ومن الذي يجب أن يحكم ؟

حوار ، ونقاش ، نرجو أن تجريه مع نفسك للوصول إلى الحقيقة والأحسن والأفضل لنا ولأوطاننا ؟

ربما وصلنا من خلال البحث المفيد ، ومن خلال الآراء والأفكار الموضوعية إلى حل نهائي لما نعاني منه في كل أقطارنا من صراعات واجتهادات لا تخدم قضايانا ولا أوطاننا .

أجري الحديث عام ١٩٧٢

زهيــر محســن

عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية



المؤلف مع زهير محسن

(إن الترابط العضوي بين قضية الوحدة العربية وقضية
التحرير تؤكدها الأحداث يوما بعد يوم)

زهيـر محسـن :

نذر الشهيد زهير محســن حياتـه لقضيـة فلسـطين والعروبـة والوحدة ، فاحتوتـه عقـلا وجسـداً ، وقـدم لهمـا الكثـير مـن الجهـد والعمل من أجل تحقيق النصر على عدو الأمة العربية " إسرائيل "

كان زهير محسن شعلة من الحركة والنضال رغم كل ما قيل فيه وعليه ، لقد كان فلسطينيا مناضلا ، وابنا بـاراً لهـا ، سـاهم بكـل جديـة في تثبيـت الثـورة الفلسـطينية إلى جـانب إخوانـه في اللجنـة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفي أواخر السبعينات التقيته وكان هذا الحوار .

قلت له : بعد سـنوات مـن النضـال السياسـي والعسـكري الشديد والعنيد اندلعت سلسلة مـن المؤامـرات ضـد الشـعب العربـي الفلسـطيني فهـل لـك أن تحـدد لنـا موقـف قيـادة منظمـة التحريـر الفلسطينية من هذه المؤامرات ، وأين تقف منظمة التحرير الفلسطينية الآن في مسيرتها .

أجاب : إنـه لأمـر طبيعـي أن تواجـه الثـورة دائمـاً أشـكالاً متعددة من التحديات ، وكلمـا حسـمت تناقضـا لابـد وأن يـبرز في طريق مسيرتها تناقض جديد ، وكلما اجتازت عائقاً يبرز في طريقهـا عائق بشكل أو بآخر .

في البدايـة كـان علـى الثـورة أن تثبـت سـلامتها ، وسـلامة منطلقاتها النظرية والفكرية حين واجهت التشكيك على أوسع نطاق في جدوى فكرة الحرب الشعبية والكفاح الشعبي المسلح .

وبعد أن حسمت هذه المسألة لصالح الثورة ، وبـدأت آفـاق النضال العربي الفلسطيني المسلح تتسع وتؤذن بتحولها إلى نواة لحركة قوميـة ثوريـة وتحررية ، كـان لابـد وان تواجـه محـاولات متعـددة ومتشـعبة لكيانـات ترمـي كلهـا إلى تحجيـم الثـورة ، والى محاصرتهـا وحبسـها داخـل الأطـر والمفـاهيم الاجتماعيـة الـتي تسـلبها ثوريتهـا وعمقها الإيديولوجي والاجتماعي .

ولابد من الاعتراف بأن الجهات التي حرصت على أداء هـذا الدور كانت من الضخامة والقوة بحيث لا يجوز تجاهل أثرها وتأثيرها الذي مازال مستمراً بشكل أو بـآخر في مسـيرة الثـورة وفي مواقعهـا اليومية وعلى فكر الثورة ومجمل علاقاتها السياسية .

باختصـار كـانت هـذه القـوى تحـرص علـى تدجـين الثـورة وقولبتها في صيغة تلائم مصالح الطبقات والأيدلوجيات التي مـا تـزال سائدة رسمياً في معظم أنحاء الوطن العربي ، وبالتالي تحويل الثـورة إلى مجرد حركة تسير بين جدارين من الخط والاتجاه الذي يهـدد مصـالح تلـك الطبقـات أو يعـزز وضـع القـوى الجماهيريـة الثوريـة في تلـك القطار .

ولكن بالرغم من قدرة معظـم تلـك الأنظمـة علـى التحكـم بمصادر تمويل الثورة وبالرغم من أن الثورة الفلسطينية بحكـم ظـروف نشوئها وظـروف المجتمعـات الـتي تحتضنهـا وبحكـم مخططـات معينـة كانت نسبيا ثورة مشـرقة بالقيـاس إلى الثـورات الشـعبية المعروفـة في التاريخ الحديث .

بـالرغم مـن ذلـك كلـه ، فـلأن الثـورة الفلسـطينية حركـة شـعبية ، أو لأن الجماهـير سـارعت إلى احتضانهـا والى إبقـاء الثـورة

ملتصقة بها ، فان كل تلك المحاولات باءت بالفشل وبقيت الثورة الفلسطينية محتفظة إلى حد كبير بوجهها الشعبي الجماهيري الوطني ، وببعدها القومي وبعدها الاجتماعي وليس ببعدها الوطني فقط .

وكان طبيعيا أن لا تمر حرب تشرين التحريرية التي كانت بدورها انتصارا قوميا ، ومنعطفا هاماً في التاريخ العربي المعاصر ، كان طبيعيا أن لا تمر هذه الحرب بدون تأثيرات مباشرة على حجم وفعالية وقدرات الثورة الفلسطينية ، وبالتالي على جماهيرنا وطنيا وقوميا ، وعلى مركزها السياسي عربيا ودوليا .

النتيجة العامة كان الصمود الذي جسده الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة كل التحديات التي فرضت نفسها عليه وعلى نضاله ولذلك النصر القومي المتمثل في التحول التاريخي الذي أحدثته حرب تشرين كانت النتيجة لذلك تتمثل من التسليم بحقيقة انبعاث الشعب الفلسطيني والاعتراف بالوجود السياسي المستقل والمتكامل للشعب الفلسطيني ، والانطلاق من أن الحضور السياسي البارز لهذا الشعب العظيم على مسرح الصراع ،يشكل حقيقة أساسية من حقائق الصراع في المنطقة لا يمكن لمن يصر على تجاهلها أن يكون جاداً في البحث عن أي حل أو تسوية لا لمشكلة الصراع العربي الصهيوني ولا لمشكلة السلام والاستقرار في العالم.

إن الحضور المكثف الذي تحقق للشعب الفلسطيني من خلال ثورته الوطنية المسلحة ، هو الآن العقبة الأساسية في طريق تمرير الحلول الأميركية ذات الطبيعة التصفوية ، والتي تنطلق أولاً وآخراً من الالتزام بمصلحة العدو الإسرائيلي .

إن القوى التي تسعى إلى تمرير تسـويات تصفوية مـن ذلـك النوع ، أو إجراء عمليات إجهاضية لحركة التحرير الوطني العربية من أجل توفير فرص أفضل لأمن " إسرائيل " واستقرارها واستمرار نزعتها التوسعية إن هؤلاء متفقون على توجيه ضربة عسكرية للثورة ، وخاصة في لبنان .

مازن : تحقق هذا القول عام ١٩٨٢ عندما اعتدت إسرائيل على منظمة التحرير الفلسطينية والشعب اللبناني عام ١٩٨٢.

زهير محسن : خاصة في لبنان حيث يبرز إطارها الجماهيري الفاعل والمتحرك من شأنه أن يضعف مركز الثورة ومركز منظمة التحرير الفلسطينية ليس على المستويين العربي والعالمي فحسب ، بل وعلى المستوى الوطني الفلسطيني أيضاً ففي تقدير هؤلاء أن مثل هذه الضربة يمكن أن تخلخل صفوف الفلسطينيين ، وان تفكك التلاحم القائم حاليا بينهم وبين الجماهير الفلسطينية وقيادتها الوطنية الثورية المتمثلة في منظمة التحرير ويقرر الوضع الاجتماعي في لبنان ذو الطبيعة الشاذة والخاصة فرصا ثمينة لأصحاب ذلك المخطط التآمري الذين يجدون في بعض القوى اللاوطنية أداة طيعة وجاهزة في أي وقت لتنفيذ أي دور مطلوب منها ويبدو أن التصميم على لقاء سالزبورغ وما دار فيه وتقليص حجم الاهتمام الجماهيري الفلسطيني والعربي بما دار في ذلك اللقاء ، يبدو أن هذا التعتيم كان مطلوبا وكان أحد أهم الدوافع وراء الانفجار المفتعل الأخير في لبنان .

وقد برهنت قيادة الثورة على أنها تملك شفافية فائقة الحساسية في فهمها وتحليلها للظروف المحيطة بها ورؤيتها لما يجري من حولها، أثبتت ذلك من خلال حرصها على التصرف بأعصاب هادئة وعلى ضبط النفس، واستبعاد أشكال الغضب بالرغم من تتابع الاستفزازات اليومية التي من شأنها أن تجر إلى الانفعال والغضب وهياج الأعصاب.

لقد تمكنوا فعلاً من هدر جزء من وقت الثورة ومن إشغالها في متابعة التحرك العالمي الخاص بقضيتها وربما أيضا من تجميد جزء من النشاط المسلح ضد العدو، حين فرضوا على الثورة أن تنشغل بدحر محاولات ضربها وتحجيمها، لينجحوا إلى حد كبير في الهاء قيادة المنظمة في هذه المشكلة الجانبية، ولكنهم فشلوا في ضرب الثورة أو في إضعافها، بل إن الثورة خرجت أقوى مما كانت عليه بمرات عديدة، بل أكثر من ذلك يمكن القول بأن الثورة خرجت من المأزق الذي أرادوا حشرها فيه، لينحشر أعداءها أنفسهم في المأزق بدلاً منها.

وهكذا انتهت تلك المعركة بتعقيد الأزمة بوجه الذين افتعلوها، وبفشلهم في إقحام الفلسطينيين طرفا في أزمة داخلية أرادوها دائمة ومستمرة.

بطبيعة الحال لم ينته الأمر بعد، ولابد من أن نعترف أنه مازال في قدرة معسكر الأعداء العودة إلى تفجير الوضع اللبناني من جديد والى دفع القوى المتعاملة معه إلى

افتعال معركة مسلحة جديدة مع الجماهير الفلسطينية، ومع الجماهير الوطنية و التقدمية في لبنان .

نعرف ذلك جيداً وفي الوقت الذي نسعى ونحرص فيه على قطع الطرق في وجه مدبري الفتنة ، نعرف كيف نستعد على جميع الأصعدة لمواجهة ذلك المخطط ودحره وإلحاق الهزيمة بالضالعين في تنفيذه .

ولأننا نمثل إرادة الحق ، ونمثل الحركة الصاعدة المنسجمة مع تيار التاريخ ، ولأننا نمثل تطلعات الأكثرية الساحقة من جماهير الشعب ، سواء في لبنان أو في سائر أنحاء الوطن العربي ، فلا يمكن إلا أن يكون النصرحليفنا. ولا يمكن لمحاولات التحرك باتجاه معاكس لحركة التاريخ والتطور وباتجاه مناقض لإرادة الحق وتطلعات الجماهير ، لا يمكن لهذه المحاولات إلا أن تندحر وتمنى بالهزيمة مهما بدت قادرة على إحراز بعض المواقع الثانوية أو على فرض بعض التراجعات التكتيكية على حركة التحرر والتقدم .

انه في ظل تلك المعركة المصطنعة التي فرضت على الثورة في لبنان ، جرت محاولة لتمرير الإعلان عن إمكانية الاعتراف بإسرائيل ، أو الاستعداد لقبول هذا الاعتراف ، وكذلك محاولة الرجوع إلى عشر خطوات إلى الوراء فيما يتعلق بترتيب الخطوات المرحلية في السياسة العربية الراهنة ، فبعد إن كان الانسحاب الشامل وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني شرطين أساسيين للإقدام على خطوة إنهاء الحرب مع الكيان الصهيوني نسمع الآن من

بعض المسؤولين العرب من يقبل بأن يجعل خطوة إنهاء الحرب متقدمة وسابقة على الانسحاب ، وعلى تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ظنوا أن ذلك يمكن أن يمر في غفلة من الزمن بانشغال الناس بالأحداث الدامية في لبنان، ولكننا نؤكد ما أشار إليه الرئيس **حافظ الأسد** مؤخراً من أن ما من حاكم أو قائد يستطيع أن يعد بالاعتراف بإسرائيل وليس من حق أحد أن يفعل ذلك .

ونحن بالرغم من كل الظواهر التي تشير إلى قرب عودة كيسنجر إلى المنطقة واحتمال إجراء خطوة جزئية منفردة جديدة على جبهة سيناء ، لا نعتقد بأن أحداً يستطيع إنهاء حالة الحرب مهما بلغ حجم هذه المكتسبات الجزئية ، وكل من يتوهم أن في إمكانه أن يفعل ذلك إنما يخدع نفسه بالذات، ويشير إلى عجزه عن فهم واستيعاب الحقائق الموضوعية بشأن حركة الجماهير وتطلعاتها وقوة إرادتها ، إن الجماهير لا ترحم من يوقع صلحاً مع إسرائيل أو يتنازل لها عن حبة تراب عربي .

قلت لزهير محسن : ما هو سلاح شعبنا الفلسطيني غير المنظور ضد تحركات الولايات المتحدة الأميركية والعدو الصهيوني في هذه المرحلة التي بدأنا نسمع فيها ونلمح بعض التآمر على هذا الشعب وقضيته المقدسة .

– صمت برهة قصيرة وهو يداعب أوراقه ثم قال : إن قوة شعبنا كامنة في الدرجة الأولى في وحدته الوطنية ، في تماسكه والتفافه حول قيادته الوطنية المعبرة عن إرادته

وتطلعاته وأهدافه المرحلية وكذلك كامنة في قدرته على فهم الواقع على تحديد مطالبه المرحلية ، والربط بينها وبين أهدافه الاستراتيجية .

الخبرة التي اختزنها شعبنا من خلال التجارب والمآسي المتلاحقة في تاريخه النضالي إلى جانب التطور والارتقاء المستمرين في قدرته على العمل المنظم وتجسيد الوعي التنظيمي من مختلف أشكال نشاطات الثورية والنضالية مضافا إلى ذلك الوعي السياسي المتنامي والذي بلغ حداً كبيراً من النضج .

إن ذلك كله معززاً بالتضامن الوثيق مع نضال الشعب العربي وحركة التحرر الوطني العربية .

إن ذلك هو مستودع قوة الثورة الفلسطينية وهو درعها الأساسي في مواجهة طعنات الخصوم ومحاولات التصفية الغادرة التي يتعرض لها من وقت لآخر.

إن الثورة بحاجة إلى تعميق وحدتها الوطنية على قاعدة العلاقات الديموقراطية الصحيحة ، والى تنمية وتطوير الوعي التنظيمي والانضباطي ، وكذلك الوعي السياسي والالتزام القومي لدى مقاتليها وعناصرها وجماهيرها .

إن ذلك يجب أن يسير في خط موازٍ لجهد الثورة في تطوير المستوى التكتيكي لأجهزتها متمثلاً في تطوير التسليح والتدريب وأساليب العمل التكتيكية .

سـواء في المجـالات العسـكرية أو السياسـية أو الإعلامية ، ومن خلال حرص الثورة على الاحتكاك المباشر واليومي مع الجماهير داخل الأرض المحتلـة وخارجهـا ينبغـي أن تحرص الثورة على أن تظـل دومـا تؤثـر وتتـأثر ، تثقـف الجماهير وتتعلم منها ، تعبئها حول شعاراتها المرحلية وتعتني بمعنوياتها لتوضيح تلك الشعارات وبلورتها أكثر فأكثر .

إن السـر في قـدرة الثـورة علـى الصمـود في وجـه التحدي الأمريكي الصهيوني حتى الآن في أن الثورة نجحـت ومـا تـزال قـادرة علـى تجسـيد الإرادة الحقيقيـة للجماهـير الفلسـطينية والعربيـة ، والتعبـير عـن أعمـاق هـذه الجماهـير وتطلعاتها .

ينبغي أن تعرف كيف تحتفـظ بهـذا الـدور وكيـف تفضح محاولات تجريدها من هذه الميزة .

قلت للأخ زهير ، أثناء حـرب فيتنـام رفـع الشـعب الفيتنامي شعار " دع الشعب كلـه يقـاتل " فمـا هـو الشـعار الذي يجب أن يرفعه الشعب الفلسـطيني خاصـة ، والشـعب العربي عامة في هذه المرحلة تجاه ما يجري ويدبر في الخفاء ؟

أجاب : يمكن أن يكون الشعار المطلوب دع الجماهير كلها تنتظـم ، ودع الأمة كلها تناضل لتعزيز التضامن ، ومنع كل أشـكال الانفراد بالعمل الوطني لأن الانفراد بحد ذاتـه مدعـاة للشـك والتشكيك ، وبالتالي سبب للفرقة والتبعثر ، ومجلبـة للضعـف والتفكك

وسألته : هل تعتقد أن هزيمة الولايات المتحدة الأميركية في آسيا، سوف تؤثر على نضالنا في المنطقة العربية، وما هي برأيك السياسة التي ستعتمدها أمريكا مستقبلاً في المنطقة؟

أجاب : إن هذا من تحصيل الحاصل، فنحن جزء من العالم، والاستعمار الاستيطاني الذي نواجه شروره منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، هو جزء من حركة الاستعمار والإمبريالية العالمية وبعض تركتها وبالتالي فالنضال لتصفية هذه التركة يظل جزءاً لا يتجزأ من حركة النضال العالمي لتصفية الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطني لجميع الشعوب وبناء عالم جديد يسوده قانون الديموقراطية والحرية والاحترام المتبادل.

لقد كان الوجود الإمبريالي في الهند الصينية إحدى أهم القلاع الإمبريالية في العالم بعد القلعة الأشد خطراً المتمثلة في الكيان الصهيوني.

إن انهيار القلعة الإمبريالية في الهند الصينية سيؤدي تلقائياً وبالضرورة إلى تكثيف الجهد في محاصرة القلعة الأخيرة الباقية في العالم القديم والمتمثلة في الاحتلال الصهيوني الفلسطيني.

ومن جهة أخرى فان الاندحار في الهند الصينية ربما يمكن الإمبريالية من حشد قوى اضخم للدفاع عن قلعتها الأخيرة، ولكن هذه القوى مهزومة ومتراجعة بطبيعتها ولن تستطيع الصمود مهما بلغ حجمها وتجهيزها إذا ما حزمت الأمة العربية أمرها وقررت أن تجهز بدورها على

ذلك " الورم الخبيث " إسرائيل هذا الورم المزروع في الجسد العربي.

إن ما جرى في الهند الصينية ، إثبات جديد لتأكيد سلامة المنطق الفكري لحركة التحرير العالمية ، ومنها حركة التحرر العربي ، وذلك المنطلق القائل بحتمية انتصار الشعوب المصممة على انتزاع حقها بالرغم من التفوق المادي والتكتيكي لعدوها الإمبريالي .

إن ذلك النضال سيكون بالتأكيد حافزا جديدا لمناضلينا يعمق في نفوسهم الثقة بالمستقبل وبحتمية الوصول إلى النصر والتحرير الكامل لأرض الوطن .

وفي الوقت ذاته سوف يضيف بلدانا وشعوبا جديدة إلى جانب القوى المساندة لنضال شعبنا وحقوقه المشروعة ، في الوقت الذي يجرد فيه عدونا من مواقع كان نافذا فيها وكانت تشد من أزره .

إن الانهيار الإمبريالي في الهند الصينية هو بمثابة سقوط وانهيار إحدى الجبهات الأساسية للإمبريالية ، وبالتالي إيذاناً بسقوط الجبهات الباقية التي ما تزال الإمبريالية تقاتل عليها شعوب العالم .

وهنا لابد أن نتذكر دوما بأن الاستعماريين لا يتعلمون من التجارب ولا يجرؤون على المبادرة إلى الاعتراف بحتمية التاريخ وسلامة حركة التطور البشري ومنطق الزمن ، بل إنه بات مألوفا أن يزداد الاستعماريون

تشبثاً في المناطق الباقية تحت نفوذهم كلما خسروا موقعاً جديداً ، لذا لابد أن نتوقع مزيداً من الاندفاع الأميركي في طريق دعم إسرائيل وتزويدها بالسلاح .

إن حكام الولايات المتحدة على ما يبدو يشعرون بصعوبة التدخل المباشر لحماية إسرائيل في المستقبل إذا ما نشبت حرب جديدة ، لذلك تركزت دبلوماسيتهم على محاولة إجهاض استرخاء بعض الأطراف العربية بقصد إبعادها عن الأطراف الأخرى وتفسيخ التضامن العربي ، وبالتالي ضمان فترة أطول من الهدوء والاستقرار على جميع الجبهات لصالح العدو الصهيوني .

إن المسؤولية في مواجهة المخططات الأميركية هي في الوقت ذاته مسؤولية وطنية فلسطينية وقومية وعربية ، وأيضا مسؤولية عالمية ملقاة على جميع القوى المناهضة لإسرائيل وأمريكا .

قلت للأخ زهير محسن : إن الهدف السياسي وراء اغتصاب الأراضي العربية كان لتقوية وضع إسرائيل السياسي ومنع الوحدة العربية ، ووضع العرب دائما بين فكي الكماشة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، فهل برأيك استطعنا أن نغير هذه النظرة في حرب تشرين وكيف ؟

أجاب : في تقديري أن أكثر ما يخشاه حكام ، تل أبيب ، وقادة الحركة الصهيونية الاضطرار إلى التراجع إلى مواقع حرب حزيران ، بل إنهم يخشون التراجع جملة وتفصيلا مهما كان حجمه ، انهم يعتبرون الانسحاب والتراجع طعنا في العقيدة

الصهيونية ذاتها ، إن مثل ذلك التراجع من شأنه أن يهز المجتمع الصهيوني من أساسه وأن يهز الثقة بقدرة الدولة الصهيونية نعني إبقاء وضع التجزئة والتخلف والضعف في هذه المنطقة.

حرب تشرين أثبتت أن مواجهة العدو غير ممكنة إلا بقدر كاف من التضامن بين العرب وأثبتت كذلك بأن الصمود في وجه العدو الصهيوني في ساحات القتال من شأنه أن يعزز التضامن العربي وأن يؤجج النزوع إلى الوحدة في نفوس الجماهير العربية ، كما يؤدي إلى تجميد التناقضات الجانبية بين بعض الأقطار العربية ، والى صهر الجنود والمواطنين في كافة الأقطار من خلال امتزاج الدم في ساحات القتال ولو قدر لحرب تشرين أن تستمر لفترة أطول، لترتبت عليها نتائج سياسية وفكرية واقتصادية أضخم بكثير ، ولكانت اختصرت الطريق إلى تحقيق الوحدة العربية .

إن ذلك بالذات هو ما دفع بعض القوى العالمية وخاصة الولايات المتحدة إلى استعجال إيقاف تلك الحرب .

إن الترابط العضوي بين قضية الوحدة وقضية التحرير حقيقة تؤكدها الأحداث يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ، وكل خطوة عملية على طريق الوحدة تجعلنا نقترب خطوتين من تحقيق النصر على العدو الصهيوني وتحرير الأرض ، وبالمقابل فان كل خطوة على طريق الصمود على مواجهة العدو ودحره في ميادين القتال تجعلنا نقترب خطوتين من تحقيق

الوحدة العربية ، وتحقيق التحرر الاقتصادي والتطور الاجتماعي في كل أنحاء الوطن العربي .

- أخيراً قلت لزهير محسن : ما هي نظرتك لمستقبل العلاقات العربية الأمريكية على ضوء ما يجري حالياً ؟

- أجاب على هذا السؤال بالقول : إن المشكلة الأساسية مع الولايات المتحدة الأمريكية الآن قائمة في أن هذه الولايات كما يبدو عاجزة عن تحقيق الاستقرار والأمن للمقيمين فيها .

من هنا التشدد الذي لا حدود له من جانب العدو في رفض الانسحاب حتى مقابل مكتسبات وضمانات سياسية لم يكن يحلم بها .

إن خوف العدو من الانسحاب قد تضاعف وتفاقم أكثر وأكثر بعد حرب تشرين بصورة خاصة حيث يأتي من المستحيل الفصل بين الانسحاب الذي يجري وبين نتائج تلك الحرب ، أو بين ذلك الانسحاب والخشية من تجدد الحرب .

وإذا أمكن فصل هذه القضايا عن بعضها في ذهنية بعض المواطنين العرب فان ذلك مستحيل بالنسبة للإسرائيليين بالذات ، وهذه هي عقدة العدو الحقيقية ، فكيف إذا عرف بأن هذا الانسحاب سيؤول إلى ولادة النقيض التاريخي والقانوني للوجود الصهيوني ، نعني نشوء الكيان السياسي الفلسطيني المستقل تحت سيادة السلطة الوطنية للشعب

الفلسطيني الذي تمرس خلال السنوات الأخيرة بالنظام المسلح والعمل الثوري ، وبات قاب قوسين أو أدنى من تحقيق طموحاته الوطنية والقومية .

ثم سألت الأخ زهير محسن وقلت له : لقد دعمت الولايات المتحدة الأميركية العدوان الصهيوني في كل من الحربين عام ١٩٦٧ - ١٩٧٣ وقبلهما عسكريا وسياسيا واقتصاديا ومازالت تعتبرها جسراً أمامياً لسياستها في الشرق الأوسط وقوة تعتمد عليها للعدوان ، فهل نستطيع أن نحدد موقفها حالياً على ضوء ما يجري من محادثات سرية وغير سرية مع أطراف عربية وما مدى صدقها بالتجاوب لصالحنا ؟

قال : حرب تشرين ذاتها أثبتت سلامة تلك النظرة وأعطت مزيداً من الإيضاحات حول طبيعة الهدف والدور الذي تقوم به إسرائيل في المنطقة العربية لحساب أمريكا والغرب من النفوذ الصهيوني داخلها ، وليس هناك مبرر للاعتقاد بأن الأميركيين لم يتمكنوا من الاستنتاج بعد بأن إسرائيل لم تعد قادرة على توفير الخدمات التي كانت تقوم بها لصالحهم ، أو أنها قادرة على أداء ذات الدور.

اعني أن الأمريكيين لا يحتاجون إلى جهد كبير حتى يستنتجوا أو يدركوا بأن حماية إسرائيل ودعمها بات مكلفا وعملية خاسرة بالمقارنة مع ما يمكن أن يقدمه بقاء " إسرائيل " للولايات المتحدة من خدمات .

وفي تقديري ان النفوذ الصهيوني داخل البيت الأبيض والمجتمع الأمريكي والهيمنة على وسائل الإعلام

والثقافة والاقتصاد في أمريكا إضافة إلى هيمنتها على كثير من المؤسسات الأخرى ستظل تجعل من الأمريكيين غير قادرين على رؤية مصالحهم إلاّ من خلال المنظار الصهيوني ، وأن هذا النفوذ الصهيوني سيورط الأمريكيين إن عاجلا أو آجلا في مأزق ومعارك جديدة ليسوا مضطرين لها ، حيث ستلحق مزيدا من الضرر بمصالح أمريكا ومزيدا من الإساءة إلى الولايات المتحدة الأميركية في العالم.

ربما بعد ذلك يستيقظ الأمريكيون من غفوتهم كما استيقظ الفرنسيون مثلا ، ويحاولون إنقاذ مصالحهم وتعديل كافة ممارساتهم وسياساتهم في المنطقة والعالم .

لقد حان الوقت لكي يستكشف الشعب الأمريكي مصالحه الحقيقية وحان الوقت لكي يعرف أن أمواله تذهب هدراً وتقدم لإسرائيل من قوته وقوت أطفاله .

نشر الحديث عام ١٩٧٩

الدكتور عبد القادر حاتم

نائب رئيس الوزراء المصري وزير الإعلام سابقا



بدأنا نقرا

حتى لا نخطئ مرة ثالثـة ...

- **الدكتور عبد القادر حاتم** : رجل علم وعمل ، ورجل الإعلام الأول في جمهورية مصر العربية .

عاش قضية العرب الأولى " فلسطين " فكرة فكره ، وصورة صورة ، وهمسه همسه ، متنقلا بين واحات الكتب والصحف والتقارير والدراسات حيث المفيد والهادف لخدمة الحق العربي .

لقد التزم الرجل بثورة ٢٣ يوليو العظيمة وأعطاها من جهده وعرقه وحياته كل الالتزام والأحاسيس وتعمق في نضالها اليومي وانتقل معها من خواطر إلى خواطر ضمن أطر محددة وهي أطر الالتزام القومي لجماهير أمتنا العربية .

وهاهو يفتح لنا الآن قلبه ومشاعره في هذا الحوار السريع .

- دكتور حاتم ، ماذا تقول أولاً عن هزيمة ١٩٦٧ من خلال النقد الذاتي الصريح

- هزيمة ١٩٦٧ أصبحت عملية النقد الذاتي الهادف ضرورة قومية ومظهرا من مظاهر الانفتاح على الواقع والحقيقة ، لنعرف العدو على حقيقته ويستكشف العرب مواقع تحركاته عن علم وفهم ومنطق ، بعيدا عن الهيجان، والصراخ ، واللامبالاة التي رافقت العمل العربي منذ عام ١٩٤٨ إن لم نقل قبل ذلك بكثير .

ولقد كان الإعلام العربي الذي رافق المسيرة النضالية بعصبية وانفعال يتلازم مع قناعة الحكام العرب بأن

لهم عضلات حديدية تستطيع أن تضرب العدو في عقر داره ، معتمدين على تقارير كاذبة " ومشوشة " تصلهم من هنا وهناك مؤكدة جبن وضعف وتخاذل العدو الصهيوني في القيام بأية ضربة.

وجاء الخامس من حزيران " يونيو " ليقول لكتاب التقارير ولأصحاب العقول الانتهازية بأن إسرائيل ، مع كل أسف ، كانت تظهر أمام العالم بأنها مغلوبة على أمرها ، ضعيفة في تكوينها ، خائفة على مصيرها ومستقبلها من مائة مليون عربي سوف يلقون بها إلى البحر ، وإنها لم تكن على مستوى المعركة التي خاضتها .

إسرائيل هذه التي ظهرت على شاشة الحياة ومسرحها بأنها قلة مغلوبة على أمرها ، تنشد السلام والأمن والطمأنينة ، إسرائيل هذه خدعت أصحاب العضلات المفتولة بعد أن أغلقت عليهم نوافذ الفكر المفتوحة لنتجاهل قوتها وحقيقتها ، وراحت تذرف الدمع ، والعرب ينشدون القتل والسجن والتدمير ، إلى أن استسلم العرب لقوتهم " الإنشائية " ولمعلوماتهم " التقريرية " فيما كانت العصابات الصهيونية تدبر لهم المكائد ، وتحفر لهم الحفر .. إلى أن وقعوا فيها " بسذاجة " وبساطه !

في القاهرة صدر مؤخراً كتاب جديد بعنوان " ممنوع من التداول " قدمت له فاتحا بذلك منافذ العلم والمعرفة على مكائد ومؤامرات العدو الذي يعمل بصمت من خلال إعلامه وإشاعاته التي يبثها هنا وهناك ليصطاد فيها عقولنا،

ويوسع خلافاتنا ، ويسرق حقوقنا ، بعد أن يعطل أفكارنا بسمومه ودسائسه فماذا قلت في مقدمة هذا الكتاب " ممنوع من التداول " .

- منذ ثلاث سنوات ظهر "موشي ديان "وزير الدفاع الإسرائيلي على شاشة التلفزيون البريطاني ، ووقتها سأله المذيع :

إن الخطة التي اتبعتها في حرب ١٩٦٧ هي الخطة نفسها التي ذكرتها في كتابك " مذكرات حملة سيناء ١٩٥٦ " ألم تكن تخشى أن العرب قد يعرفون من كتابك خطتك المستقبلية التي ستتبعها في حرب ١٩٦٧ فيستعدون مقدما لمواجهتها؟..

وقد رد موشي ديان قائلاً ، لا ؟ لأن العرب لا يقرأون !..

ولم يكن هذا الرد غريبا من موشي ديان ، ففي صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ كان أعلى الشعارات صوتا في حياتنا العامة شعار " أعرف عدوك " وفي الوقت نفسه ، كان أقل الشعارات تطبيقا في جهازنا الإعلامي هو شعار " اعرف عدوك " ولم تكن صدمة الساعات الأولى من القتال كافية لكي تسد بسرعة تلك الفجوة الواسعة بين الشعار المعلن وعدم تنفيذه ، على العكس مع تطور القتال في ساحة المعركة ، كانت الفجوة تتسع ، وتتسع بين الشعار والتطبيق لهذا كنا نرى أننا نحن ، وليست إسرائيل ، الذين أحسسنا بخيبة الأمل في جهازنا الإعلامي ، وهي خيبة أمل تطورت بعد ذلك إلى أزمة ثقة في الجهاز الإعلامي فتحت الطريق

واسعا أمام العدو الإسرائيلي لكي يخوض ضدنا حربا نفسية عنيفة وشرسة وضارية "

- وقلت للدكتور حاتم : كيف كان تأثير الحرب النفسية التي شنتها إسرائيل على أمتنا ؟

- إن الحرب النفسية ليست جديدة علينا في مصر ، لقد تعرضنا وعشنا فيها قبل ذلك بسنوات طويلة ، بل منذ اليوم الأول لثورة يوليو ١٩٥٢ ، وفي وقت من الأوقات كانت هناك إحدى عشر (١١) محطة إذاعة سرية تعمل ضدنا في وقت واحد ، وفشلت كلها في وقت واحد ، وما جعل (١١) محطة تفشل في الحرب النفسية ضدنا سنة ١٩٥٦ هو نفسه الذي جعل النجاح المؤقت من نصيب محطة إسرائيلية واحدة تعمل ضدنا عام ١٩٦٧ .. وهو سبب واحد في الحالتين " ولكنه سبب ذو وجهين "

- ماذا تعني بذلك ؟

- أجاب الدكتور حاتم : إننا في الحالة الأولى ، حالة حرب ١٩٥٦ ، اعتمدنا على الصدق في مخاطبة الجماهير ، الصدق والواقع والحقيقة التي كانت تبدو مؤلمة أحياناً ولكنها كانت في النهاية تمثل تحصينا للشعب ضد الحرب النفسية الضارية ، وفي المرحلة الثانية ، كان اعتمادنا على المبالغة والتهويل وتجاهل الحقيقة .بل وتجاهل العدو نفسه، هو الذي أدى إلى هزيمتنا الإعلامية عام ١٩٦٧ .

وبعد حرب ١٩٦٧ قمنا بإعادة الأساس العلمي للعمل الإعلامي ، إن أمامنا عدوا شرسا ... ومتشعبا ... ومتلونا ، وعلينا في جميع الأحوال أن نحاربه.

- وسألته : ترى ما هو السلاح الذي اعتمدتم عليه في حربنا ضد إسرائيل خاصة بعد عام ١٩٦٧ .

- أجاب : أول سلاح اعتمدنا عليه هو أن تكون معرفتنا بالعدو كاملة ، معرفتنا بأساليبه ، وخططه ، وأفكاره ، وتصوره لنفسه ، وتصوره للرأي العام العالمي ،وتصور الرأي العام العالمي له :

" إن هذه المعرفة هي التي ستمكننا بعد ذلك من مواجهته في المكان الصحيح وبالأسلوب الصحيح ، وبالسلاح الصحيح"

- وسألته : إذن على ماذا يجب أن تعتمد سياستنا الإعلامية الجديدة كعرب ؟ .

- يرد الدكتور عبد القادر حاتم :

" يجب أن تعتمد على تحويل شعار " اعرف عدوك " من مجرد شعار إلى تطبيق حي يمارسه كل مواطن .

لقد اتخذنا في هذا الصدد خطوات عديدة كان من أهمها رفع الحظر عن الكتب الإسرائيلية التي ظلت لسنوات طويلة ممنوعة من التداول ، ثم إتاحتها أمام المعلقين والدارسين والباحثين في بلادنا بغير نقص أو تحريف وقد تبدو الأفكار التي تضمنتها هذه الكتب الممنوعة مثيرة

للمرارة ، أو مجافية للحقيقة، ولكن هل نحن نتوقع من عدونا غير ذلك ؟؟

إن المهم ليس هو أن نناقش نسبة الحقيقة إلى الأكاذيب في مثل تلك الحالات ، لأن العدو يستخدم كثيراً من الأكاذيب ، وحتى حينما يستخدم جزءاً من الحقيقة ، فانه يفعل ذلك من زاوية تحقق مصلحته هو ..

ليس هذا إذن هو المهم ، ولكن المهم أن نتصرف طبقا للقول المأثور :

" من تعلم لغة قوم .. آمن مكرهم" ونحن حينما ننشر عشرات الكتب الجديدة التي صدرت عن الصهيونية وإسرائيل ، إنما نبين بذلك للجيل القادم كيف يخطط العدو لنا ؟ .. كيف يبني جيشه ؟ .. كيف يحاول تضليل الرأي العام العالمي ؟؟ كيف يضاعف بالحرب النفسية ، حجم انتصاراته مائة مرة الخ"

إن هذا هو الأسلوب الصحيح الذي يجعلنا نرسم خططنا المستقبلية على أساس دراسة علمية حقيقية، لكل شؤون إسرائيل والصهيونية ، فقد خططت الصهيونية منذ مؤتمر " بال " بسويسرا الذي انعقد عام ١٨٩٧ ، ونفذت كل خططها بعد ذلك حتى قامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، ومازالت هناك خطط أخرى تريد إسرائيل أن تحقق بها لنفسها إمبراطورية تمتد من الفرات إلى النيل .

- لاشك أن السماح بتداول الكتب الممنوعة اصبح ضرورة استراتيجية من أجل الدفاع عن حياتنا ومقاومة هذا المخطط العدواني ضد بلادنا .

- وزاد الدكتور حاتم القول : لقد أصبح من الضروري أن نضع أفكار عدونا تحت ميكروسكوب دائم نفحصها دائما ، ونراجعها دائما ، وندرسها دائما، لكي ننتصر على عدونا في النهاية دائماً .

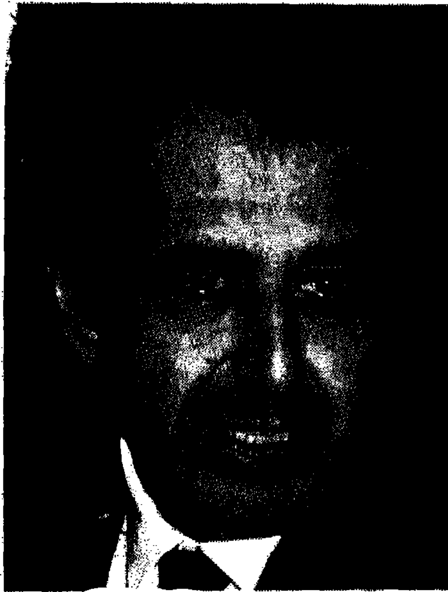
- وقلت للدكتور حاتم : هل نستطيع الآن أن نقول لموشي ديان ولغيره من أعداء العرب إننا بدأنا نقرأ ؟

- نعم لقد بدأنا نقرأ ، ونقرأ ، ونقرأ ، حتى لا نقع في الخطيئة ثلاث مرات .

القاهرة ١٩٧٢

خالـــد الحســـن

عضـــو اللجنة المركزيــة لحركة فتـــح



في حـرب رمضـان هـزمت فكـرة التوســع الجغـرافي الإسـرائيلـية ......

في هذه المرحلة التي تمر بها أمتنا العربية عامة ، والقضية الفلسطينية بشكل خاص ، وعلى ضوء نتائج حرب تشرين التحريرية ، كان لابد من إعادة النظر إلى كل شيء حولنا ، والى عملية تركيب وتحليل للواقع ووضع منهاج عمل تكتيكي على ضوء الأهداف الاستراتيجية للثورة .

ومن هنا كانت المهمة صعبة ، ودور المنظر في الثورة في غاية الخطورة والشفافية والتأثير ، ومن خلال هذه النقاط تحدث الأخ خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح .. تحدث عن التنظيم الثوري في هذه المرحلة على مستوى التنظيمات والجماهير العريضة تحدث من خلال فكر ثوري ملتزم باستراتيجية الثورة الفلسطينية وهو التحرير الكامل لتراب الوطن ، وتحرير الإنسان ذاته من كافة أشكال الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وواضعا في نظره كل الأطر المحيطة في الثورة ، وكل المؤثرات السلبية والإيجابية ، معتمدا على قوة الوضوح الفكري وقوة الإرادة وقوة الأمل .

وكان في حديثه لا يخرج عن نهج التنظير الثوري المعتمد على النهج العلمي، لذا جاءت أحاديثه عميقة ، واضحة ، وجارحة ، وفي الوقت نفسه جاءت لتشكل عدة حلقات متصلة بالحلقة الأم ، ولقد عمق النظر في تحليل الظروف الموضوعية والذاتية للثورة الفلسطينية ، وحلل الأطر العربية والدولية المحيطة بها ، واستخلص الموقف والقرار ، وحدد شعار المرحلة الحالية وشعار المرحلة المقبلة على أساس أن تكون كل المراحل بما فيها من شعارات لبنة في بناء الهدف الاستراتيجي الكبير ، لقد دار حديث الأخ خالد الحسن عن النضال والعروبة والثورة في حوار هادف ومثمر . وكان لحديثه الأهمية خاصة في هذه الأيام، وهذا الزمن ، زمن حرب تشرين

التحريرية ، وزمن الوفاق الدولي وزمن المرحلة الجديدة المقبلة للثورة ..

والآن آيها القارئ العزيز ، أتركك مع الأخ خالد الحسن بل أتركك مع الأسئلة والأجوبة بدون رتوش...

- لقد خاضت الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ولأول مرة متحدة حرب رمضان ، بما أنك واحد من قادة العمل الفدائي الفلسطيني ، هل لك أن تحلل لنا حرب تشرين ونتائجها ؟ ..

- لقد تمت لأول مرة هزيمة عسكرية حقيقية لجيش العدو الصهيوني وللمؤسسة العسكرية الصهيونية ، وللقيادة السياسية الإسرائيلية ، ولأول مرة ومن خلال حرب رمضان لا تقع هزيمة فقط ، بل هزيمة بخسائر بشرية هائلة بالنسبة لعدد السكان وللعقيدة العسكرية الإسرائيلية ، حيث بلغت خسائرهم من ٨ - ١٢ ألف قتيل وحوالي (١٦) ألف جريح غير قادر على العمل بعد استكمال العلاج ، ولأول مرة ومن خلال حرب رمضان تتوقف المصانع الصغيرة عن الإنتاج كلية وتنخفض طاقة المصانع الكبيرة انخفاضا وصل إلى حوالي (٢٠) بالمائة من قدرتها الأساسية على الإنتاج ، وانخفضت حركة نقل البضائع إلى حوالي (٣) بالمائة من قدرتها الأساسية ، لأول مرة من خلال حرب رمضان تتحطم أسطورة التفوق الحضاري والعلمي والديني الإسرائيلية الصهيونية .

ولأول مرة سيتحقق انسحاب العدو الصهيوني من كل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بما في ذلك الضفة الغربية وغزة والقدس ، سيكون انسحابه من موقع الهزيمة، وهذا يعني أنه لأول مرة ومن خلال حرب رمضان هزمت فكرة إسرائيل الكبرى وهزمت فكرة التوسع الجغرافي الإسرائيلية ، وهزمت في نفسية الجندي الإسرائيلي والإنسان الصهيوني وأفقدته ثقته بقدرته على التحكم بتحقيق أهدافه في النصر والتوسع في الزمان والمكان الذي يريد ، ولأول مرة هزمت نظرية الأمن الإسرائيلية وهزمت العقيدة العسكرية الإسرائيلية ، وهزمت فكرة الأمان عند الإنسان اليهودي في فلسطين المحتلة لتحل محلها نفسية الخوف من المستقبل ، والخوف من الموت ، والخوف من الهزيمة القادمة ، ولأول مرة ومن خلال حرب رمضان يصدر أمر إلى المعلمين من وزارة المعارف الإسرائيلية بمنع الأساتذة من الإجابة على أسئلة الطلاب حول الأفكار والفلسفة التي يقوم عليها المجتمع الإسرائيلي (إسرائيل الكبرى – التوسع – التفوق – نظرية الأمن – الخ ..) بعد أن ضربت هذه الأفكار وتبين ضلالها وخطأها وكذبها ، وذلك حتى لا تؤدي الإجابة إلى حركة طلابية مضادة للقيادة الصهيونية والأفكار التي قامت عليها دولة (إسرائيل) .

- قلت له : لقد جرى استفتاء بعد حرب رمضان في دولة العدو الصهيوني يقول فيه ٧٢ بالمائة من الذين اشتركوا فيه بأنهم لا يثقون في أقوال حكومتهم التي تكذب عليهم ، ما رأيك في ذلك ؟ ..

- الواقع أنه لأول مرة ومن خلال حرب رمضان يجري استفتاء بين الشباب الذين ولدوا في فلسطين المحتلة حول موضوع الهجرة ، فيصوت ١١ بالمائة منهم إلى جانب الرغبة في الهجرة من فلسطين إلى خارجها ويتبادل القادة الإسرائيليون الاتهامات العلنية ويضع كل منهم اللائمة على غيره ، ويبرئ نفسه من الهزيمة التي وقعت ، وترسل كتائب من علماء النفس لمعالجة الأوضاع النفسية في جنود جيش العدو الصهيوني .

- هل يعني أن ما حصل بعد حرب رمضان ، وما يجري الآن فوق الأرض المحتلة أن فكرة إسرائيل الكبرى لم تعد فكرة ملهمة وأن فلسفة التفوق المستمر والنصر المستمر لم تعد أفكاراً ملهمة ؟ ..

- بالضبط هذا ما حصل ، إن التوسع الجغرافي لم يعد فكرا ملهما أو عملا ممكنا، كما أن فكرة الأمن الإسرائيلي قد ضربت وفكرة أمان الإنسان اليهودي داخل دولة إسرائيل ، وثقة الإنسان اليهودي بأفكاره ومجتمعه وقياداته ومؤسساته قد ضربت ، أي أن الفكرة الملهمة قد ضربت ، لتضرب معها كل الأفكار الناتجة عنها ، كما انهزمت المؤسسة العسكرية الصهيونية والقيادة العبقرية الإسرائيلية ، وبدأ التفتت داخل المجتمع ، وعندما تقتل الفكرة الملهمة في المجتمع ، وكذلك في الإنسان ، يقتل الطموح ، وعندما تقتل الفكرة الملهمة ويقتل الطموح تموت الآمال ، ويتلاشى الأمل، وينتشر اليأس وتهزم القيادة .

إن أملي لكبير في أن يتذكر بعضنا صحة توقعاتنا للانهيارات التي ستقع في مجتمع العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة لنعرف عمق الأثر الذي أحدثته حرب تشرين .

- هناك ثلاثة أسئلة تدور على ألسنة الناس في الوطن العربي، وخاصة أبناء فلسطين ، هذه الأسئلة هي :

  - هل ستؤلفون حكومة مؤقتة أو حكومة المنفى أم لا ... ؟

  - هل ستذهبون إلى جنيف أم لا .. ؟

  - هل وافقتم على قيام دولة فلسطينية أم لا .. ؟

- صمت قليلا ثم أجاب : إن الخطأ في هذه الأسئلة هو اعتبارنا لها أسئلة أساسية بينما هي أسئلة فرعية لسؤال واحد أساسي تفرضه المرحلة ، والسؤال الذي يجب أن نسأله باستمرار ونحاول الإجابة عليه بدقة هو كيف يستمر النضال الفلسطيني الثوري ؟ .. وكيف يستمر هذا النضال باتجاه إزالة الوجود الصهيوني من فلسطين؟..

- قلت له : كيف .. ؟

- قال : قبل أن أجيب بشكل صريح ، أريد أن أواصل وأقول هذا هو السؤال الوحيد الأساسي الذي تفرضه المرحلة حتى لا تقع إرادتنا ولا يقع نضالنا في مصيدة التمزق الذي ستعيشه المنطقة في المرحلة القادمة لأن الرخاء والترف أخطر الأسلحة على الإرادة الثورية والنضال الثوري ضد عدو هو العدو الصهيوني وحلفاؤه..

- نعود إلى السؤال ، كيف ؟ ..

- إن النضال هو تعامل مع الواقع لتغييره ، وحتى نتعامل مع الواقع بشكل صحيح لابد أن نفهمه بشكل صحيح ، أن نفهم كافة معطياته السلبية منها والإيجابية ، أن نفهم بشكل دقيق المعطيات الحتمية التي أنتجتها المرحلة السابقة بجسدة بنتائج حرب رمضان ، وأن نفهم علاقة هذه المعطيات الحتمية بنضالنا وبالمرحلة القادمة ، وأن نستكشف الممكن وغير الممكن لنعرف نوعية الشعارات التي ترفعها وأسلوب النضال الذي نمارسه لتكون شعاراتنا نضالية إيجابية جماهيرية قابلة للتنفيذ ، وليكون نضالنا مجديا ، لنحقق انتصار شعارات المرحلة القادمة لتكون خطوة في تحقيق الانتصار في المرحلة التي تليها .

وأعتقد أنه إذا تم الانسحاب الإسرائيلي إلى حدود عام ١٩٦٧ أو أكثر بما في ذلك الانسحاب من الضفة الغربية وغزة والقدس ، إذا تم ذلك فإنما سيتم بالأسلوب السياسي في ظل نتائج انتصار العرب في حرب رمضان، وهزيمة جيش العدو وقيادته العسكرية والسياسية وأفكاره وفلسفة وجوده ومجتمعه ، كما يتم ذلك في ظل التدخل الأمريكي الذي أنقذ الموقف الإسرائيلي من الانهيار الكامل وأنقذ مرحليا الوجود الإسرائيلي من التعرض للخطر الحاسم وما تبع ذلك كله من إيقاف إطلاق النار ، وفك الارتباط على الجبهة المصرية وفك الارتباط الذي تتم محاولة تنفيذه الآن على الجبهة السورية ، إذا تم ذلك فان ذلك يعني أننا مقبلون على مرحلة لن يرتفع فيها صوت البندقية عاليا

بالشكل الـذي كـان عليـه لأن مـا سـيتبع الانسـحاب الإسرائيلي (إذا تم) مـن إعـادة تنظيـم العلاقـات الدوليـة في العالم ، وموضوعية الوفاق الدولي ، وعلاقات تسويق وضـع السلاح ، كـل ذلـك لـن يجعـل صـوت البندقيـة في المرحلـة القادمة مرتفعا كما كان في الماضي ولذلك وجب أن يكـون السؤال الأساسي هو : كيف نحافظ على البندقية ؟ .. كيف تبقى البندقية ملمومة إلى صدورنا حتـى نعيـد إليهـا صوتهـا المرتفع عاليا ؟ أي كيف يستمر النضال الفلسطيني ؟ .

- مرة أخرى أسألك كيف ؟ ..

- هنا لابـد مـن معرفـة المعطيـات الموجـودة في واقـع مرحلتنـا القادمة والى موازين القوى القائمـة في واقعنـا وعلـى سـاحة نضالنا ، أما عن معطيات المرحلة ، فهي المعطيات الناجمة عن نضالنا الطويل المرير ، وبما حققـه مـن اعـتراف الـرأي العـام العالمي بنا وبقضيتنا وكذلك غالبية دول العالم ، وكما قلـت لقد نتج عن هذا رأي عام عالمي ودولي بوجوب إنشاء كيان للشـعب العربـي الفلسـطيني ، وكلمـة كيـان هـذه لا تـزال (غامضة) انها تبدأ من الحكـم الذاتـي مـن خـلال مشـروع المملكـة العربيـة المتحـدة وثـم بصيغـة اتحـاد فيـدرالي أو كونفدرالي مع المملكة الأردنية الهاشمية ، ثم دولـة مستقلة ، هذا الأمر ، اصبح من معطيات حرب رمضـان ومـن خـلال القناعـة الدوليـة ، وحتـى نعـرف كيـف نتعـامل مـع هـذه المعطيات رفضا أو قبولا ، لابد لنا من مقياس يرتبط بشعارنا الأساسي ، شعار ثورة حتى النصر ، ومقياسنا في هـذا الأمـر هو أي من هذه المعطيـات قبـولا أو رفضـا هـو الـذي يخـدم

شعارنا للمرحلة القادمة ، كيف يستمر النضال الفلسطيني باتجاه التحرير ، أي أن الذي يخدم استمرار النضال الفلسطيني من هذه المعطيات يجب أن نتبناه ونعلن موقفنا منه بشجاعة كاملة حتى نناضل من أجل تحقيقه .

- هل من الممكن أن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية ودولة العدو الصهيوني بأن تقوم إلى جانبها دولة وطنية فلسطينية ثورية تكون بمثابة الخنجر الموجه إلى قلبها .. ؟

- الجواب على ذلك هو تساؤل مضاد ، فمنذ متى كانت إرادة الشعب الفلسطيني ، وإرادة الثورة الفلسطينية ، تتصرف بما يتفق مع الإرادة الأمريكية ، أو الإرادة الإسرائيلية أو حتى الإرادة العربية إذا تناقضت مع إرادتنا، وعلى سبيل المثال ألم تتناقض إرادتنا في ١٩٦٥/١/١ مع الإرادة الاستعمارية والصهيونية ، وغالبية الأنظمة العربية ، ومع هذا فجرنا ثورتنا ولم نلتفت أو نستجب إلى تلك الإرادات .

إن النضال بطبيعته ، هو صراع إرادة النضال مع إرادة الآخرين وليس استسلام إرادة النضال لإرادة الآخرين إن الشعب الفلسطيني لو أراد الاستسلام إلى إرادة الآخرين ، لما كان بحاجة إلى تعب النضال ، ولبقي المناضلون في بيوتهم مرتاحي البال .

- ما مدى اتفاق مختلف التنظيمات الفلسطينية في أو حول الهدف المرحلي للثورة الفلسطينية في هذه الفترة حيث نسمع

بوجود اختلاف يتمثل بوجهة نظر الجبهة الشعبية وجبهة التحرير العربية ؟ ..

- لا توجد خلافات في الأسس ، ولكن هناك خلافا حول الأساليب فقط ، فمثلاً ، هناك اتفاق على عدم عودة أي أرض فلسطينية ينحسر عنها الاحتلال الصهيوني إلى حكم الملك حسين ، وكذلك الاتفاق قائم بشأن استمرار النضال الفلسطيني ، أما أسلوب التعامل مع المرحلة القادمة فهناك أكثر من وجهة نظر جانبية ، وأتصور أن هذا الخلاف بالنهاية سيحسم في الاجتماع القادم للمجلس الوطني الفلسطيني الذي سيعقد قريبا إنشاء الله .

- قالت إحدى الصحف العربية ، أن الرئيس أنور السادات قد وعد الأخ أبو عمار بأن تكون الضفة الغربية وقطاع غزة دولة فلسطينية فهل هذا صحيح ؟ ..

- أتصور أن الرئيس أنور السادات لايعرف ماذا يقول .. فهو لا يملك أصلا إعطاء هذا الوعد ، لأنه لا يملك وحده قدرة على تنفيذ هذا الوعد الذي يعطيه ، إن هذا الموضوع يحتاج إلى موقف عربي ونضال كبير وليس بمجرد وعد من الرئيس السادات

- من يضمن استمرار المسيرة النضالية لو قامت دولة فلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية ؟

- إن الإرادة التي فجرت الثورة هي التي تضمن استمرار المسيرة .

- ما هو الهدف من تكوين لجنة مشتركة من مصر والمقاومة الفلسطينية للتنسيق لمؤتمر جنيف ؟ .

- الذي أعرفه أنه لا يوجد حتى الآن أي تنسيق بموضوع جنيف ، إن القائم حاليا هو الإطلاع على ما يجري من تطورات في كافة المواقف أولا بأول ، وهناك لجنة أخرى مع سورية لنفس الموضوع ، هذا فضلا عن اتصالاتنا المستمرة والمتوالية مع كافة الدول العربية لاستكشاف التطورات الجارية والتي تكاد تقع وتتغير كل ساعة ، والهدف من ذلك كله هو جمع كل ما يمكن من معلومات تساعد على اتخاذ القرار الفلسطيني في الوقت المناسب ، بما يكفل استمرار النضال .

- إذا قامت الدولة الفلسطينية ، فهل ستقوم على كامل التراب الفلسطيني ؟

- إذا قامت الدولة الفلسطينية في هذه المرحلة ، فإنها لن تقوم على كامل التراب الفلسطيني ، ولكن استمرار النضال هو الذي سيجعل الدولة على كامل التراب الفلسطيني .

- ذكرت بعض المصادر عن احتمال عودة العلاقات الأخوية بين المقاومة والملك حسين شرط أن ينسى قادة المقاومة أحداث أيلول الأسود ، فما رأيكم وما مدى صحة هذا الخبر ؟ ..

- قيادة المقاومة لا تنسى ، وان نسى قادة المقاومة فالجماهير لا تنسى ، إن جماهيرنا الكريمة في نفسها وعقلها ووجدانها

وأخلاقها ، والكريم لا يمكن أن ينسى الإساءة أو الإهانة ، ولكن الكريم يمكن أن يتناسى ذلك إذا تطلبت مصلحة بلده ذلك ، أما بالنسبة لموضوع الملك حسين ، فالمستقبل هو الذي سيحكم بيننا وبينه .

- كيف يستمر النضال الفلسطيني وقد قلت ، إن صوت البندقية سيصمت ؟ ..

- أنا لم اقل أن صوت البندقية سيصمت ، وإنما قلت انه لن يكون مرتفعا .

- لقد ثبت أن طلب القيادة ، قيادة الثورة في الأردن إلقاء السلاح بعد مذبحة أيلول عام ١٩٧٠ كان خيانة لمبادئ الثورة الأساسية ، فما تبريركم لهذا الطلب ؟ ..

- إن هذا الحادث أصبح من تاريخ الثورة ، وقد تعاملت الثورة معه في حينه وخرجت من مأزقه ، وأنا لست مؤرخا أقيم أحداث الماضي ، وإنما رجل ثورة أصنع المستقبل ، أما إذا كان هناك من سيكتب كتابا عن المرحلة الماضية فأني أحيل إليه هذا السؤال للإجابة عليه.

- هل تعتقد أن الشعب الفلسطيني يرضى بإقامة دولة ديمقراطية مع إسرائيل أو يرضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين بشكل نهائي ؟ ..

- لا وألف لا .. لن يرضى الشعب الفلسطيني بإقامة دولة ديمقراطية مع دولة إسرائيل ، إن دولتنا الفلسطينية الديمقراطية التي ندعو لها هي دولة بدون إسرائيل ولكنها دولة يعيش

فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بدون تمييز بسبب الدين ، كذلك لن نرضى ، ولن يرضى الشعب الفلسطيني بتقسيم فلسطين إلى دولتين بين العرب واليهود ، وكحل نهائي ، لأن هذا يتناقض مع الدولة الفلسطينية الديموقراطية التي ندعو لها .. ويجب أن ندرك أنه حتى لو نحن أردنا السلم مع دولة إسرائيل ، فان إسرائيل لن ترضى بذلك ، لأن الصراع صراع على وجود أحدنا ، إما نحن كدولة ، وإما هم كدولة ، ولا مكان لدولتين في منطقتنا .

ألا تعتقد أن قيام دولة فلسطينية هو خروج عن استراتيجية الثورة بالنسبة لشعارها ، ثورة حتى النصر ، أرجو أن توضح ذلك ؟..

ألسنا ننادي برفض الوصاية والتبعية في المجال العربي وغير العربي ، وهنا هل لي أن أطرح نفس السؤال عليك ، عما إذا كنا قد استطعنا ممارسة رفضنا للوصاية بشكل كامل في المجال العربي ، وعما إذا كنا استطعنا أن نمارس التحرر الإرادي الفلسطيني الكامل في الواقع العربي ؟ .. الجواب ، طبعاً لا .. لماذا ؟ .. لأننا إذا أردنا إنشاء إذاعة ، لابد أن نأخذ إذن صاحب الأرض ودولته أليس كذلك ؟ .. أعتقد أن هذا جوابي على السؤال .

أخيراً ، ما هي الخطوات التي تتخذها الثورة لتوحيد صفوفها سياسيا وعسكريا ؟ ..

- لا يوجد إلا الحوار الديمقراطي ، فيستمر هذا الحوار إلى حين تحقيق القناعات، القناعات المشتركة ، أما أسلوب الحوار الدموي فلن نمارسه أبداً .

القاهرة ١٩٧٩

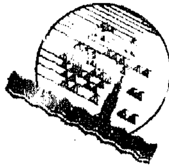
حـــوار

حول الوحدة والمستقبـــل



المؤلـــف

مع الاساتذه أكرم ديري ، كلوفيس مقصود وفيق الطيبي



حوار مفتــوح ...

حول الوحدة والمعركة والمستقبل

مازن : في حوار مع ثلاثة من المفكرين العرب ، كانت هـذه الندوة المفتوحة لمحاولة إخصاب قـدرة المعالجـة على التحديـات الـتي تواجه الأمة العربية في هذه المرحلة الدقيقة من حياتها ..

والمشتركون في الندوة هـم : الوزيـر السـابق أكـرم ديـري ، والمفكر الدكتور كلوفيس مقصود والصحفي الأسـتاذ وفيـق الطيبي، وقد دار الحوار معهم لبحث أبعاد الاستراتيجية العربية وبلورة إرادتها من حيث أن الوضـوح النظـري يلقـي الأضـواء الكافيـة على طريـق التحرير والوحدة والتحول الاجتماعي الجذري ..

وهذه الندوة تؤكد في محصلتها ضرورات ثلاث :

أولاً : وضوح الهـدف السياسـي مـن حيـث التزامـه بوحـدة الأمـة ومعركة التحرير .

ثانياً : أن تكون المعركة مخدومة علمياً وتخطيطياً حتى تضبط مسيرة التحـرك العربـي، وحتـى لا تـنزلق في مهـاوي المسـاومة والتنازلات ومهالك المزايدة والتشنج ..

ثالثاً : إن استراتيجية المعركة لا يمكن أن تكون إلا وثيقـة الاتصـال والترابط مع الاستراتيجية العامة بكافة أبعادها .

ولقد أكد المشتركون ضـرورة ضمـان اسـتمرارية المشـاركة المبدعة للجماهير بمناخ ديمقراطي كامل بدون الخوف ولا المراقبة، بل

بشعور من المسؤولية والرقابة الذاتية ، والتصحيح الديمقراطي المستمر الناتج عن الحوار الخلاق الإيجابي .

وكان السؤال الأول الذي طرح على بساط المناقشة الحرة هو : كيف تستطيع دولة اتحاد الجمهوريات العربية الجديدة القيام بتنفيذ أهدافها ، وما هو رأي المشتركين في الاتحاد ، وكيف نصل إلى استراتيجية واحدة للدول العربية لخدمة المعركة ؟

وكانت الردود كالآتي :

كلوفيس مقصود :

إن اتحاد الجمهوريات بنظري ، يشكل خطوة أولى ، وبالضرورة ليس نهاية المطاف ، والخطوة الأولى هذه تنطوي على آثار انفصال حجمه أكبر من المطلوب من التأثر بالحركة الانفصالية التي قامت عام ١٩٦١ بين مصر وسورية ، وهذا يفسر كون الاتحاد الذي قام ، وان كان في إطار التردي العام الذي حصل للإرادة القومية ، هو بمثابة خطوة وحدوية ، إلا أنه يفتقد إلى عناصر الإلزام التي هي وحدها تتجاوز كل ترسبات الانفصالية والإقليمية والرجعية في المنطقة .. صحيح ، أن تجربة الوحدة عام ١٩٥٨ رافقها عدد من السلبيات ومن تحكم البيروقراطية ومن عدم الوضوح النظري وغيرها من المسلكيات السيئة للعمل الوحدوي ، إلا أن توفر عامل الإلزام ، وما يعطيه هذا العامل من سلطة فعلية لعملية الوحدة جعل قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ ، بالإضافة إلى كونها تعبير أصيل عن الطوق الوحدوي في الأمة العربية ، إلا أن قيام ج.ع.م كان الأداة الضاربة الجدية ضد إسرائيل وضد الإمبريالية في المنطقة . بعد الانفصال انساب الوهن في عملية التعبئة القومية ، من حيث

قدراتها في المواجهة والتحكم الاستراتيجي . لا إمكانيات إسرائيل في التوسع فحسب ، والعدوان فحسب ، بل في حصر إسرائيل من حيث هي كيان مغتصب ... كل هذا يؤكد حقيقة واضحة بأنه في إصرار المعادلة الدولية على الاحتفاظ بموازين القوى بين إسرائيل والأمة العربية فانه لا يمكن ترجيح واقع الأمة العربية في مجابهتها مع إسرائيل ، على ضوء المعادلة الاستراتيجية للدولة المذكورة ، إلا من خلال إدخال عامل الإلزام في الوحدة ، لأن هذا العامل هو السلاح المنبثق ذاتياً والذي لا يعطيه الاتحاد السوفيتي ولا يمكن للولايات المتحدة أن تأخذه منا ..

وبالتالي ، فالبعد الاستراتيجي للوحدة هو أنه ؛ في المعطيات الدولية الراهنة ، فالوحدة هي المدخل لمشروعية ترجيح القوى العربية على إسرائيل .. إن قيام اتحاد الجمهوريات العربية هو اعتراف بأن التطلع الوحدوي هو التعبير الأكثر أصالة والأشد التصاقاً مع حركة الجماهير العربية ، رغم كل ما أصاب هذه الحركة من وهن وانتكاسات استعمارية للتلاعب بمصير المنطقة والوحدة ، ورغم الحرب النفسية التي شنتها وبنجاح نسبي ، حركات انفصالية تقليدية وجديدة ..

أكرم ديري :

إن قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، بالإضافة إلى أنه تحقيق لمطلب جماهيري تنادي به جماهير الأمة العربية لتوحيد أقطارها ، فإني أنظر إلى هذا الاتحاد في الوضع الراهن من خلال الهدف المباشر الذي يستطيع تحقيقه في المستقبل القريب .. فأهم هدف يستطيع تحقيقه في هذه المرحلة الراهنة هو توحيد موقف الدول

الثلاث من موضوع الحرب والسلم ، وهذا يقتضي وضع استراتيجية شاملة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية لدول الاتحاد ، لتكون قادرة على مواجهة أعباء المرحلة الراهنة وحل مسألة احتلال الأراضي العربية التي احتلت في يونيو - حزيران - ١٩٦٧ .

كما أن بوسع هذا الاتحاد أن يضع استراتيجية بعيدة المدى ، شاملة كل الأبعاد لحل قضية فلسطين المغتصبة ، وإيجاد مخرج للأزمة التي تعانيها الأمة العربية من وجود كيان غريب ومستورد مزروع في لحم الأمة العربية ، وبوسع هذه الاستراتيجية أن تضع برنامجها الكامل في مكافحة الإمبريالية والصهيونية في المنطقة .

وإني اعتقد أن أهم هدف تستطيع تحقيقه دولة الاتحاد ، على ضوء استراتيجية الوحدة ، هو وجود قيادة سياسية واحدة تقرر مشاكل الحرب والسلم وتقرر تعبئة الجماهير وكل الطاقات والموارد وتحقيق تلاحم الجماهير مع جيوشها .. فقد أثبتت حرب ١٩٦٧ أننا كنا نفتقر إلى نظرة مستقبلية واحدة ، كما كنا نفتقر إلى تصور سياسي واحد ، وبالتالي إلى تصور استراتيجي واحد .. وبوسع دولة الاتحاد أن تحقق هذا بصورة فورية ..

وفيق الطيبي :

إن ما تحقق حتى الآن من خطوات اتحادية هو تنسيق اتحادي وليس اتحاداً بالمعنى العلمي .. اقصد أنه اتحاد " كونفدرالي " وهو صيغة حديثة لجامعة الدول العربية .. ومن هنا و إلى أن تنجح هذه الخطوات في إزالة جميع التناقضات القائمة بين الدول الثلاث، نستطيع أن نتكلم عنه كاتحاد يجمع الطاقات المتعددة للدول الثلاث وعن دور هذه الطاقات في المعركة ضد العدو

الصهيوني وحليفته الإمبريالية والرجعية العربية ، وأشدد على الرجعية العربية لأننا كدنا مع التطورات الأخيرة ننسى وجودها ودورها الفاعل والضاغط على الموقف بكامله ، بحيث أصبحنا اليوم ابعد عن أهدافنا في التحرر والبناء الاجتماعي عما كنا عليه قبل عام ١٩٦٧ ، وأريد قبل الدخول في أساس السؤال، أريد أن أطرح بدوري سؤالا لأن من طرحه نستخلص الجواب .. والسؤال هو : ماذا نريد بالفعل .. هل نريد الحرب أم نريد السلم ؟

في اعتقادي بأن الأمة العربية لم تصل في وقت من الأوقات إلى حالة من الضياع كالحالة الموجودة فيها اليوم ، وهي مأساتنا جميعاً ، وعلى كل المستويات .. مأساة حقيقية لا نعرف ماذا نريد .. هل نريد الحرب فعلاً ، أم نريد السلم ؟

أطرح هذا السؤال لأن من يزور أي عاصمة عربية وخاصة عواصم الدول المتاخمة للأرض المحتلة لا يرى مظهراً واحداً من مظاهر الجدية والمسؤولية والاستعداد الفعلي للحرب..

هناك قول شائع : (إذا أردت السلم فاستعد للحرب)..
ونحن نريد السلم، وهذا على صعيد التحرك السياسي الرسمي ، ولكننا لا نستعد للحرب ، وهذه حقيقة يجب أن نقولها للرأي العام العربي ولكل جماهيرنا العربية في كل مكان .

... خطة المستقبل ...

مازن : ذكر الأستاذ أكرم أنه قبل عام ١٩٦٧ لم يكن هناك خطة مدروسة للمستقبل تؤهل الجماهير العربية خلف قياداتها ، من دخول المعركة .. وذكر الأستاذ وفيق أن وضع هذه الخطة بعد قيام الاتحاد الجديد ضرورة حتى يأخذ هذا الاتحاد بعده الاستراتيجي الحقيقي في مواجهة إسرائيل أو رفع قوى الدول الثلاث إلى مستوى المواجهة ، بحيث لا تغيب الأهداف الحقيقية .. وسؤالي الآن : كيف لنا أن نضع هذه الخطة المستقبلية على طريق العمل الواضح والتنفيذ الجاد من خلال الاتحاد الجديد؟.

كلوفيس مقصود :

إن التخطيط يحتم وجود قيادة واحدة قادرة على تحمل النتائج السياسية للخطط المدروسة حتى تتحمل مسؤولية التنفيذ ، لكن الخطة لا يمكن أن تنفذ إلا من خلال سياسة الخطة وبالتالي تحديد ما تستهدفه الخطة ، فالخطة والتخطيط رغم أنها تؤثر في مجرى التطور السياسي إلا أنها في جوهرها عملية فنية و(تقنية) مرتكزة على تقييم موضوعي للإمكانيات ومسح للطاقات البشرية والطبيعية والتقنية المتوفرة وربطها وتنسيقها داخل إطار السياسة المرسومة .. وعندما تتوضح الرؤية السياسية وتلتزم المعالجة من خلال خطة ، عندئذ يصبح بإمكان القيادة السياسية أن تمر حل تحقيق الهدف دون أن تقع في الخوف من المزايدة من جراء التزامها سياسة التمرحل.

يبقى أن يتوفر العامل الدائم بين الخطة والقيادة السياسية، وهو رصيد الثقة الذي تتمتع به القيادة السياسية ، والذي قد يكون متوفراً بالنسبة نفسها مع القدرة على توجيه الخطة .. أو أن يكون هناك ثقة بقدرة القيادة السياسية على توجيه الخطة ولكن دون توفر الثقة بالهدف السياسي للقيادة عند الجماهير ، عندئذ ، تصبح الخطة الناضجة خطراً على مصير الأمة والمواجهة، بمثل ما هو الخطر أن تتمتع القيادة السياسية بثقة فيما يتعلق بالهدف السياسي بدون الثقة المطلوبة لإخضاع الخطة لهذا الهدف.. ومن هنا يتوجه المنظار إلى بعض الحقائق السلوكية المطلوبة لتمكننا من الاستنباط الدقيق ، وهذا يعني أن الأمة العربية بحاجة إلى مركزية في التوجيه ، وجماعية ديمقراطية في القيادة ..

أكرم ديري :

عام ١٩٦٧ وقبله ، خسرنا المعركة قبل أن نبدأها ، وذلك على مستوى ما يسمى المناورة الخارجية ، وأعني الرأي العام العالمي ، والهيئات الدولية ، والقطاعات الفاعلة في المجتمعات العالمية .. كان بتصور الرأي العام ، بتأثير الدعاية الصهيونية المتغلغلة في كل الأوساط ، أننا معتدون لا معتدى علينا ، وساعد على ترسيخ هذه النظرة بعض التصريحات التي صدرت عن بعض السياسيين العرب ، لذا فان تحركنا السياسي في كل المجالات ضروري جداً لكي ينكشف موقف إسرائيل التوسعي العدواني للرأي العام العالمي .. وأنا في هذه المنطقة بالذات أعتقد أن مصر بذلت في هذا المجال جهوداً جبارة واستطاعت بتحركها السياسي الواعي ، كسب مجالات جديدة وتحييد قطاعات جديدة.

أما فيما يتعلق بالخطة والتخطيط ، فللاتحاد رئيس واحد، ومجلس رئاسة ، ومؤسسات عديدة ستنبثق عنه ، فمن المفروض أن يضع مجلس الرئاسة المفهوم السياسي لحركة كفاحنا ضد الإمبريالية والصهيونية لأنه بدون خط سياسي ومضمون سياسي لا يمكن لأي خبير عسكري أن يضع استراتيجية شاملة ، وأعني بالاستراتيجية الشاملة الاستراتيجية العسكرية البحتة ، والاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية .. واتفق مع الأخوين وفيق وكلوفيس على قضية توفير الشروط الملائمة لتنفيذ هذه الخطط دون مساومات أو مزايدة ..

وفيق الطيبي :

وأنا بدوري أتفق مع الأستاذ أكرم فيما ذكره بصدد التحرك السياسي الذي قامت به القاهرة ، ولكني أريد أن أسجل ملاحظات أساسية ، وان كانت مقتضبة في اعتقادي ، إنه ليس بالحتم والضرورة أن يكون الاستعداد لتوفير قوة المواجهة العربية لإسرائيل ولحلفائها ، الذين ذكرناهم وعددناهم ، على حساب التنمية الاقتصادية .. هناك أمثلة كثيرة تدلنا بوضوح على أن إنشاء القوة العسكرية ممكن أن يتم في وقت واحد مع التنمية الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية .

أما بصدد التحرك السياسي، فقد كنت من الذين أيدوه، وبكل قوة ، إلا أنني اشدد على أن التحرك السياسي ، بقصد كسب قطاعات من الرأي العام العالمي، وبصدد كشف طبيعة إسرائيل العدوانية ونياتها التوسعية ، ليس غاية بحد ذاته وإنما هو وسيلة نتوسل بها في مواجهتنا ، ويجب أن تكون أساساً في الخطة التي تكلمنا عنها

سابقاً ، والتي اشترك في توضيح إبعادها الاستراتيجية والسياسية كل من الصديق الأستاذ أكرم ديري والدكتور كلوفيس ..

من هنا تنبع ضرورة التكامل في الخطة ، فهي استراتيجية كاملة ، عسكرية واقتصادية وسياسية وإعلامية ، وضمن إطار كامل من الديمقراطية ، لا يكون في التقييم الصحيح والمطلوب ، تقدماً في العمق يحقق التلاحم بين الجماهير وبين القيادات السياسية ، أو يحقق الثقة التي يجب أن تتوفر لتتمكن هذه القيادات السياسية من التحرك صوب الأهداف المرسومة .

... دور الجماهير ...

مازن :ذكرتم الخطة بإسهاب ولم تذكروا حتى الآن دور الجماهير في العمل على تحقيق وحماية هذه الخطة ، فكيف لنا أن نصل إلى دور إيجابي وفعال من خلال الجماهير ؟

وفيق الطيبي :

إن المشاركة الجماهيرية حتى اليوم لم تتحقق على كل المستويات .. أي أن الطاقات معطلة ، إن كان ذلك بالنسبة لمعركة التحرير أو معركة البناء ، وان المسؤولية الكاملة لا تقع على الأنظمة ط وإنما أيضاً وبصورة أساسية على الجماهير التي لم تعرف من ل طلائعها التقدمية والوحدوية كيف تحقق وحدتها، لأن ما ن بينها هو أكبر بكثير مما يفرق بين فصائلها.. وأعني هنا الطلائع حدوية التي هي تجسيد لتطلعات الجماهير الواسعة على امتداد

الأرض العربية .. إن تحقيق هذه الجبهة الواحـدة أمـر ضـروري حتـى ترمي الجماهير بثقلها في الساحة النضالية .

كلوفيس مقصود :

أريد أن أضيف على كلام الأستاذ وفيق أن المشاركة يجـب أن تكون مضمونة من خـلال مؤسسـات تتجـاوز التغـيرات المفاجئـة وتضبط هذه التغيرات .

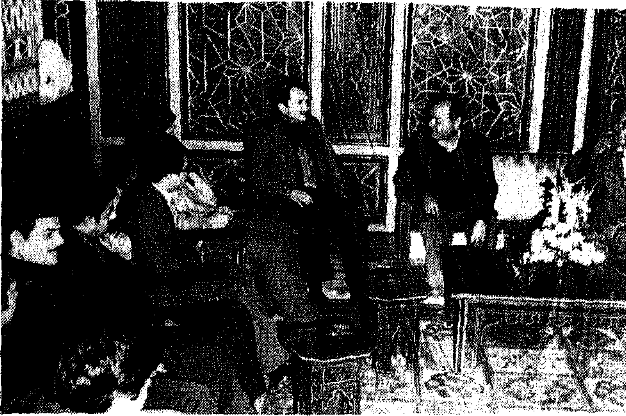
فالمشاركة المتقطعة المتأرجحـة بـين حريـة تعطـى للمشـاركة وبنفس الوقت تسحب ، تؤدي إلى حالة إرهاق في الجماهير وبالتـالي تفرغهـا مـن إرادة المشـاركة .. لذلـك لابـد مـن تـأكيد بـأن شـرط المشاركة الديمقراطية الكاملة التي تؤمن علاقة جدلية بين الجماهير مع بعضها ، وبين الجماهـير والحكـم مـن ناحيـة أخرى ، هـذا يعـني أن الجماهير عندمـا تـدرك أن مشـاركتها مضمونـه وأن إرادتهـا ورأيهـا فاعل ومؤثر ، وان لم يكن باستمرار مقبول ، فإنها تلجأ إلى مزيد من التحرك والاقتناع بدلا من الانقطاع عن الاهتمام بمشاغل الحكـم إلا من حيث تيسير الأمور .. فتسـلط النظـام يـؤدي إلى تحريـك التمـرد على النظام ، بينما سلطة النظام تستجلب الحوار مع الجماهير .

عصـــام القاضـــي

عضـو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي

الأمين القطري للتنظيم الفلسطيني

قائـد الصاعقـة



(ان الملتزم بالقضايا المصيرية ، والملتزم بالنضال هو الذي يعرف قيمة التكريم للمناضل)



الاستاذ عصام القاضي هو من أبناء فلسطين المعروفين بنضالهم المستمر من أجل القضية ، وهو أحد قادة العمل الفدائي هذه الأيام .

انه قائد قوات الصاعقة وعضو المجلس المركزي الفلسطيني ، وعضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي والأمين القطري للتنظيم الفلسطيني .

عصام القاضي مناضل مثقف ثقافة عميقة وبدأ نضاله فوق الساحة الفلسطينية منذ أن كان طالبا ورئيسا لاتحاد طلاب فلسطين .

ودار بيننا هذا الحوار .

قلت للأخ عصام القاضي :

- ما رأيك في التضامن العربي هذه الأيام ..؟

صمت قليلا ثم أجابني بحزن شديد ، اين هو هذا التضامن ..؟

- هل انتهى برايك .. ؟

- تقريباً

- وما العمل

- نحن كما تعرف دعاة وحدة ، ونؤمن بوحدة الأرض والشعب و التاريخ و الثقافة للامة العربية . وشعار الوحدة العربية كان وسيبقى الهدف الاول لنضال أمتنا . ونظراً للظروف و العقبات

التي تحول دون تحقيقه في هذه المرحلة ، ونظراً للخطر الداهم الذي يهدد مصير الأمة نادينا بالتضامن العربي كحد أدنى لحشد طاقات الأمة للمواجهة وقلنا إن القضية المركزية للعرب في هذه المرحلة هي القضية الفلسطينية التي تحاك المؤامرات لتصفيتها ، وسرنا في هذا الطريق بجدية و صدق خطوات ولكن للأسف ، على ما يبدو أن بعض العرب غير معنيين بمصير الأمة ، ولا بمصير الأجيال القادمة .

إن شعار التضامن العربي بحاجة لإعادة نظر ، وايجاد صيغة جديدة للعمل العربي ، تعتمد الجماهير العربية بديلاً للأنظمة التي ثبت أنها بغالبيتها أنظمة عاجزة و عميلة غير معنية بالوطن و قضاياه المصيرية .

– وقلت للأخ عصام القاضي ، وما هو دور الولايات المتحدة في تمزيق وحدة النضال العربي برأيك ؟

أجاب : العلة فينا نحن العرب ، نحن المسؤولون عن عوامل ضعفنا . هذه الأمة بامكانياتها الكبيرة لو صدق قادتها لو أخلصوا لانفسهم ، لاولادهم ، لمستقبل ومصالح الامة لاستطاعوا فرض مشيئتهم على الدنيا .

الولايات المتحدة الامريكية دولة عظمى ، لها استراتيجيتها ومصالحها . وهي غير معنية بمصير الامة العربية و تحقيق مصالحها الحيوية ، لذا فهي تعمل للوصول إلى اهدافها دون اكتراث بمصالح هذا الشعب أو ذاك ، هنا أو هناك . و الشعوب التي تتمسك بحقوقها ، بحاضر و مستقبل أبنائها تستطيع أن تتصدى لمجمل الاهداف الخبيثة التي تسعى الدول الأجنبية لتحقيقها .

العلة فينا . نحن ضعفاء لاننا مشرذمون و الويل للضعفاء في هذا العالم الذي تسيطر على مقدراته دول طاغية و ظالمة .

- ولكن ما هي نظرتك إلى ما يطرح الان على الساحة الفلسطينية من أقوال و افعال ؟

إن ما يطرح الآن على الساحة الفلسطينية ما هو إلا عمليات تحضير للشعب العربي الفلسطيني كي يذعن لمخططات تصفية القضية الفلسطينية . نحن نؤمن بالسلام العادل و الشامل الذي يعيد الحق العربي كاملاً . و الذي يدور الآن ما هو إلا عملية التفاف للوصول إلى التفريط و الاذعان لمخططات العدو .

- لنقف أمام ذلك الحدث التكريمي حيث حرص سيادة الرئيس حافظ الأسد على إستضافة وتكريم المناضل بسام الشكعه . كيف كان شعورك عندما شاهدت تكريم الشكعة كمواطن عربي فلسطيني ؟

أجاب الاستاذ عصام القاضي قائلاً : لان الرئيس حافظ الأسد شيخ المناضلين ولانه ابن الأمة ويهمه شرفها وهو المتمسك بحقوقها كاملة، لا يساوم ، لا يفرط ، لا يخاف ، لا يغامر ، شجاع ، حكيم، فأمر طبيعي أن يقوم بتكريم المناضل بسام الشكعة . بغض النظر عن جميع عوامل الضعف الموجودة في الأنظمة العربية يبقى هناك قائد عربي اسمه حافظ الأسد رجل عقيده ومبادئ يلتف حوله المناضلون العرب الذين بدورهم ينالون كل حب و تكريم منه .

إن تكريم بسام الشكعة هو تكريم لكل المناضلين الفلسطينيين بل لكل المناضلين العرب .

- برأيك ما هو منظور الإستراتيجية الحالية لاعداء أمتنا االعربية من صهاينة و مستعمرين تجاه قضايانا و حقوقنا ؟

- بعد أن اشعل سيجارته و غاب قليلاً عن الاجابة ... اجاب :

إن منظور الاستراتيجية لديهم تجاهنا بشكل عام هو الوقوف في وجه وحدة العرب أو تضامنهم و ذلك لايقاف نمو قوتهم اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً وروحياً . وابقائهم على ما هو عليه من تفكك وضعف . وذلك ليسهل قيادتهم وفرض الهيمنة الاستعمارية الصهيونية عليهم ، عسكرياً واقتصاديا .

- انتم في حزب البعث العربي الإشتراكي هل استطعتم تحليل الواقع العربي تحليلا علمياً وواقعيا وبشكل دقيق وقادر على الإستيعاب والإدراك ؟

إن الكلام الذي قلته لك وسأقوله هو كلام كل بعثي . وهو كلام سهل الاستيعاب والادراك وليس بحاجة إلى تحليل أو فلسفة . أمة عربية ممزقة تقودها أنظمة غير معنية بمصالح أبنائها . و إذا لم تتوحد أو تتضامن هذه الأمة للدفاع عن مصالحها ، و التمسك بقضايا الأمة الوطنية و القومية ، و إذا اخطأت و اعتبرت أن الصراع في فلسطين ما هو إلا صراع محدود بين المستوطنين الصهاينة و أبناء فلسطين إن فعلت ذلك تكون قد ارتكبت خطأ استراتيجياً بحق نفسها ، وستدفع الأجيال العربية القادمة ثمناً باهظاً نتيجة لذلك . إن صراعنا مع العدو الصهيوني هو صراع على الوجود لا على الحدود . إن كل ما نشاهده من تحركات أو ما ما نسمعه من طروحات ما هو إلا خطوة على طريق الهيمنة على مقدرات الامة العربية وتحويلها إلى شعب من العبيد في خدمة الصهاينة و المستعمرين .

- وفي النهاية قلت له : ما هو تصورك لما هو قائم وقادم ؟

إن الأمة العربية ، أمة عريقة ، لها تاريخها و لها جذورها في هذه المنطقة ، وفيها امكانيات بشرية ومادية وروحية هائلة . باعتقادي مهما حاولوا ، مهما خططوا ، مهما وجد في هذه الأمة من استسلم أو هو على طريق الإستسلام ، فإن الأمة ستستمر بالتمسك بقضاياها ولن تفرط بحقوقها و سيفرض عليها الخطر الذي يستهدف وجودها كأمة لأن تتضامن و تتوحد لمواجهة هذا الخطر .

لقد سقط بعض ابنائها وقد يسقط البعض مستقبلاً ولكن أمة كالأمة العربية تبقى قادرة دائماً و ابدا على ولادة ملايين المناضلين الذين يتابعون مسيرة النضال على درب حافظ الأسد وبسام الشكعة .

أحمــد سعيــد

مدير إذاعة صوت العــرب



أحمد سعيد :

قبل الخامس من حزيران - يونيو - ١٩٦٧ ، لم يكن هناك صوت أشهر من صوته في الإذاعات العربية قاطبة .. كان ، عندما يتحدث من وراء ميكرفون (صوت العرب) ، يأسر بدوي الصحراء بصوته الجهوري ، ويفجر الحماس في قلوب الشباب العربي ، ويملأ بالثورة صدور المقاتلين في المشرق والمغرب العربيين، ويهز عصا التحدي في وجه القوى الاستعمارية التي كانت تعمل لاغتيال الحرية في أكثر من مكان في الوطن العربي الكبير ..

وجاء يوم اصبح فيه أحمد سعيد ، مدير إذاعة (صوت العرب) العدو المباشر للقوى الاستعمارية والصهيونية ، والعقبة الكأداء في طريق تنفيذ المخططات العدوانية على الأمة العربية .. وقيل أن فرنسا عرضت إهداء كافة معدات مشروع كهربة سد أسوان في مقابل وقف حملاته الإذاعية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في تونس والمغرب والجزائر .. وقيل أيضاً أن الولايات المتحدة الأميركية أعربت عن استعدادها لدفع مبالغ طائلة لمصر عام ١٩٥٨ ثمناً لوقف برامجه الناشطه ضد السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .. أما بريطانيا ، فقد أنشأت أكثر من إذاعة سرية للرد على حملاته ، وللتشويش عليها ، ولخنق نداءات الثورة التي كان يوجهها يومياً من وراء ميكروفون إذاعة (صوت العرب) ..

وحلت نكسة حزيران ، واختفى بعدها صوت أحمد سعيد .. أين اختفى ؟ .. ولماذا ؟ وكيف ... هذا السؤال طرحه الكثيرون ، وثارت حوله المناقشات طوال السنوات الماضية .. لكن

أحداً لم يكلف نفسه مهمة البحث عن المعلق العربي الشهير الذي هز صوته الملايين العربية ووصل إلى أعماق الصحراء ..

وكان لابد أن ابحث عنه لأعرف جواباً ، أو أكثر للأسئلة المطروحة .. لأعرف نوع الحياة التي يعيشها .. ولأدخل في أعماق تفكيره واسمع رأيه بالأحداث المعاصرة في الوطن الكبير الذي كان ذات يوم محرك أحداثه ..

وأخيراً عرفت مقره ..

ذهبت إليه في مكتبه بالطابق السابع من إحدى عمارات شارع قصر النيل .. اللافتة على الباب تقول : (أحمد سعيد ، محام بالاستئناف ومجلس الدولة) .

وضغطت على الجرس ، وفتح الباب ، ودخلت لأجد نفسي وجهاً لوجه مع صورة زيتيه لطفل فلسطيني لاجئ يقف وراء الأسلاك يرمقني بعيون جائعة ، ونظرات ضائعة ، وآمال مشردة قاتمة .

وعلى الفور ، داخلني شعور أو وهم أني أخطأت الطريق.. يستحيل أن يكون هذا مكتب محام ، وفي ماذا ؟ في الاستئناف ومجلس الدولة .. إنه ولاشك محام من نوع آخر .

وجلست ريثما استأذنت لي السكرتيرة ، وعيون اللاجئ الصبي تلاحقني ، تطاردني ، تكاد نظراتها أن تصرخ .. تتهمني بما نزل بصاحبها ويجري تكريسه في وطن العرب من قهر وذل وضياع وبصعوبة شديدة ، ابعدت عيني عن اللوحة الزيتية .

ويخرج أحمد سعيد مودعاً ضيفاً عربياً من الكويت ، التقطت اسمه ، اسمه عبد العزيز الحميدي ، عرفت فيما بعد قصته.. كان عاشقاً لأحمد سعيد المعلق السياسي دون أن يعرفه أو يلتقي به واذ اكتشف أنه اصبح محامياً ، سارع إليه بمشاكله القانونية في مصر ..

أحمد سعيد مع الحميدي على باب المصعد ، وأنا وحدي في مكتبه .. ملفات .. قضايا .. كتب قانون .. ضخمة وسميكة؟ وما هذا ؟ .. مجموعة كاملة من خطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

والجدران ؟ .. ماذا على الجدران ؟ .. لابد أن هناك لوحات مثيرة كلوحة الصبي اللاجئ .. غريبة .. ثلاث لوحات بالزيت في مواجهة المكتب تماماً لمناظر طبيعية ، ولوحة خلف المكتب لأحمد سعيد عليها توقيع الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط وتاريخ ١٩٥٤ ، ثم هذه صورة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر مصنوعة من كلمات مواد الدستور المصري الصادر عام ١٩٥٦ .. ويعود أحمد سعيد من وداع زبونه الكويتي القديم الجديد .. وعلى الفور يبدأ الحوار ..

- قلت له : لماذا اختفى أحمد سعيد ؟ ..

- أجاب : أنت .. ماذا سمعت عن السبب ؟ ..

- أنا ؟ .. أنا الذي أسأل ..

- وأنا الذي أجيب ، حدثني أولا ماذا سمعت ..

- تردد أن الملك فيصل طلب تنحيتك كشرط من شروط تعاونه في مؤتمر الخرطوم ..

- هذا ما تردد على لسان محجوب - محمد أحمد محجوب - الرئيس السابق لوزراء السودان ، وهو شرف لي أرجو أن يثبت تاريخياً .

- وقالوا أن إبعادك يرجع إلى إضافات لك في بيانات حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

- لعل هذا اسخف ما قالوه ، لأن تنحيتي جاءت في سبتمبر - أيلول - ١٩٦٧ ، بعد انتهاء الحرب بأربعة اشهر ، بجانب أن هذه البيانات كانت تصدر عن قيادة الجيش في ذلك الوقت ، وكانت تنشرها الصحف ووكالة أنباء الشرق الأوسط ، ومن مصادرها العسكرية مباشرة ، ولم يعد أحد رجالها المسؤولين .

- وزعموا أن إنهاء خدمتك كان بسبب فشل سياستك الإعلامية ..

- فشل سياستي الإعلامية ، أم فشل سياسات أخرى ؟ .. يا أخ لدى أصحاب الرأي مثل مصري يقول : (مقدروش على الحمار اتشطروا عالبردعة) .. الحمد لله في دي ما طلعونيش الحمار ..

- قالوا أنك تزعمت مجموعة من المعارضة في مجلس الأمة ، وطالبت بإحداث تغيير في الحكم .

- الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، تحدث بفخر عن هذه المعارضة كصورة من صور حرية الرأي في عهده ، وذلك ضمن خطابه في حلوان عام ١٩٦٨ ، كما أن الرئيس كان

يعطي بجموعة المعارضين الكثير من فـرص التعبـير عمـا كنـا نؤمن به يومها من آراء .

- طيـب ، إذا كـانت جميـع هـذه الأسـباب بجـرد إشـاعات لا أساس لها من الصحة، فلماذا إذن تم إبعادك ؟ .

- أتريد الحق أم ابن عمه ؟..

- الحق

- لا أعرف ..

- لا تعرف ؟ .. مستحيل ..

- الحق أني لا أعرف .

- كيف ؟ ألم تسأل ؟ ..

- لا ..

- غريـب، أيتخـذ قـرار بإبعـادك عـن عملـك وإحـالتك إلى التقاعد .. ثم لا تسأل؟..

- هذا ما حدث ..

- لماذا ؟ .. لماذا لم تسأل ؟ ..

- لأنني كنت أنتظر مثل هذا القرار ..

- صحيح ، سمعنا أنك قدمت استقالتك أكثر من مرة ؟ ..

- هذا صحيح .

- كذلـك سمعنـا أن حـواراً لـك دار عـام ١٩٦٥ مـع الرئيـس الراحل جمال عبد النـاصر في إحـدى جلسـات بمجلـس الأمـة الرسمية ، أعلن فيه الرئيس الراحل أنـه وان كـان لا يوافقـك على بعض ما تبديه في (صوت العرب) من آراء إلا أنه كأن يترك لـك حريـة الـرأي طالمـا أنهـا لا تمـس السياسـة العامـة للدولة عالمياً واقتصادياً ؟ ..

- هذا بعض ما حدث ..

- تناولت العواصم العربية أنك اعتقلت ؟ ..

- هذا كذب ، فلم يحدث أبـداً أن جـرى اعتقـالي ، بـل علـى العكس من هذا طلبت عام ١٩٦٨ إذن بالسـفر إلى العـراق ويومها أمر الرئيس الراحل بتسهيل سفري ، كما اسـتدعاني أنور السادات بوصفه رئيساً لمجلس الأمة،وعـرض أن يكـون سفري كعضو في المجلس ، وأمر الرئيس الراحل بتقديم كافة المعونات التي كنت أحظى بها أثناء الوظيفة .

- ألم تجابه أية متاعب عقب إبعادك عن الحياة العامة ؟ ..

- ثق أنها نفس المتاعب التي لقيتهـا ولقيهـا كـل مـن عـاش في مصر أيام حكم الرقابة والمحاربة في الرزق ، ولعـل هـذا كلـه أسوأ من السجن .

- وبماذا تفســر كــل هذا بحقـك وأنـت أحـد الذيـن حملـوا بصدق ألوية الناصرية ؟؟ ..

- جاءت فترة على مصر لم تكن ترانـا فيهـا القيـادة إلا بعيـون نفر من أدعياء الثورة والثورية الذين حكموا بعد ناصر .

- افهم من هذا أن الطريق عاد مفتوحاً أمامك إلى ممارسة حياتك العربية ؟ ..
- لاشك أن الطريق الآن مفتوح ..
- أرجو التوضيح ؟ ..
- ربما لا أكون مفيداً في هذه المرحلة .
- كيف ؟ هذا غير معقول ؟ ..
- في عالم العلاج ضد الجراثيم ، ألا توجد المضادات الحيوية من مشتقات (البنسلين) و(ترمايستين) و(استربنومايسين).
- صدقت .. الوطن العربي مليء بالجراثيم .
- لكل نوع من هذه المضادات القاتلة للجراثيم فعالية تختلف عن الأخرى قوة وضعفاً ، والطبيب المعالج هو وحده الذي يقدر نوع المضاد وجرعته للمريض ، والمرحلة التي يتعاطاه فيها ..
- أنت حقاً مضاد للجراثيم ؟..
- ولو حدث خطأ من الطبيب وأعطى مريضاً جرعة قوية من المضاد ، ربما قتله.
- صدقت ، يحدث هذا في الطب والعلاج .
- وأيضاً مع الشعوب والثورات .

- لننظر أولا إلى حالة المريض ، ولنسمع ثانياً رأي الطبيب؟ ..

ذكرت شيئاً عن محاربتك في رزقك ؟ ..

- بدأب وإصرار .

- أليست لك مؤلفات ؟ .. دراسات ، أبحاث ؟ ..

- هناك كتابان جاهزان ، إحداهما (العرب كرة بين الأقدام) ويتناول بأسلوب خاص ما فرضته أحداث ١٩٦٧ وما تلاهما ، والآخر (ذكريات من الخليج إلى المحيط) وفيه أروي بعض ما عشته من أحداث لم تزل خلفياتها السياسية منشورة حتى الآن .

- نرجو أن نجدها قريباً في الأسواق ؟ ..

- هذا حتمي .

- والآن إلى المحاماة ؟ ..

ويتفجر أحمد سعيد ضاحكاً وهو يقول : عندك قضية ؟

وأشاركه ضحكة المرير وأقول : عندي أكثر من قضية .

(ويعاود انتزاع ضحكاته) وهو يقول : لا تحمل هم الأتعاب ..

فللعرب تخفيض .

- كيف استطعت ، بعد أكثر من سبعة عشر عاماً مـن ممارسـة الأعلام أن تمارس مهنة تركتها هذا العمر الطويل؟ ..
- الفضل لجميع مـن ألتقـي بهـم مـن زمـلاء محـامين وقضـاة ، ونيابة .
- استقبالهم لك طيب ولا شك ؟
- ويعاوده الضحك الساخر ويقول : ثـم لا تنسـى أن الفضـل الأكبر يعود لجـرأة الزبـائن في توكيلـي للدفـاع عنهـم وعـن مصالحهم .
- ألم تأتك قضية من البلاد العربية ؟ ..
- جاءت قضية ملاحه من عدن ، وحالت ظروف ما قبـل ١٥ مايو دون سفري إليها .
- أي البلاد العربية تريد زيارتها في أول خروج لك مـن مصـر بعد عام ١٩٦٧.
- ليبيا ، وسوريا والسودان .
- ماذا ترجو أن ترى في هذه البلاد ؟ .
- الناس .. الشعب .. الجماهير.. الملاك الحقيقيون والوحيـدون لهذه البلاد وحاضرها ومصيرها .. أريد أن استنشق أنفاسهـم الصادقة ، حرة نقيـة خالصـة ، أم تـراك نسـيت أنـي عشـت عشرين عامـاً مـع النـاس والجماهـير الوحدويـة وهـي تقـدم التضحيات والشهداء من أجل المبادئ القومية ، أنا حياتي في الناس ، وأنفاس الوحدة غذائي في العمل القومي .

- هذا يجعلنا نقفز إلى سؤال سياسي صرف ، كيف .. تنظر إلى اتحاد الجمهوريات العربية ؟ ..

- هل سمعت يوماً عن مريض بالشلل جاءه الأطباء بعلاج جديد ، وقالوا له أن فيه الشفا ، وأنه سيسير مرة أخرى، وينطلق ويسابق الزمن ويعيش الحياة كاملة ؟ أيمكن أن يرفض مثل هذا المريض المشلول ما يقدمه له الأطباء من أمل؟ .. والحق أقول لك ، لا أعتقد بوجود عاقل في وطن العرب يرفض مثل هذا الأمل ، نعم هذا الاتحاد مجرد أمل ، أمل في أن هذه الأمة تؤمن بوحدة مصيرها ،وأن الفكر الوحدوي والسيرة القومية هي الأساس المسيطر في أي تحرك ثوري على الصعيد العربي ، فالأمة العربية أصيبت نتيجة أحداث ١٩٦٧ بالشلل ، وقد كان مؤتمر الخرطوم (كونسلتو) جمع أطباء اجتهدوا علاجاً لهذا الشلل ، وتوالت أنواع مختلفة من (الكونسلتو) والأطباء، وأساليب العلاج .. دول مواجهة .. وقومية المعركة .. وميثاق بني غازي وأخيراً كان لا بد من مواجهة المريض بالعلاج الوحيد الذي يمكن أن يخرجه من حالة الشلل ، آلا وهو الاتحاد ،ونوع معين من الاتحاد وبين دول بذاتها يقوم هذا الاتحاد ، وبتعبير أكثر دقة ، كان لابد من مواجهة صريحة مع النفس ، صحيح أن هناك حد أدنى من التجانس العربي يمكن أن تقيم عليه نوعاً من أنواع قومية المعركة، مثل ذلك الذي تقرر في مؤتمر الخرطوم في أعقاب حزيران ١٩٦٧ ، إلا أن هناك اليوم من الدول العربية من يستطيع أن يخطو في سبيل العمل الوحدوي خطوات أوسع ، وأن يهب لمعركة التحرير

طاقات اضخم ، ومن هنا كانت حتمية التجاء ليبيا ومصر وسوريا إلى إقامة دولة اتحاد ، وتجاوز المرحلة الإقليمية وتبني خطوة أكثر وحدوية من نظام جامعة الدول العربية ..

- أشم من حديثك تحفظاً ، فالاتحاد عندك أمل .. مجرد أمل ، ثم هو مجرد نظام أكثر وحدوية من نظام جامعة الدول العربية ؟

- لعلها أول مرة يصف عربي لي حديثاً بالتحفظ .. سامحك الله على هذه الشتيمة ، الثوري لا يتحفظ وأنا عشت شبابي ثائراً ، وأرجو أن أحيا بقية عمري أكثر ثورية من أيام الشباب ، فأيامنا القادمة تحتاج إلى ثوريين أكثر صدقاً ووعياً ، ووحدوية من ثورية جيلنا برمته .

- أرجو أن تعذرني فأنت وصفت الاتحاد بأنه مجرد أمل تقدمه مصر وسوريا وليبيا للأمة العربية المشلولة ؟ ..

- وماذا تريد في سواد النكسة الجاثمة أكثر من أمل ؟ .. إنه الآن اتفاق ، ثم دستور ، إذن هو في عالم المرض والعلاج والأطباء ، ليس أكثر من روشته ، كذلك هذا الاتحاد بميثاقه واتفاقه ودستوره ، هو حتى الآن ليس أكثر من روشته ، والله لو نفذها أهل المريض بدقة مخلصة ، وأمانة صادقة لأمكن لنا أن نترقب شفاء المريض واسترداد مقدرته على الحركة .

- طيب ووصفك إياه بأنه خطوة أكثر وحدوية من ميثاق جامعة الدول العربية ؟ ..

- أولاً دعني أعتذر لميثاق جامعة الدول العربية .. انه بريء من كثير من التهم التي وجهناها إليه ، فهذا الميثاق لو نفذه العرب منذ توقيعه لما كان هناك وجود لإسرائيل في فلسطين المحتلة ، قد يبدو لك هذا القول غريباً ، ولكن الحقيقة التاريخية كما عاصرتها وعشتها من الداخل طوال العشرين عاماً الماضية كانت تؤكد أننا ابرع ما نكون في صنع المواثيق والاتفاقات ، وأعجز ما نكون عن تنفيذها وفرضها على الواقع العربي المريض .

- طيب ، هل أنت متفائل من قيام الاتحاد ؟ ..

- جداً ، ولسبب صغير لا ينتبه إليه كثيرون .

- وهو ؟ ..

- لي ابن اسمه خالد في الأول الإعدادي هذا العام ، لقد أسعدني وطمأنني أني وجدت على غلاف الكثير من كتبه المدرسية الحكومية عبارة تقول : (وفق المقرر في مدارس مصر وسوريا وليبيا والسودان) ..

- لاشك أنها بادرة طيبة .. ولكن يجب ألا ننسى أنه أيام الوحدة السابقة بين مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة كانت كل الكتب تحمل مثل هذه العبارات ، وعلينا إذا أردنا أن تبقى مثل هذه الكلمات أن نحمي اتحادنا بقوة الرجال المخلصين ، خوفاً من أن ننزع مثل هذه الكلمات عن الكتب المدرسية والدوائر الحكومية كما نزعها الانفصاليون .. ؟ ..

- إنها يا أخي الركيزة الأساسية للوحدة .. إن دول الاتحاد وميثاق بني غازي يمثل هذه العبارة ، سنصنع خلال عشرين عاماً جيلا موحداً بالفكر والثقافة يدير شؤون دولة الوحدة .. هناك جماعة إقليمية وتيار إقليمي هزيل يحاول إيقاف المد الوحدوي في مصر لكنهم إلى زوال .

- لحظة من فضلك عند عبارتك الأخيرة ؟ ..

- أية عبارة ؟ التيار الإقليمي في مصر ؟ .

- لا .. هذا لا يهمني في قليل أو كثير ، فالتيارات الإقليمية كثيرة في الوطن العربي ، لكنها من هزالها لا تؤثر على التيار الرئيسي الوحدوي ؟ ..

- أية عبارة تقصد أذن ؟ ..

- عبارة ، هناك جماعة إقليمية وتيار إقليمي هزيل ؟ - .

- هذه هي الحقيقة ، ألم تكن تعرفها ؟ .. وغريبة وأنت عشت في مصر سنوات طويلة

- صحيح أني عشت في مصر سنوات طويلة ، ولكني لم أعش مصر كما عشتها أنت .

- يا سيدي ، دعني أروي لك بعض ما دار بيني وبين بعضهم من أحاديث ، وكانوا في القمم في موقع السلطة.

- تفضل ..

- ولكن دعنا من الأسماء ..

- لم ؟؟ ..

- لأنهم الآن في مواقع الضعف .

- ولكن هذا تاريخ ..

- استغفر الله التاريخ أكبر من جيلنا برمته .

- على كل حال ، عرفت السادات .. ماذا كان رأيه في الوحدة العربية ؟ ..

- قلت لك لا أسماء .. أرجوك ، رغم أنه انفرد بعدة قرارات ، إلا أني أعفي من مجرد الحديث ضده بإسمه ، ولكن أحدهم قال لي يوماً وبالحرف الواحد (إياك تكون صدقت حكاية القومية العربية ، دي تبقى مصيبة.

- مصيبة أن تكون قومياً ؟ ..

- هذا ما حدث ، وقد شكوت للرئيس الراحل عبد الناصر همساً أثناء ذهاب وفد مجلس الأمة إلى سراي قصر القبة بمناسبة تجديد انتخاب الرئيس ناصر رئيساً للجمهورية ، وقد بدت علي وجه الرئيس مرارة وقال وهو يشد يدي ويضع ذراعه على كتفي (المصيبة الأكثر أنك مش مؤمن وما تكونش عربي) .

- يعني لو نجحوا في تسلطهم ، لتعرضت مصر والعروبة لانتكاسة إقليمية ؟

- هذا حتمي ، ولو أنهم كانوا سيتصرفون على مراحل خوفاً من الرأي العام العربي في مصر من جهة ، والعالم العربي بأجمعه من جهة ثانية .

- كانت إذن ضربة الرئيس ناصر لكل أعداء الوحدة ؟ ..

- في رأيي أنها ضربة تاريخية وقومية .

- سؤال أخير ، أرجو ألا يكون محرجاً ؟.

- ليس هناك سؤال محرج بالنسبة لمواطن لا يحمل أية مسؤولية غير مسؤولية المواطنة .

- إذن ، إليك السؤال ، كلنا يعلم أن سلامة مصر ، شعباً وحكماً ، هي الركيزة الكبرى في السلامة العربية ، فكيف نضمن دائماً سلامة مصر كطاقة عربية ومبدعة وخلاقة ؟

- ولماذا مصر ، لماذا هذا التفكير الإقليمي ؟ أنا أرفض السؤال بهذه الصيغة ..

- الحق أقول لك ، أني لويت عنق السؤال حتى لايجيء مباشراً؟

- ازاي ؟ ..

- السؤال في أعماقي كالتالي ، إذا كان الرئيس جمال عبد الناصر بيقظته وإيمانه بعروبته قد استطاع إنقاذ مصر من تسلط الإقليميين ، فكيف يمكن أن نضمن ألا يقفز إلى السلطة في الغد القريب أو البعيد أمثال هؤلاء الإقليميين ؟

— حتى تكون الإجابة من واقع السؤال وعصريته المحددة ، دعني أقدمها من واقع الحياة السياسية ، الرفض المستمر هو الثورة والمولد الذي يصنع الثائر . فان كنت ، كما تقول ، ترى في سلامة مصر ركيزة أساسية لسلامة العروبة، فادع معي أن يبحث كل حاكم عربي ثوري عن كل من يقول لا ، ليسمعها منهم ويتأملها صباح مساء ، حتى لا ينسى وسط ملايين (نعم) أن الذي صنعه ، ثائراً وإنساناً كبيراً ونصره ثائراً ، هو رفضه الدائم للباطل .

وتتوالى الساعات في حديث وجدل وحساب أرجو لو نعود نسمعه من أحمد سعيد بصوته وصدقه ودفئه على أمواج الأثير الحر ، يفجر كما فجر من قبل روح الثورة والفداء ، والإصرار العنيد على الأمل . أمل العودة البعيد السحيق ..

فأحمد سعيد جزء من تاريخ أمتنا ونضالها ، حمل صوته نداءات الحرية إلى كل أذن عربية ومازال لديه الكثير مما يمكن أن تسمعه اليوم وغداً أمة العرب ...



صورة للعمل الفدائي

الشاعر الفلسطيني

محمود درويش



من لا يناضل لا يستطيع أن يحمل اسمه ولا جلده

ويجد نفسه بدون قضية وبدون هوية

الشــاعر محمود درويش

في المجتمع الذي يخوض معركة التحرير والاستقلال يتحـول الشعر مـن أداة هواية ذاتيـة إلى وظيفـة اجتماعيـة ووطنيـة وقوميـة ، يتحول من البحث عن السطح إلى البحـث عـن العمـق ، إذ يتحـول هذا الشعر من شعر صوري ضيـق المجـال ، سـطحي العمـق إلى شـعر علمـي واسـع المجـال عميـق البعـد ، ينبـع مـن الجماهـير ويصـب في الجماهير .

الشعر الملـتزم إذن ، هـو وظيفـة اجتماعيـة ووطنيـة وقوميـة يقوم بها مناضل يحمل أوراقه وأقلامه ويرحل طويلاً في شرايين الحياة حيث يتفاعل مع الحدث ومع الأفكار ، ومع الآمال ، ويحول تفاعله العاقل بأسلوب فني جمالي إلى الجماهير .

هذه هي وظيفة الشاعر الملتزم بقضايا أمته وعروبتـه ووحـدة الأرض والإنسان والوطن البحث باستمرار عـن صـور جمالية تحـرك وجدان الناس وتدفعهم نحو إنسانية أعلى ، نحو إنتاجيـة أكـثر ، نحـو نضال أوسع . هذا الشـعر الـذي يـأخذ شـكل البندقيـة حـين يصـبر ويدافع عن مصالح الوطن العربي الكبير .

خطـرت ببـالي هـذه الأفكـار وأنـا أتصفـح قصـائد وأشـعار محمود درويش حيث عشت معه لأيام لحظات ثورية تعمقت فيها مع الحروف الثـائرة والأمـاني الصادقـة والأحاسـيس المعـبرة عـن وحـدة الجرح والهدف والأمل الواعد .

عشت معه في أعماق الجرح الفلسطيني الذي ينزف دماً حاراً وثورية صادقة من أجل الاستقلال الذي ننشده والحرية التي نتطلع إليها من المحيط إلى الخليج .

ومن شقته المفروشة في ((جاردن سيتي)) وكان ذلك بعد رحيله من الأرض المحتلة مباشرة وحضوره إلى مصر عبد الناصر القائد والبطل العربي الوحدوي ليواصل كفاحه ونضاله كان معه هذا الحوار :

مع الشاعر الفلسطيني الذي هاجمناه ، ومدحناه ، أنبناه .. وواسيناه .. رفعناه .. وأنزلناه ..

• محمود درويش الشاعر المناضل كيف بدأ حياته مع الشعر؟

كيف كان يعيش في الأرض المحتلة ؟ ولماذا جاء إلى القاهرة؟

لنقترب منه . ونتعايش معه ، نفتش عما في أعماقه من أسرار ..

بطاقة هويه !..

قلت :

• من هو محمود درويش ؟

فكر لحظات ، ثم قال :

• أظن أن من أصعب الأسئلة التي وجهت لي هذا السؤال لأني مدعو لأن أقدم نفسي بلساني . صعوبة السؤال تنجم عن الفارق بين محمود درويش ، كما يقدمه الناس ، أو كما تكونت صورته في أذهان الناس ، وبين محمود درويش كما يعرف نفسه ، وانني

لا أدعي أن الفارق بين الصورتين هو فارق مبدئي وخطير ، ولكن من طبيعة الإنسان أن يفهم بطريقة تختلف عن فهم الآخرين لها .

طبعاً اسمي لا قيمة له بين الأسماء ، إنه يشبه عشرات الآلاف من الأسماء المشابهة ، ولكن ارتباط هذا الاسم في قضية وبأرض عبر عنها ، بشكل متميز إلى حد ما أعطى السائل شرعية طرح مثل هذا السؤال الصعب .

أنا لا أُحسن الكلام عن نفسي في أحاديث ، حتى عندما كان يُطلب أحياناً مني أن أقدم نفسي على ورقة واحدة ، كنت أكتب ما يلي :

اسمي فلان .. محمود درويش ، من مواليد عام ١٩٤١ ، التعليم ثانوي الجنسية غير معروفة ، المهنة صحافي ، العنوان غير مستقر ، الوطن حقيبة سفر .

هكذا كنت أقدم نفسي على المستوى الرسمي عندما كنت أقيم في الأرض المحتلة ، وأرجو أن تساعدني على رسم الملامح العامة لكي نخرج سوية أنا وأنت بصورة أقرب ما تكوْن إلى حقيقة محمود درويش .

• اشتم من حديثك عن محمود درويش أنك لم تعطه صورة الإنسان المناضل ، فأين يقف محمود درويش المناضل طوال مدة إقامته في أرضنا المحتلة بين الناس.

• أتمنى أن تصدقني بأنني شخصياً لم أعتبر نفسي في يوم من الأيام مناضلاً بالمعنى المتعارف عليه للكلمة ، لأن النضال كما نتصوره

ونحن بعيدون عن مسالة ذات مطالب شاقة ، وأن ما تسمونه نضالاً عن ممارساتي الفكرية والسلوكية في الأرض المحتلة اعتبره عملاً طبيعياً وعادياً الإنسان يرفض أن يعترف بالأمر الواقع، المنافي لانسانيته ، ولحقه في الوجود ويرفض الاعتراف بالموت بعد تعرضه للقتل ثلاث مرات في أعوام (٤٨-٥٦-٦٧).

إن النضال كله يدور في الحلقة السهلة إلى حد ما ، بمعنى أن النضال في الأرض المحتلة هو نوع من أنواع تعلق الإنسان بالحياة ، فمن لا يناضل لا يستطيع أن يحمل اسمه ولا جلده ويجد نفسه بدون قضية وبدون هوية ، هكذا يتحول النضال في الأرض المحتلة إلى شكل جديد من أشكال البطاقة الشخصية .

أنت تناضل دون أن تعي أنك تناضل ، لأن سعيك نحو تعلم الأبجدية هو نوع من أنواع النضال في الأرض المحتلة .

وسعيك إلى الحصول على الخبز هو نوع من أنواع النضال في الأرض المحتلة ، وقولك أنك عربي هو نوع من أنواع النضال ، ووجودك على أرضك واستمرار هذا الوجود الجسماني والمعنوي هو أيضاً نضال .

إن كل حركة يقوم بها المواطن هناك في سبيل البرهنة على وجوده وفي سبيل الوصول إلى أدنى حق من حقوق الحياة يتطلب النضال ، ومن هنا فإن ما نعتبره نضالاً ونحن ننظر للمسألة من بعيد هو في حقيقة الأمر سعي يومي وشبه عادي لتأكيد الذات العربية في الأرض المحتلة .

فإذا كنت تسألني عن أشكال النضال ، فإنها أخذت خطين متوازيين تحقق بينهما الزواج بين الفكر والسلوك ، كنت أناضل بقلمي وسلوكي .

قلت :

• هذا ما عرفناه عنك خلال ملاحقتنا للأحداث وشخصك ، ودراستنا لشعرك ، وإطلاعنا على سلوكك اليومي مع قوات الاحتلال الإسرائيلي . ولكن: هل لمحمود درويش الإنسان أن يذكر لنا بعض المواقف التي تعرض لها أثناء الملاحقة الفكرية والإنسانية له ؟

وأجـــاب :

• من الصعب أيضاً الوقوف عند مواقف محددة ذات أطر بارزة في مسيرة حياتي هناك ، ولكنني كنت دائم الهجوم على السلوك الإسرائيلي تجاه العرب في إسرائيل ، وعلى السياسة الإسرائيلية والصهيونية ، فكراً وتطبيقاً تجاه الأمة العربية .. وقد كان يتمثل عملي هذا بالكتابة أولاً ، والاشتراك في النشاط الحزبي ثانياً ..

• لماذا لا نعود إلى بداية الحديث ونستفسر ... ماذا كنت تعني عندما ذكرت أن جنسيتك غير معروفة ، وعنوانك غير مستقر ، ووطنك حقيبة سفر ؟

• هذا التحديد الذي قلته هو مجازي في غالب الأحيان ، وحقيقتي في أحيان أخرى إذا كنا نتعامل مع الأوراق الرسمية ليس مجازا أن سيتي غير معروفة .. أنا من جهتي متأكد ومقتنع وأناضل من ـل أن تكون جنسيتي فلسطينية ..

هذا الموضوع لا يقبل المناقشة عندي ، وهذه نقطة انطلاقي في كل ما اكتبه . ولكن حين أريد الحصول على وثيقة سفر من السلطة الإسرائيلية فإنها تكتب أمام جنسيتي تعريفاً غريباً : وهي أنها غير معروفة .

• كيف ؟

• من أشد البراهين على العنصرية الإسرائيلية ، هذا القانون يمنح الجنسية الإسرائيلية أوتوماتيكياً لكل يهودي في العالم بمجرد وصوله إلى المياه أو الأجواء الإقليمية في الوطن المحتل ، وفي الوقت ذاته فإن المواطن العربي لكي يحصل على الجنسية الإسرائيلية عليه أن يبرهن .

أولاً : أنه مقيم في الوطن المحتل ، وعليه أن يبرهن ثانياً أنه مواطن في إسرائيل ، وأنا من الناس الذين وجدوا صعوبة بالغة في البرهنة على أنه مقيم في إسرائيل ، ولم أنجح في البرهنة على أني مواطن إسرائيلي ...

سبب ذلك أنه بعد الاحتلال الإسرائيلي مباشرة عام ١٩٤٨ ، وحين أجروا أول عملية إحصاء للسكان لم أكن موجوداً في الأرض المحتلة ، كنت يومها في لبنان ، وعندما عدت بعد سنة متسللاً ، وكان عمري يومها (٨) سنوات، لم أعرف أن الغياب سنة واحدة عن بلادي ينفي حقي فيها .. وهذا هو سبب قولي رسمياً ، أن جنسيتي كانت غير معروفة ، وأقصد أن القانون الإسرائيلي كان يعتبر جنسيتي غير معروفه ! .

• وعنوانك غير مستقر ..

• معناه أنني عندما عدت بعد سنة التشرد إلى بلادي لم أجد عنواني .. لقد ألغي من الخارطة ، ووجدت مكانه مستوطنين إسرائيليين ومهاجرين يهود من إنكلترا واليمن !.

•أين كان ذلك بالتحديد ؟؟

• في الجليل في قرية من ضواحي مدينة عكا اسمها ((البروة)) .

• قريتك الأصلية ؟

• نعم .. ومنذ ذلك الوقت وأنا دائم التنقل من قرية إلى قرية ، إلى أن أقمت في مدينة حيفا منذ ما يزيد عن عشر سنوات وفي حيفا أيضاً لم أملك عنواناً مستقراً لأن الحصول على بيت ليس أمراً سهلاً بسبب النفور الإسرائيلي من العرب ولشدة عنصريتهم ! ..

• ردك هذا يضعنا أمام سؤال خطير ، عن التمييز العنصري الموجود في إسرائيل ، وخاصة بين العربي والصهيوني أولاً ، وبين اليهودي الشرقي والغربي ثانياً .. فهل تعطينا فكرة عن هذا التمييز ؟ .

• علينا أن نفرق بين الاضطهاد القومي الذي يتعرض له المواطنون العرب في إسرائيل وبين التمييز العنصري الذي يتعرض له العرب في إسرائيل أيضاً ! .

أنا لا أنفي وجود أحد الأسلوبين ، فالعربي في إسرائيل يعاني من كليهما ، أقصد من التمييز العنصري والاضطهاد القومي ، وأحياناً يتداخل الخطان ويتمثل الاضطهاد القومي للعرب في إسرائيل في المجالات التالية :

أولاً : الموقف من الأرض ... من المعروف أن السلطة الإسرائيلية قد جردت المواطنين العرب من أراضيهم وكادت تقضي على الزراعة العربية التي كانت المصدر الرئيسي لرزق هذا الشعب .

ثانياً : الحرية .. سواء كانت الحرية الشخصية ، أم السياسة فليس مسموحاً للعرب على الإطلاق القيام بأي نشاط سياسي عربي خاص بهم ، يتاح لهم فرصة الدخول في تنظيمات الأحزاب الإسرائيلية . ولكن لا يسمح لهم بأي تنظيم حتى ولو كان ثقافياً .. على مستوى الحرية الشخصية ليس من حق المواطن العربي حتى التجول في بلاده ، انه يحتاج إلى إذن خاص للتحرك من السلطات العسكرية .

ثالثاً : التعليم .. إن التعليم العربي هناك يفتقد إلى تأكيد الملامح القومية والإنسانية الأولية لهذا الشعب .

رابعاً : العمل .. ليس من حق العرب أن يعملوا في أي عمل ، ولذلك نجد أن العمال العرب مثلاً يعملون أساساً في الأعمال السوداء ، وهي أعمال البناء، وتعبيد الشوارع ، والمثقفون أيضاً لا يستطيعون العمل أساساً إلا في ميدان واحد وهو ميدان التدريس ..

أما التمييز العنصري ، فإنه يتمثل أكثر ما يتمثل بقانون الجنسية الذي أشرت إليه ، وأخطر من ذلك الحقد والكراهية التلقائية المنتشرة بين أغلبية اليهود ضد العرب ، والتي تبلغ أحياناً حد الاعتداء الجسماني المباشر عليهم ، وتبرز هذه المظاهر أكثر ما تبرز أمام التوتر على الحدود ،

وأظن أن العرب مدعوون الآن للبرهنة على العنصرية الإسرائيلية ليس فقط في ميدان معاملة السلطة الإسرائيلية للعرب ، لأنه من الممكن البرهنة على هذه العنصرية عن طريق دراسة المعاملة المتبادلة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين .. ولقد كان الرأي العام العربي شاهداً على ظاهرة تفجير الصراع بين الشرقيين والغربيين ، وعلى انبثاق ظاهرة الفهود السود التي تشكل برهانا ساطعاً على ما يعانيه اليهود الشرقيون من سوء معاملة وتمييز ..

• هل يسمح لي الأخ والصديق محمود درويش أن أسأل عن الاتهامات التي وجهت إليه من بعض الناس الذين رفعوا أصواتهم ضدك وأعيد نفس الاتهامات على مسامعك لترد عليها .

• تفضل فالرد على الاتهامات رياضة فكرية ! .

• **الاتهام الأول** : قيل أنك مشيت تحت ظل العلم الإسرائيلي في ((صوفيا)) مع الوفد الإسرائيلي متناسياً أنك إنسان فلسطيني ابن الأرض وصاحب الحق وشاعر القضية .. فما ردك على هذا الاتهام؟؟ .

• إذا أردنا أن نكون منطقيين فيجب أن نطرح القضية ، أي قضية بشكل منطقي حتى ولو كان المنطق يقف ضدنا .. أنا أعترف بتهمة أنني كنت أعيش تحت ظل العلم الإسرائيلي في وطني .. فهل يصلح اعتبار وجودي أو بقائي في وطني تهمة . إن من يتهمني بأنني مثلت قضيتي وقضية بقائي ، وقضية شعبي في مؤتمر يتطلب إبراز البلاد التي جاء منها كل واحد ، من يعتبر قبولي الاشتراك مع وفد رفع العلم الإسرائيلي تهمة ، فإنه مدعو لأن يكون منطقياً حتى النهاية ، عليه

أيضاً أن يعتبر وجودي في إسرائيل تهمة ، أنا لست مذنباً لأني أحمل بطاقة ((هوية إسرائيلية)) ، إذ لا يمكن أن أعيش في إسرائيل ، وأنا أمزق العلم الإسرائيلي ..

فالمسألة إذن لها جانبان .. إذا كنت أريد أن أتخلص من العلم الإسرائيلي وهو لعنة أمامي ، فأمامي سبيل واحد هو أن أغادر المكان الذي يرفرف عليه هذا العلم ، وهذا العلم يرفرف على كل فلسطين ، في الأرض المحتلة ، فهل نطالب المواطنين الذين يعيشون تحت ظل الاحتلال بأن ينسحبوا من وطنهم هرباً من ظل هذا العلم ؟! ثم دعني أسير في المنطق حتى النهاية ، إن هؤلاء الذين اتهموني التهمة إياها يوجهون إليّ الآن تهمة معكوسة ... تهمة التخلي عن وطني متناسين أنني تخلصت من ظل العلم الإسرائيلي إن الكرامة الوطنية ووعي الحق العمل لا ينسجمان دائماً انسجاماً مرتباً ، وأريد أن أذكر هؤلاء النقاد بأن فلسطين ليست وحدها محتلة ، فماذا فعل هؤلاء النقاد لإزالة العلم الإسرائيلي عن سائر المناطق العربية المحتلة ؟؟

وأريد أن أدخل في تفاصيل أكثر فيما يتعلق بمؤتمر ((صوفيا)) أذكر أن التهمة تضمنت القول أنني رفعت العلم الإسرائيلي هذا القول خطأ ومرفوض .. وتتضمن التهمة قولاً آخر هو أنني سرت تحت ظل العلم الإسرائيلي .. وهذا أيضاً ليس بصحيح .. كان الوفد الإسرائيلي وهو كله من اليساريين ، مؤلفاً أكثر من (٦٠) شخصاً ، وأود القول أنني لم اكن عضواً في الوفد وإنما كنت مشتركاً في المؤتمر بناءً على دعوة جاءتني من رئاسة المؤتمر فهل أرد على هذه الرئاسة الدولية معتذراً بحجة أنني أرفض الاشتراك مع وفد يحمل العلم الإسرائيلي !! إنني أسأل فقط .. لا أحد يشعر بمدى المرارة التي أشعر

بها عندما أرى علم إسرائيل فوق أرض بلادي ، ولكن ماذا أفعل .. ثم دعني أسأل : هل انسحبت الدول العربية من الأمم المتحدة بسبب وجود العلم الإسرائيلي هناك !! .

•اتهام جديد . كتب النقاد وردد البعض أنك هربت من الاضطهاد الإسرائيلي وتركت زملاء الحرف والقافية وحدهم على طريق النضال فهل هذا صحيح؟

أولاً : أريد أن أقول بأن الخروج من أي سجن ليس تهمة إلا إذا كان هذا الخروج مرادفا للتخلي عن القضية التي تم بسببها دخول السجن .

ثانياً : أريد أن أنفي بعض المبالغات بشأن حجمي وفاعليتي وتأثيري ومكانتي بين العرب في إسرائيل ..

• عفواً أستاذ محمود ، أنا ضدك في هذه الإجابة ، حيث أن القصائد التي كتبتها أنت ورددناها وأذعناها من محطات الإذاعة ونشرناها نحن في الصحف العربية كان لها تأثيرها القوي والفعال في نفس كل مواطن عربي وفي نفس كل مناضل ذهب إلى الأراضي المحتلة لتحريرها وطرد العدو الغاصب ، فكيف تسمح لنفسك بأن تقول بأن حجمك وفاعليتك لم يكن لهما أهيمة تذكر ؟ .

• أنا لا أنفي هذه الأهمية ، ولكنني أنفي تقدير حجم هذه الأهمية ... إذا كنت اعتبر نفسي جزءاً من حركة شعرية في الأرض المحتلة فإن خروجي لن يؤثر على مسارها وتطورها ، إلا إذا كنت محورها الرئيسي وأنا لم أكن كذلك .. وإذا انتهت هذه الحركة بخروجي فإنها تعطي برهاناً على بطلانها وعدم جدارتها بالحياة !.

ثالثاً : لم يكن خروجي بحثاً عن تخلص من الاضطهاد بقدر ما كان تشكيكاً أو اقتراباً من اليأس من دورنا ، ونحن نعيش في إسرائيل على تطور قضية النزاع العربي الإسرائيلي ، وأريد أن أذكرك بأن عدد العرب في إسرائيل لا يزيد عن ربع مليون نسمة ، وقضية فلسطين لا يمثلها بالأساس العرب في إسرائيل ، بل الفلسطينيون الذين يعيشون في الخارج ، وعندما أتكلم عن العرب في إسرائيل أقصد دائماً الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ ..

إذن ما هي قضية العرب في إسرائيل كما أفهمها ؟؟ انهم أقلية قومية تطالب بحقوقها القومية بسبب الظروف الخاصة التي تعيش بها .. إن نشاطها السياسي كله يدور في إطار قانون الشرعية الإسرائيلية ..

عندما نشيد بهؤلاء المواطنين فإننا لا نطالبهم بما يتحملون لأن مجرد بقائهم في وطنهم قضية إيجابية بحد ذاتها تستحق التقدير والتأييد المطلق ولكن قضيتهم السياسية لا يمكن أن تحل ولا حتى أن تطرح بالشكل الذي يرضينا بنتيجة تطورات إسرائيلية داخلية .

إن وجودهم معنوي وهام ، ولكنه في الوقت الحاضر لا يشكل القوة الحاسمة .

من هنا فإنني عندما أقول انني لم أغير موقفي وإنما غيرت موقعي فأنا لا أتكلم مجازاً وإنما بنتيجة فهمي لإمكانيات نشاط العرب في إسرائيل .. ثم لماذا نحصر الحقيقة دائماً في الحدود الجغرافية!؟ ولماذا نطلب بأن نكون أسرى ظرف وجدنا فيه !؟ أنا أرفض القول أن أهمية شعري ، إذا كان له أهمية ، أنه كتب في

إسرائيل.. إنني أسير القضية الفلسطينية ولكنني لا أريد أن أكون أسير الاحتلال الإسرائيلي والسجن الإسرائيلي وأسير المطالب الديمقراطية التي يمكن أن نرفعها ونحن نعيش هناك .

● الاتهام الثالث والأخير ..

– تفضل

● الاتهام ذو شقين .. قال البعض أن قيمة شعرك وأهميته ناتج عن ظهوره من خلف القضبان ومعايشته للأحداث اليومية لشعب فلسطين في الوطن المحتل ، ولو كنت خارج الوطن لما حزت على مواقف التأييد والإعجاب التي تحتلها الآن في ضمائر المفكرين وعامة الشعب ، والشق الثاني من الاتهام هو : لماذا لا تنضم إلى صفوف المقاومة الفلسطينية وتكون صوتها وشاعرها وابنها بدل أن تلجأ للقاهرة .

– استكمالاً للشق الأول لا أريد أن تفهم كلامي أنني أتنكر للظروف التي ساعدت على تكويني ، ولكن أريد أن أعلن تخوفي من نسب قيمتي إلى المكان لأنها قيمة مؤقتة .. في رأيي ، لا يكفي أن تكون في إسرائيل لكي تكون شاعراً .. وأنا أتنبأ بانحسار شديد لموجة الحماس على ما يسمى بشعر المقاومة في الأرض المحتلة بسبب بعض التغيرات السياسية والانحسار المؤقت لموجة التعاطف مع المقاومة الفلسطينية صحيح أن لكل شاعر قضية ، ولكن يجب أن تكون شاعراً لكي تقول أنك شاعر قضية .. يجب أن نضع بعض الفواصل بين حسن النية وبين الموهبة ، وانا أصارحك : لقد ضقت ذرعاً بلجمي بالمكان الذي كنت اكتب منه وإبقائي كالثور حول الطاحون ولو تجرد شعري الآن من أية أهمية فنية فإنني لن أكون

حزيناً لأنني أنهي كذبة كوني شاعراً ، فلا أريد أن أبني مستقبلي الفني على كذبة إنني أختار أن أدخل مغامرة البرهنة على شاعريتي ..

أما ردي على الشق الثاني فهو : العلاقة مع المقاومة يجب أن تكون بالضرورة علاقة تنظيمية .. كنتم تقولون أنني شاعر مقاومة وأنا أعيش تحت الاحتلال الإسرائيلي ، ولم تكن لي أي علاقة تنظيمية مع المقاومة ، لماذا يتغير الآن شكل التعبير !! لماذا أطالب الآن بالعلاقة التنظيمية لكي يعترف الناس بعلاقتي المعنوية أو السياسية!! لا أظن أن أية بطاقة في العالم تعني شيئاً جوهرياً في الفن .. قد تكون شاعراً شيوعياً دون أن تحمل بطاقة الحزب الشيوعي .. لا أريد بهذه المقدمة أن أنفي احتمال انضمام أكثر قرباً من المقاومة .. وأنت تعرف أن المقاومة على المستوى التنظيمي تتألف من عدة تنظيمات ، ليس هناك شيء تنظيمي وموحد اسمه المقاومة .. كلنا متفقون على المقاومة كفكرة ومبدأ وعمل ، ولكن لسنا متفقين بعد على التفاصيل التنظيمية لهذه المقاومة ، وأرى نفسي في حل من الدخول الآن إلى أي تنظيم فلسطيني ، لارفضاً بل حرصاً على مزيد من الإقناع والفهم ، ولا أزال في طور المراقبة والدرس .

● لنترك محمود درويش الشاعر ونقترب من محمود درويش الإنسان .

– تفضل .

● أين تسكن الآن .

– كما ترى في شقة مفروشة في جاردن سيتي ..

● كيف وجدت القاهرة ؟

– فوجئت بأن القاهرة أجمل مما كنت أتصور ، .. والقاهرة تفتح قلبها بحنان لكل زائر .. بقدر ما هي عريقة وأليفة.. ثمة مدن ولكنك سرعان ما تملها ، وثمة مدن تستعصي على المداعبة في البداية ولكنها إذا فتحت قلبها أسرتك ، أما القاهرة فإنها سريعة الحب ولكن حبها مقيم ودائم ، وعندما أسافر أحياناً أشعر بحنين سريع إلى القاهرة أكثر من حنيني إلى بعض المدن الفلسطينية التي عشت فيها .

● لماذا حددت بعض المدن الفلسطينية ولم تحدد غيرها ، مع أنك أقمت في غيرها ؟

– من الطبيعي أن أحدد المدن الفلسطينية لأنها وطني الأول، وتعلق الإنسان بوطنه الأول لا يقارن مع أي شيء .. من هنا حيرتي أمام القاهرة ، أحبها كما أحب حيفا .. وجمال القاهرة مشوب بالحزن إنك تشعر أن في قلبها شيئاً مكسوراً ، وأظن أن لهذا الحزن أسباباً تاريخية بعيدة وأسباباً طارئة وقريبة من الاحتلال الإسرائيلي لبعض أجزاء عزيزة من مصر ...

● وماذا عن قصائدك !

– يصدر لي قريباً ديوان جديد بعنوان ((مزامير)) يضم حوالي ٣٧ قصيدة ومزمور كتبتها كلها في القاهرة .

● ممكن أن تهدينا مزموراً ننشره مع هذا الحديث ؟؟

– حاضر .

● وعيون النساء ألم تأخذك لحنانها ، وهل فكرت في الزواج هنا !

– لا ..

• لماذا ؟؟

- لأنني لم أحب حتى الآن ، وأنا عاطل عن الحب منذ بضع سنين .

• وقبلها ؟

- حصل ، ولم يكن حباً كبيراً ..

• مع !!

- ...

• أين

- ......

• ما أحلى ما قلته في شعر الغزل ؟

- أحبك يوماً وأرحل ..

• إلى أين ؟!

- إلى خريف بعيد ..

• هل تعتقد أنك تعيش حياة الربيع أم الخريف ؟؟

- أعيش حياة الصيف ، أي بين الخريف والربيع .. لقد فات الربيع ولم يحل الخريف بعد ..

• ما هي القصيدة الغزلية التي كتبتها ثم مزقتها بعد كتابتها ، ولم !

- كل ديواني الأول ..!

● هل كان شعرك يومها سيئاً إلى هذا الحد ..!

- لم يكن شعراً ..

● إذن ؟

- كان كلاماً فارغاً !..

● طيب لنترك محمود درويش الشاعر المحب ، ونلتقي بدرويش المنتج .. أولا كيف تمضي يومك !!

- أصحو في التاسعة ، أمر قرب النيل ، ثم أذهب إلى عملي بعد الظهر ارتاح قليلاً ، ثم أقرأ أو أكتب ، في الليل غالباً ما أمكث في البيت ، وأحياناً أزور بعض الأصدقاء وأنام باكراً ..

● أين تعمل الآن ؟!

- في جريدة الأهرام ..

● ما هو عملك ؟!

- الكتابة ..

● في ..

- أي مجال أريده ، وطبعاً مجالي هو المجال الأدبي .

● لو طلب منك الابتعاد عن الناس والجلوس وحدك في مكان بعيد أي رفيق تفضل أن يكون معك في وحدتك؟.

- مجموعة من الكتب والأسطوانات .

● أي كتب ..

– في الأدب أو السياسة أو الفلسفة ..

● ومجموعة الأسطوانات ؟

– موسيقى كلاسيكية ..

● هل أنت متشائم حالياً ؟؟

– متشائم ، ولكني لست يائساً ..

● هل خطرت حيفا على بالك وأنت في القاهرة .!

– دائماً ..

● بماذا تناجيها في وحدتك !!

– لا أناجيها ، ولكني أعيش فيها ، وهي دائماً تهاجمني في الحلم .

● هل تحلم كثيراً!!

– لا .. قليلاً !.

● ما هو الحلم الذي ترجو أن يتحقق ؟؟

– أن ننتصر والنصر ليس حلماً بل أملا ونضالاً .

– وبعد أيها القارئ العزيز ، هذا هو محمود درويش الإنسان الذي احببناه ، الشاعر الذي ألهمناه ، المناضل الذي عرفناه ثائراً على طريق النصر والعودة والتحرير، مدافعاً عن حقه وحق شعبه في الوجود والحياة الحرة .

محمود درويش لا ينام في شقة مفروشة في مدينة من مدن العالم .. بل ينام في عيون الوطن كما ينام الوطن في عيونه .



المؤلف بين الشاعر محمود درويش
والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي

لـوحـــة

لســت كالوردة التي تتكلم وحــدهــا

مطالبــة بعــودة عبيــرهـــا

من شــعور النســاء ،

ولسـت كالبلبـل الـذي كف عن الغناء

احتجاجاً على اعتقـال صوته ،

في الأشرطة والأسطوانات ،

ولست كالمرأة التي تطالب

بعودة بكارتها ..

ولكنني كالصاعقة التي تجمع أشلاءها

وحريتها

لتنفجر من جديد

محمود درويش

القاهــرة ١٩٦٩

الشاعر صلاح عبد الصبور

هل مازلنا أبطالا ورجالا



حوار مع الشاعر

صلاح عبد الصبور

صلاح عبد الصبور : مستكشف يسافر من الحرف إلى الحرف ، يغور في مسارب النفس الإنسانية ، في زنود الأشجار البشرية الحزينة تحترق ظمأ للحياة وتصنع الحياة . مستكشف يعبر جراح العالم ويعود إلينا كل مرة مثقلاً بحزن الكشف .

بدأ حياته شاعراً غنائياً بديوانه ((الناس في بلادي)) عام (١٩٥٧) ثم ((أقول لكم)) عام (١٩٦١) ثم ((أحلام الفارس القديم)) عام (١٩٦٤) .

تحول بعدها إلى الشعر المسرحي – أو المرح الشعري في ((مسافر ليل)) عام (١٩٦٥) و((مأساة الحلاج)) عام (١٩٦٩) ((وليلى والمجنون)) عام (١٩٦٩) و((الأميرة تنتظر)) عام (١٩٦٩) ثم عاد إلى الشعر الغنائي في ديوانه ((شجر الليل)) عام (١٩٧٢) .

في ديوانه ((شجر الليل)) عودة إلى تشاؤمه القديم الذي ألفناه في دواوينه الغنائية السابقة ولكنه تشاؤم من نوع آخر فقط ((كان تشاؤمه الأول متغطرساً فيه مسوح الأنبياء ...)) على حد قول د. لويس عوض)) ... أما تشاؤمه الأخير فهو من تشاؤم الودعاء أو من تشاؤم ذوي النفوس المهزومة الذين لا يعرفون كيف يخفون خجلهم .

في ((شجر الليل)) يقول :

((أترك لكم أن تحصوا عدد القتلى في موقعة حطين .. .

أترك لكم أن تحصوا طعنات الرمح في صدر السيف المسلول ، (يلعنكم هذا النائم في ظاهر حمص) أو في ظهر صلاح الدين يلعنكم النائم ، رغماً عنه ، في أفواه الكذابين)) .

شاعر يعرف موقعه وموقعنا من الأشياء ومن الأحداث وهو حزين لأنه يعرف ، فالمعرفة كانت أبداً ، مقرونة بالحزن منذ الأزل .

مع صلاح عبد الصبور التقينا ومعه كان هذا الحوار :

مازن : هل انتهى صمت شاعرنا الذي انطبعت بصماته على كل قلب يهوى الشعر .. هل حركته معارك تشرين التحريرية على درب العطاء من جديد

عبد الصبور : الواقع أن حرب أكتوبر حركت في نفسي إحساسات شتى، وقد قلت مرة أن عام ١٩٧٣ كان بالنسبة لي وللناس جميعاً عامان : عام انتهى بعد ظهر السادس من أكتوبر كانت له سمات وملامح تختلف عن العام الذي بدأ بعد ظهر السادس من أكتوبر . في أيام المعركة كانت أنباء القتال تشدني للإذاعات والصحف طيلة نهاري وليلي . وكنا نقطع بقية الوقت بالتحليلات والتمنيات وذكر الأمجاد والحديث عن الأبطال، لهذا لم أكتب في تلك الفترة إلا قصيدتين لأن الوقت لم يكن مسعفاً : كانت الحياة أسرع من نبض القلب وكانت بطولة الأبطال أفصح وأبلغ وأدل من كل كلام .

أريد الآن أن أكتب عملاً شعرياً مسرحياً طويلاً يأخذ أياماً من أمجاد الأمة العربية ، ثم ينسج منها خيوط عمل يوضح أن هذه الأمة كانت دائماً تحتوي في باطنها على معجزة تتخلف في بطء ، ثم تبدو كالمفاجأة ما بين ظلام اليأس والأجداب ، وتنشر ظللها الجديد على مساحات المستقبل الواسعة . إن القيمة الرئيسية لحرب أكتوبر ليست لأنها كانت إجابة على تساؤلات العالم عن موقعنا ، لكنها كانت إجابة عن تساؤلاتنا نحن على أنفسنا ، كنا نسأل : هل مازلنا أبطالاً ورجالاً ؟ هل مازال تحت الرماد الخابي وهج النيران ؟ وكانت أيام القتال في سوريا ومصر هي إجابتنا على أنفسنا . وحين استردت بلادنا الثقة في نفسها ، استرد شعراؤها وكتابها الثقة في جدوى شعرهم وكتاباتهم .

مازن : يروى عنك أنك لا تكتب شعر المناسبات إلا بما يحرك وجدانك القومي ، هل هناك حوادث معينة جعلتك تروي قصتها شعراً بعد معارك تشرين ؟.

عبد الصبور : أنا لا أريد أن أكتب عن أبطال بأسمائهم فالأبطال كثيرون ، أكثر من أن يحصوا ، لقد كانت البطولة بين رجالنا شائعة كأنها نور الشمس ، أريد أن أكتب عن الروح الكامنة التي لا تموت أبداً ، الروح التي جعلتنا لا نفكر في الماضي باكين كما كنا نفعل بل نفكر في المستقبل مصممين مجتهدين . لقد أصبحت الأمة العربية بعد حرب أكتوبر تتحدث عما سوف يحدث ، ولا يكتفي بأن تبكي ما حدث ، وهذا هو التغيير العظيم الذي يجب أن يكتب عنه الشعراء ويستلهمه الفنان.

مازن : زملاء الحرف يقولون عنك بأنك من أجود الشعراء العرب لكن من أكسلهم وأقلهم إنتاجاً ، ما ردك ؟

عبد الصبور : هذا الاتهام يظل معلقاً على رأس أي شاعر كأنه سيف ((ديموقليس)) المربوط بشعره فوق رأس الضحية ، فما أن يسكت الشاعر عاماً أو عامين حتى يقال أن معينه قد نضب أو توقف ثم ما يلبث أن يفاجئ قرّاءه بعمل أدبي جديد يرد عنه هذه التهمة لزمن ما. وأنا كشاعر تنتابني فترات متقطعة من الجمود والانطلاق ، وإن شئت الدقة فهي فترات متناوبة . قد أظل صامتاً في بعض الأحيان عاماً أو عامين وقد أكتب في عام واحد ديواناً كاملاً ومسرحية شعرية كما حدث منذ عامين حين أخرجت ديوان ((شجر الليل)) ومسرحية ((بعد أن يموت الملك)) ولكنني عندما أنظر إلى خلاصة عطائي بعد عشرين عاماً من الشعر أجدها ليست قليلة ولا كثيرة .

مازن : اتهام آخر .. يقال عنك أنك بعيد في شعرك عن العروبة ولا تلمس أوتار قضايانا القومية بريشتك . بماذا ترد ؟

عبد الصبور : لعلي لا أزكي نفسي . أنا وبعض أصحابي كنا من أوائل المثقفين المصريين الذين تحسسوا قضايا العروبة تحسساً معاصراً ولكن عندما تقع قضايا في حوزة من لا يؤمنون بها وتكون أصواتهم هي أعلى الأصوات ، فان المخلصين لا يملكون إلا الصمت . كذلك كان حالي مع هذه القضية كأنه حال عاشق مع حبيبته رغم جميع المنتهزين مودتها وحبها . وأنا لم أعبر بشعري عن معارك العرب في تاريخهم الحديث . هذا حق ولكنني عبّرت بشعري عن أحزانهم وطموحهم إلى تجاوز هذه الأحزان إلى عالم جديد

متفتح .. وفي رأيي أن القضيــة قضيــة العروبــة ، لا تخـدم بالكلمـات الشاعرية فحسب ، ولكن تخدم بتأصيلها ، بإبراز نواحيها الحضارية وبتوضيح أنها قضية لا تنتمي إلى الماضي ولكنها تستشـرف المستقبل وأنها ليست قضية عنصرية أو عرقية ولكنها قضية بناء حضارة وخلق إنسان ، إن خدمة اللغة العربية أو الثقافة العربيــة أو الاقتصـاد العربـي أو الفن العربي ، كل هذه دلائل إيمان بالقوميـة العربيـة ودعـك بعـد ذلك من صيحات الصائحين ومزايدة المزايدين .

مازن : تحدثت عن المزايدين .. هل تعتقد أن الصمت يخدم قضايانا ؟ .

عبد الصبور : يحتوي الصمت أحياناً على لغة أبلغ من كل لغة ، وعندما يسأل بعض الناس لماذا لا يتكلم هذا الشاعر ربما كـان هذا السؤال أشرف وأبرأ من أن يقال لماذا تكلـم بمثـل هـذا الكـلام . ولا أعني بذلك أن الصمــت مجـد دائمـاً ، ولكـن في بعـض الظـروف عندما يكون اختيار الإنسان بين أن يصمت أو يقول الكلمــة الـتي لا ترضي الحقيقة فإن الأجدى هو الصمت ، وأظنك تعـرف أن بلادنـا العربية مرت في ظروف كثيرة كان فيها الإنسان مخيّراً بين أن يصمت أو يقول ما لا يعتقد والإجابة الشريفة عندئذ كانت هي الصمت .

مازن : أنت تحب دمشق ، وســورية كلهـا تحبـك كشـاعر عربي متميز ، ما هو انطباعك عن صمود دمشق وهل بادلتهـا حبهـا ببعض نتاجك ؟

عبد الصبـور : كـان قلبي مـع دمشـق وقـد علمـت مـن الإذاعات ومن بعض الأصدقاء أن المدينة الجميلة عانت من وحشية العدوان الصهيوني ، وكنت أتتبع أخبار الرسائل الوحشية التي نثرتها

طائرات إسرائيل فوق دمشق وأتخيل المواقع في ذهني أتألم لألم العاجز المكبوت بل ألم الثائر القادر على رد الضربة ، كنت أعلم أن جنود الجيش العربي السوري يردون الضرب أضعافا مضاعفة للعدو ، وكان هذا الإحساس يمسح ألمي بعض الشيء . وواقع الأمر أنني أنظر برغم كل التغيرات السياسية إلى مصر وسوريا كأنهما جسم واحد . والتاريخ العربي بغض النظر عن كل ((الحذلقة)) التي قد تكتب يخبرنا بهذه الحقيقة الواضحة وكأنها قانون من قوانين الكون . وأنا نفسي عندما أكون في دمشق لا أحس قط أنني ابتعدت عن القاهرة لعلي أتوقع أحياناً عندما أخرج من شارع أن يفضي بي إلى شارع آخر عرفته بالقاهرة .

أما من ناحية الفن ، فإن العمل الذي أزمع كتابته سينسج خيوطه من كفاح دمشق والقاهرة ، وربما امتد في التاريخ فشمل أمجاداً أخرى سطرت في تاريخ العروبة .

مازن : لماذا اخترت الشعر الحر شكلاً لأشعارك ؟

عبد الصبور : لم يكن اختياراً إلا إذا كان الإنسان يستطيع اختيار قامته أو عرض أكتافه أو لون عينيه . لقد كان نمواً كما ينمو كل شيء في الحياة . وقد بدأت شاعراً كلاسيكياً وأقرّ هنا أن تجربتي الشعرية ضاقت بالإطار الكلاسيكي منذ أمد بعيد وحاولت الخروج عنه عن طريق الرباعيات والخماسيات ثم بطرق أخرى مثل استعمال مجزوءات البحور ولكنني لم أنتبه إلى إمكانية هذا الشكل الحر إلا عندما قرأت ديوان الشاعرة العراقية نازك الملائكة عام ١٩٤٩ ، أحسست أن هذا الديوان يهبنا شكلاً جديداً وأن علينا نحن الشعراء

أن يملأ كل منا هذا الشكل بمضامينه الخاصة وأفكاره وانفعالاته الذاتية .

مازن : ما هي المشاكل التي تعترض الأدب والشعر بشكل خاص من حيث المؤثرات المحيطة ..؟ .

عبد الصبور : في بلادنا مازال يبحث عن دوره كأنه ممثل لا يسمح له بدخول المسرح إلا لتبديل مناظر أ بين الفصول أو يعد مناظر فصل جديد . الشارع يجب أن يكون ممثلاً رئيسياً على خشبة حياتنا ويستدعي هذا شيئين :

أولهما ، أن يعرف الشعراء مكانتهم فلا يكونوا مجرد مرددين لما يقال ، بل مبدعين لما يقولون وأن تكون لهم رؤيتهم الخاصة التي لا تنبع إلا من ضمائرهم الوطنية وقلوبهم التي تحس بالإنسان .

ثانيهما ، أن تفسح المؤسسات السياسية والاجتماعية الطريق لصوت الشاعر كي ينطلق بكل صدقه .

مازن : هل دخل الشعر الحديث عقول القراء وقلوبهم برأيك ؟

عبد الصبور : استطاع الشاعر الحديث أن يدخل إلى عقل طائفة من القراء وهي الطائفة التي استطاعت أن تستوعب الحياة الحديثة والقوانين الاجتماعية الحديثة، ففي بلادنا العربية كما تعلم وهي بلاد تتحدد في مجالات الحياة المختلفة كالاقتصاد والتعليم وغيرها ، مازلنا نعيش بمستويين ، المستوى (السفلي) الذي يؤمن بأن الماضي يجب أن يبسط ظله على الحاضر والمستوى (الحديث) المتجدد

الذي يؤمن بأن الحاضر والمستقبل لهما شروطهما الخاصة وقوانينهما الخاصة. وقد يبدو لنا في بعض الأحيان من خلال رؤيتنا لأية مدينة عربية أنها تنقسم إلى مدينتين قسمة غير مرئية، مدينة قديمة، لا أعني في المباني أو في الشكل، ولكن في الوجدان والانفصال، ومدينة أخرى حديثة، لذلك فإن الشعر العربي الحديث قد وصل إلى قطاع معين من القراء، فبالنسبة لي مثلاً أنا أعرف أن جمهوري في مصر هو طلبة الجامعات والخريجون الجدد والمشتغلون بالفنون الأخرى كالتصوير والموسيقا. ولكن ربما ما تزال كتاباتي نوعاً من المحظورات في بعض البيئات الأخرى التي تدين (بالسفلية).

مازن: الأدب المعاصر .. الشعر خاصة .. هل خرج من حدوده الضيقة إلى الدائرة القومية ؟

عبد الصبور: ليس بعد، لكي يخرج لابد أن تحس نفوس الأدباء والشعراء بهذا الإحساس ولا أخفى عليك أنني قد أجد في بعض المجالات الأدبية روحاً محلية تميل إلى التعصب. ومازلنا نناقش كثيراً من قضايا الأدب بروح المناقشات، نسأل دائماً أيهما أفضل الأدب العراقي أم الأدب السوري أم الأدب المصري .. الخ .. وقد يكون النقاد مسؤولين عن هذه الروح. وثمة سبب آخر هو أن أجهزة التوزيع الخاصة بالكتب والمجلات في الوطن العربي ليس بينها جهاز واحد يوزع المجلات والكتب على نطاق العالم العربي كله، لذلك فنحن وأنتم في المشرق نعيش عزلة عما يجري في المغرب العربي على نطاق الأدب وهناك خطوات تنفيذية كثيرة يجب أن تقوم بها الحكومات العربية من ناحية تصدير الكتاب وحماية تحديد سعره وتوفير مادته.

مازن : في ديوان ((رحلة الليل)) تقول :

((لاشيء في الدنيا جميل كالنساء .. في الشتاء)) .

هل تعتبر المرأة سريراً فقط ؟

عبد الصبور : لا .. ليس هذا رأيي .. ولكنه كناية لحديث عابر يأتي من الطريق وتستمعه إذن الشاعر الملول الحزين، ولكن رأيي أنا ... أنه لاشيء اسمه المرأة على وجه القطع ، كما أنه لاشيء اسمه الإنسان على وجه القطع وأن كل امرأة تختلف عن كل امرأة أخرى .

مثلاً ، الرومانتيكيون يتصورون المرأة ملاكاً وبعض الشعراء الآخرين يعتبرونها شيطاناً ، وأنا أعتقد أن فكرة كل إنسان عن المرأة تنبع من تقديره للنساء اللاتي يعرفهن .

وبالنسبة لي عرفت المرأة أماً ، وصديقة ، وحبيبة ، وزوجة كما أن لي طفلتين وكل هؤلاء اللاتي عرفتهن كن شقيقات حانيات رفيقات لا بجرد الرقة الأنثوية ولكن رقة الصداقة والمودة .

مازن : في مقطع شعري لك قلت :

الصمت لا يعني الرضاء بأن أمنية تموت ، وبأن أياماً تفوت ،

وبأن مرفقنا وهن ، وبأن ريحاً من عفن .

هل ضاقت بك الحياة إلى هذا الحد ؟

عبد الصبور : لقد وصلت إلى هذا الحد كثيراً . كتبت مرة أن الفنانين مثل فئران السفينة أكثر الكائنات استشعاراً للخطر ولكن

الفرق بينهم وبين فئران السفينة ، هـو أن الفئران تلقـي بنفسـها مـن السفينة بينما يبقى الفنانون ليغرقوا معها بعد أن ينجو آخر رجل مـن ركابها وأظنك تقدر معي أن الأيـام التعيسـة كـانت كثيرة في حيـاة جيلنا ، فالجيل الذي أنتمي إليه قد تفتحت عيناه وأدرك حياة ما بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وعـاصر عديـداً مـن النكبـات والانتكاسـات القومية كما عاصر كثيراً من الصدق والموضوعية ومن هنا فإن أحزان هذا الجيل كثيرة ، ومواقف فزعه الأخلاقي متعددة بالنسـبة لي ، أنـا إنسـان تتملكـه فكرتـان أساسيتان ، فكـرة الحريـة وفكـرة العدالـة ، وعندما أفتقدهما ينتابني الحزن العميق والصمت أحياناً .

مـازن : قلـت أيضـاً ((النـاس في بـلادي جـارحون كالصقور)) هل عنيت بذلك قسوة الناس الداخلية أم الخارجية ؟

عبد الصبور : كنت في هذه القصيدة أصـف فـلاح القريـة المصرية ، يبدو ظاهره خشناً ، حتـى كفـاه خشـنتان ولكـن في بـاطن هذه الخشونة رقة وطيبة لا تقارن. والقصيـدة ((النـاس في بـلادي)) تتحدث عن هـذا الفـلاح حـين يواجـه الحيـاة وحـين يسـتغرقه عـالم الأساطير فلا يفيق منه إلا على صيحـات فقـره الواقعـي ، إن رضـاءه أسطوري ولكن سخطه ينبع من واقعه .

القاهرة ١٩٦٨

الشاعر الفلسطيني

راشد حسين



الأمم الحية لا تقبل بالركوع تحت أقدام القتلة وشعب فلسطين هو شعب مناضل ، رفض ولازال الانصهار والاندماج في المجتمع الإسرائيلي

لوحـــــة

ضد أن يجرح ثوار بلادي سنبلــه
ضد أن يحمل طفل – أي طفل – قنبلة
ضد أن تدرس أختي عضلات البندقية
ضد ما شئتم ، ولكن ...
ما الذي يصنعه حتى نبي أو نبيه
حينما تشرب عينيه وعينها خيول القتلة

* * *

ضد أن يصبح طفلي بطلا في العاشرة
ضد أن يثمر ألغاما فؤاد الشجرة
ضد أن تمسح أغصان بساتيني مشانق
ضد تحويل حياض الورد في أرضي خنادق
ضد ما شئتم ، ولكن ...
بعد إحراق بلادي
ورفاقــي
وشبابــي
فلتصبح أشعاري بنادق ؟؟

راشــد حسيــن

حين يقوم المؤرخون بتدوين شعر النكبة ويقـارنون بالإنتـاج في هذه البلاد والإنتاج في عالم العائدين ، سيجدون أن شعراء الأرض المحتلة هم في الطليعة ! .

لقد صوروا مأساة شعبهم النـازح والمقيـم بمـداد مـن دمـاء قلوبهم ، وسكبوا قصائدهم أناشيد من النغمة العارمة ، ففي شـعرهم ترانيم يفوح منها عبير القرية العربية التي تحولـت إلى أطـلال دراسـة ، وفيهـا أغـان حزينـة تـروي تعلـق الإنسـان الفلسـطيني بتربـة آبائـه وأجداده ،وفيها صلوات ثـائرة توحـي بعنـاد النـازح وإصـراره علـى العودة إلى وطنه الحبيب !

ففي هذه الترانيم والأغاني والصلوات الثائرة تيار مـن الحقـد المشروع على أولئك الذين هدمـوا القريـة ، ونهبـوا الأرض العربيـة ، وحولوا حياة الجماهير العربية المقيمة إلى جحيم ، وصدوا بأسـلاكهم الشائكة العائد الذي يحن إلى ربوع الوطن السليب ! .

وهكذا نجـد أن العاطفـة تلعـب دورا هامـا بالنسبة للشـاعر الفلسطيني !

وفي هذا الحوار نلتقي بواحد مـن رواد هـذا الشعر المقـاتل، مـن الذيـن اسـهموا بشـعرهم في كشـف المؤامـرات الاسـتيطانية والاحتلالية للعدو ..

بواحد من الذين كتبوا قصائد ثائرة تكشف أوراق المعتدين ، وتعريهم من جلدتهم ..

شاعر شاب وجدت في عينيه مأساة وضياع وحزن الشـعب العربي بأكمله!.

واللقاء كان مع الشاعر الفلسطيني راشد حسين ، ابن الأرض السلبية :

- قلت له بعد أن أقنعته بالكلام والحوار :

• إن الشعر رغيف يخبز للجمهور ، ومن حق الجمهور أن يقتات هذا الخبز ، فهل لك أن تلبي ؟؟.

- أجاب :

- سأفتح قلبي رغم أني لا أريد أن أتقيأ أحزاني.

- قلت :

• في البداية ، هل لشاعرنا الفلسطيني راشد حسين أن يقدم نفسه للقراء في سطور ؟

• قال :

- ولدت في منطقة المثلث في مركز فلسطين عام ١٩٣٦ وتعلمت حتى الدراسة الثانوية ، ثم انتقلت إلى صفوف المدرسين ، وبعدها فصلت من التعليم لأسباب سياسية وتحولت بعدها للعمل في مجلة " الفجر " ثم في صحيفة " هولام هازية " محرراً لشؤون الشرق الأوسط ثم سافرت بدعوة من جامعة " بنسلفانيا " للعمل لمدة سنتين في قسم اللغة والأبحاث ، إلى أن عينت في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية لمدة ثلاث سنوات قضيت أكثرها في إلقاء محاضرات في الجامعات الأميركية عن قضية فلسطين .

• وقلت له : لقد ولدت عام ١٩٣٦ وكان هذا عام الثورة الفلسطينية الكبرى، فهل كان لهذا العام تأثير على مجرى حياتك !

- أجاب : لقد ولدت أثناء الاحتلال البريطاني لقريتنا فهربت النساء من الجبل، وهناك ولدت ، وبعد أيام أرسل والدي شخصاً لتسجيلي في جنين باسم " حاتم "لكنه ظن أنه نسي الاسم بعد أن التقى بدورية بريطانية، وحين وصل إلى مكتب التسجيل فكر أن يسجلني" حاتم" ولكن الثورة بحد ذاتها عام ١٩٣٦ كانت أنضج من أية حركة ثورية في العالم العربي في تلك الفترة خاصة وان الذين قاموا بها وهم" القسام" ورفاقه لم يكونوا من القيادات التقليدية، لذلك استمرت الثورة ستة اشهر كاملة ومازالت تستعمل كمثال عندما نقابل بعض الأجانب مدللين على قدرة شعبنا على الصمود ، فثورة ٣٦ وحتى الآن هي مصدر ثورات الشعب العربي الفلسطيني في العطاء الكريم للشهداء تلو الشهداء وقد أثرت الثورة حياتنا وشعرنا ونضالنا جميعا.

• وسألت الشاعر راشد حسين مستذكرا :

ولماذا عملت في مجلة" هعولام هازيه ، الإسرائيلية و لم تعمل في غيرها!!

- أجاب بهمسات حزينة ، إن كل مكان عمل أو صحيفة تصدر في إسرائيل هي بالطبع إسرائيلية ، أما عن سبب عملي فيها فلأنها كانت مجلة المعارضة الوحيدة باللغة العبرية التي أردنا أن نسمع صوتنا الفلسطيني من خلالها ليصل إلى كل العالم ويعرف كم نقاسي نحن شعب فلسطين في وطننا المحتل من محن وعذاب واضطهاد على أيدي السلطات العسكرية الحاكمة .

ثم لقد كانت الجريدة تعارض الحكم العسكري المفروض على الشعب الفلسطيني وتقاوم مصادرة الأراضي العربية، وتطالب

بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وقد كان فيها مجال كبير للتعبير .

• قلت له : هل تعتقد أن صحيفة " هعولام هازيه " كانت طعما باسم الديمقراطية تركتها سلطات الاحتلال الصهيوني خصيصا لذلك .

- أجاب : لا اعتقد وان كان رأيي في صاحبها أنه كان رجلا انتهازيا ، وكانت منبرا من خلال انتهازيته !

• وسألته : كيف عينت في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك ! .

- قال : تعرفت على مدير المكتب هناك وطلب إلى أن اصدر نشره تترجم فيها مقتطفات التعليقات العبرية إلى العربية ، ونوزعها على السفارات العربية والمؤسسات لتعرف من خلالها أخبار العدو ومخططاته وسياساته تجاه العرب.

وبعد ذلك تحول عملي إلى إلقاء محاضرات في الجامعات لشرح القضية الفلسطينية أو إلى ندوات أناقش فيها مؤيدي إسرائيل أو ممثليها .

• وقلت له : ما رأيك أن نقترب خطوات على طريق الشعر والشعراء .

- تفضل فكلي آذان صاغية ، وأنا على استعداد لذلك

• قلت : أين يقف شعر المقاومة من أبعاد الحركة الشعرية الجديدة في الوطن العربي .

– أفهم أن في العالم العربي خلافا على تسمية هذا الشعر ، فآنا شخصيا اعتقد انه حتى الشعر العربي الذي كتب في الأرض المحتلة هو أيضاً شعر مقاومة ، والسبب بسيط ، فقد كانت سياسة إسرائيل ترمي إلى تجهيل جيل كامل من أبناء شعبنا هناك بثقافته ولغته وحضارته ، وكانت إحدى الوسائل المدارس وتعليم اللغة العبرية بصورة أفضل من تعليم اللغة العربية فلما بدأ رفاقي الشباب الشعراء والكتاب ، كان مجرد أن يكتبوا مقاومة في حد ذاته لسياسة التجهيل ، ثم عندما طبعوا ما كتبوا في كتب أيضا كان عملا لمقاومة السياسة التي كانت تفضل أن يقرأ شبابنا اللغة العبرية فقط ، أما موضع شعر المقاومة من شعرنا العربي ، فاعتقد أن هذا الشعر كان يؤدي دوراً يختلف عن الدور الذي أداه الشعر العربي بأكمله ، لأن هذا الشعر كان يقاوم محتلا أجنبيا لا نظاما عربيا ، مهما كان هذا النظام سيئا ، بينما باقي الشعر العربي الحديث بدأ يسير في بعض الأحيان في غيبيات لا تمت لواقعنا السياسي والاجتماعي بصله ، باستثناء عدد قليل من الشعراء .

فشعر المقاومة في هذه الحالة كان شعراً موجها للجماهير العربية التي بقيت تحت حكم إسرائيل ، وكان يثقف الناس سياسيا أما من ناحية الأسلوب ، فلقد بدأنا تقليد ما كان يصلنا من شعر الخارج ثم بدأنا نطور أساليبنا .

• وقلت لراشد حسين ، هل قصائد شعراء الأرض المحتلة تطفح بمجرد المشاركة في النبرة الجهيرة العالية الصوت ، أم أنها تفصح عن الوعي العميق لطبيعة هذه المشاركة النضالية الحارة .

– قال هي طبعا تفصح عن طبيعة الوعي ، لأن الوعي لم يأت عن طريق الكتب، بل عن طريق الواقع اليومي والنضال اليومي الذي نحياه داخل الأرض المحتلة ، لذلك لم يكن نبرة جهيرة أو عالية إنما كانت النبرة الجهيرة العالية هي الواسطة لإيصال هذا الشعر للجمهور ، فأكثر شعرنا كان يصل للناس عن طريق مهرجانات الشعر التي كانت تتحول إلى مؤتمرات ومظاهرات سياسية، فبدأوا منعنا من السفر إلى مكان المهرجانات ، وكثير منا اعتقل وحوكم في محاكم عسكرية .

وأنا شخصياً قدمت لمحكمة عسكرية قبل مغادرتي إسرائيل بوقت قصير وحكم على بالسجن أسبوعين أو دفع غرامة لأني اشتركت في مهرجان شعري في الجليل بدون تصريح من الحاكم العسكري .

– وقلت للشاعر راشد حسين .. بلا شك أن شعر المقاومة الفلسطينية له طعمه الخاص ، وقاموسه الخاص ، وعالمه الخاص حيث أنه يمثل الخصوصية دائماً وتتمثل فيه كل الألوان التي اكتحلت بها عيوننا ، فهل يعني ذلك أن هذا الصدق التلقائي هو وحده منطلق الفن الصحيح .

وكان جوابه :

– الصدق لاشك منطلق من منطلقات الفن ، ولكنه في رأيي إحساس الفلسطيني بفلسطينيته يوما بعد يوم ، ولحظة بعد لحظة ومواجهته أحياناً تأكيد من الآخرين غير الفلسطينيين على أن هذا الشخص فلسطيني ، وعندما يعبر الفلسطيني عن فلسطينيته إنما يرد على الذين يحاولون نزع إنسانيته منه بأنه لاجئ ومشرد ، لذلك فان

إصرارنا على فلسطين هو حب تأكيد الذات، وتأكيد الوطن الذي يعيش في الأذهان ، وعندما يدخل الفلسطيني مطارا من مطارات العالم العربي يشعر بالذل ويشعر بأنه بلا كرامة من خلال الأسلوب اللا إنساني الذي يعامل به ، لذلك كله إن تأكيدنا على فلسطينيتنا هو تأكيد على نضالنا لمسح عار التشرد ،وأضيف إلى ذلك بأنني أحس بأن العالم العربي كله " فلسطين " كله بحاجة إلى تحرير ، قسم منه سياسيا ، أو اقتصاديا ،أو اجتماعيا أو ثقافيا ، أو حتى عسكريا ، وقسم آخر كل هذه المجالات مجتمعه !

- وقلت له : عندما ترك الشاعر محمود درويش الوطن خرجت بعض الأقلام تهاجم رحيله ، ونسيت قوة وثورية شعره ووجوده في الأرض المحتلة ، فما رأيك أنت، خاصة وأنك مثله تركت الوطن وتعيش الآن في عالم الغربة ؟!.

– وهنا عاد الشاعر راشد حسين بتفكيره إلى أرض الوطن، والى رفاق الطريق والحكم الاستعماري الاستيطاني الصهيوني ثم قال ..

– لقد تركت فلسطين عام ١٩٦٦ ، والحقيقة انني شخصيا أتمنى لو أنني لم أخرج من الأرض المحتلة التي عشت فوقها سنوات عمري ولولا حرب وهزيمة ١٩٦٧ لعدت ، وحاولت أن أخدم شعبي من قلب السجن ، أما بخصوص زميلي محمود درويش ، فاعتقد أن الظروف التي عاش فيها كانت أسوأ بكثير من الظروف التي عشنا فيها من قبل ، القيود التي فرضت على حريته وحرمانه من رؤية الناس إلا إذا جاءوا إلى بيته .

هذه القيود التي وصلت حد سجنه في بيته ، من الغروب حتى الصباح جعلته يهاجر ، أما بالنسبة لنا ، فلقد كان عندنا نوع

من التمزق وكان أملنا أن نبقى فوق أرضنا وبين شعبنا رغم الاحتلال وكنا نحلم أن نلتقي بشعبنا الكبير في الوطن العربي الكبير، لأنه ليس من السهل على الإنسان الذي ينتمي للأكثرية عام ١٩٤٨ ان يقبل التحول فجأة إلى الانتماء لأقلية مضطهدة .. الأقلام التي هاجمت محمود درويش لا أتمنى لأصحابها أن يعيشوا سنة واحدة من الإذلال الذي عشنا تحته، وربما لو جربوه لما كتبوا هذا الكلام الذي قيل عن محمود أو غيره من أبناء فلسطين ثم لماذا لا يستطيع الشاعر المناضل أن ينتقل من مكان إلى آخر مثل الجندي في المعركة، لماذا نمجد ناظم حكمت مع أنه عاش أكثر من عمره خارج وطنه ونعيب ذلك على شعراء فلسطين ؟! وأيهما أفضل؟ أن يختنق الشاعر في سجن العدو، أم يتنفس في بلد آخر ويحمل رسالة أمته في صوته وشعره ومادام يواصل نضاله بصورة أو بأخرى ؟ ورغم ذلك مازلت أتمنى شخصياً لو بقيت مع الشعب الفلسطيني المناضل فوق أرضنا وترابنا لأن الإنسان لا يشعر بوجوده وكرامته إلا داخل وطنه .

- وتركنا الشعر جانبا ودخلنا إلى عالم الغربة الموجع وسألته : ماذا علمتك الغربة وبماذا أوحت لك !!.

• أجاب في نبرات حزينة، لقد علمتني الغربة أن العالم أكبر مما كنت أتصوره في إسرائيل، ليس من جهة الجحيم فقط بل من جهة مشاكله وأحلام الناس فيه الذين تراهم في بلاد مختلفة، إنما الشيء الذي عمقته الغربة في نفسي هو الشعور بأنني بلا وطن، ومن واجبي وواجب كل مشرد أن يفعل المستحيل في سبيل استرداد وطنه أو المحافظة عليه إذا لم يكن قد احتل، وأسوأ أنواع الغربة، الغربة في العالم العربي، أي عندما يكون الإنسان فلسطينيا وعربيا ومع ذلك يعامل وكأنه غريب عن عروبته ووطنه العربي، بل معاملته أسوأ من

معاملـة الغريـب ، فـالأمريكي يقـدم عليـك ، وحتـى الفرنسـي والإنكليزي مع أنه ينتمي لدولة أخرى ربما تكون مستعمره ومعادية ، في تلك اللحظات يحس الإنسان بالمذلة في أعمـق صورهـا ، والدليـل على ذلك ما نراه من معاملة سيئة في الحدود والمطـارات والمعـاملات مع أننا كما نسمع أننـا شـعب عربـي واحـد ، ووطـن عربـي واحـد ولكن آه .. ويا حسرتاه على هذا الشـعب الـلا واحـد والوطـن الـلا واحـد .

• قلت لراشد حسين ، تاريخنـا العربـي هـو مجموعـة مـن النكسـات والـتراجع وفقـدان الأرض ، برأيـك هـل تستطيع إسـرائيل أن تحقـق هدفها بإقامة دولتها من الفرات إلى النيل .

- صحيـح أن تاريخنـا زاخـر بالنكسـات والـتراجع وفقـدان الأرض وصحيح أيضاً أن إرادة الشعوب لا تقهر إذا ما كانت هذه الشـعوب مصممة على الحياة والحريـة والاستقلال وتحرير الأرض كـل شـيء قابل للتغيير في هذا العالم ، كـم مـن قـوة كـانت كبـيرة ثـم تلاشـت وزالت من الوجود بفضل كفاح الشعوب المغلوبة على أمرها .

وإسرائيل التي ترى الآن أنها أصبحت قوة لا تقهر من خلال الدعـم الأمريكي المتواصل وأعمال العنف والعدوان التي تنفذهـا بحـق الشعب الفلسطيني الأعزل، هذه الدولة الـتي زرعـت في قلـب العـالم العربي لكي تكون قاعدة للعدوان والتوسع والاسـتيطان لا يمكـن لهـا أن تستمر برغم كل ما أصابنا من نكسات وفواجع وانتصاراتها علينا لا يعني أننـا بتنـا أمـة راكعـة أو خاضعـة أو خانعـة نجـتر المـاضي ولا نبحث عـن المستقبل ، صحيـح أن العـرب أضـاعوا فرصـا عديـدة ، عليهم من خلال التمزق والانفصال وعدم قيام وحدة نضالية حقيقية

تجمعهم على طريق حماية الإنسان العربي وحفظ حقوقه، ولكن هناك أمل بالأجيال القادمة ، فكلما جاء جيل من أجيال فلسطين نشعر أن القضية مازالت أمانة في الأعناق وان هذه الأجيال أمينه على استمرار الدفاع عن حقوقها وأرضها والدليل انه منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن والشعب مازال يقاوم .

• إذن أنت تؤمن بجيل الغد .

• كما كان يؤمن الآباء بأجدادهم ، انظر إلى الماضي منذ ثورة ١٩٣٦ وحتى الآن هل توقف النضال ، هل توقفت المقاومة ضد الإنجليز والصهاينة ، انهم يعرفون قضيتهم جيداً ويعرفون لماذا يريدون الموت من أجل فلسطين ، إن أجيال الغد سوف يكون عنفوانها ونضالها أشد مما عليه جيلنا وأجيالنا السابقة ، انهم يعيشون المأساة صباح مساء انهم يرضعون مع حليب أمهاتهم التمرد على الزمن الغادر ويتطلعون مع كل صباح إلى تباشير الأمل القادم .

ملحوظة : كان راشد حسين على حق ، وهاهي الأيام والأحداث تثبت أن جيل الغد هو الذي يقود المقاومة ضد الاحتلال في الأراضي المحتلة هذه الأيام ولخمس سنوات دون كلل أو ملل رغم أعمال العنف التي يمارسها جنود إسرائيل ضد أطفال فلسطين أطفال الحجارة .

• سألت راشد حسين بعد ذلك هل تعتقد أن هناك فرصة لانطلاقة جديدة في الأراضي المحتلة ، وهل هناك مؤشرات لتلك الانطلاقة .

• نعم فالأمم الحية لا تقبل بالركوع تحت أقدام القتلة ، وشعب فلسطين هو شعب مناضل رفض الانصهار والاندماج في المجتمع

الإسرائيلي رغم كل التغيرات التي حاولوا زرعها في جسده وأرضه ، ومهما كانت القوة العسكرية كبيرة وغاشمة ، اعتقد أنها تتلاشى في لحظات أمام ضربات الحق الموجعة ، وأما صمود الجماهير ، إذن لا مساومة لامحاولات للهرب ، وقد قيل ذات يوم (اللذة والعذاب) صنوان لا يفترقان .

" لا يتوقف واحد منهما إلا ليظهر الآخر ، والموت إذ يأتي من الحياة لابد أن تأتي الحياة من الموت "

• قلت لراشد حسين ، اذكر أن هناك قولا لسقراط قال فيه رداً على محاولة " كريتياس " منعه من تعليم فن الكلام إذ قال: " سوف أعجب إن كان حارس القطيع يذبح منه جزءاً ويضعف جزءاً آخر ، ويرفض مع ذلك الإقرار بأنه راع عاطل وسأعجب أكثر وأكثر إن رأيت إنسانا مقاما على رأس مواطنيه يقتل قسما منهم ويفسد أخلاق الباقين ، ومع ذلك لا يخجل لسلوكه ولا يعترف بأنه حاكم شرير "

اقصد من ترديد قول سقراط أنه لا يمكن للحاكم العسكري أو للنظام الإسرائيلي الفاشي من أن يقتل أو يفسد كل الناس في دائرة حكمه وانه لابد للشعب أو لفئة منه على الأقل من أن تتمرد على سلوك هذا الحاكم الشرير أو المجموعة الحاكمة كما هو في إسرائيل ، فهل تعتقد معي أن مثل هذا النظام يستطيع البقاء والاستمرار رغم أنه يملك السكين وقادر على الذبح .

• اعتقد إن شجاعة شعبنا في الماضي والحاضر واستمراره في نضاله لن يسمح للحاكم الإسرائيلي أن يذبحه أو يفسده ، رغم اقتناعي انه في كل شعب هناك قطيع لا أهمية له يكون في خدمة الراعي ، ولكن

هذه القلة تكون منبوذة من شعبها ومـن راعيهـا أيضـاً لأنهـا سـاقطة اجتماعياً .

• قلـت لراشـد برأيـك إلى متى سـوف تسـتمر سـاعات الحـزن الفلسطيني .

• الحزن يدفع بالإنسان نحو التمرد ومباشرة العمل من أجل الوصـول إلى الهدف، مثلاً على ذلك عندما أكون أنا شـخصياً في حالـة حـزن اشعر بالانزواء والتفكير السليم والدخول في عالم آخر ، أتـأمل فيـه ، وانظر لنفسي ثم أضع خطة للخروج مـن هـذا الحـزن نحو عمـل أو حياة أو طريق أفضل .

• وقلت لراشد حسين زرت العديد من المدن في العالم ما اسم المدينـة التي تركت سحرها وحبها في نفسك .

• مدينة القدس ، مدينة الحب والسلام ، مدينة الحرم الشريف الـذي حاول الصهاينة إحراقـه أكثر مـن مـرة ، هـل هنـاك في الدنيـا أروع وأجمل من هذا المكان المقدس الإسلامي الشهير .

• أنت الآن في القاهرة ، وهنـاك آلاف مـن الفلسـطينيين غربـاء عـن ديارهم ، ماذا تعني لك الغربة وما أجمل ما قيل فيها .

• الواقع كتبت قصائد عديدة في هذا المعنى .. الغربـة وجعـي ، نعـم إني أتألم في غربتي واشعر بالحزن والوحـدة والضيـاع فـلا أجمـل مـن حاكورتي وخبزي وزيتوني ، رغيف التنور في بيتنا كـان عنـدي ألـذ من كل أطايب الدنيا ، لا تضحك إذا ما قلـت لـك " اعشـق رغيـف الخبز التنوري وحبه الزيتون والبصـل الأخضـر ، كمـا أعشـق زقزقـة العصافير فوق أغصان الشجر وأما أحلى وأجمل ما قرأت عـن الغربـة

هذا الوصف الساحر لأبيات جميلة أثناء رحيل الحبيب عن ديار محبوبته .

ولما تبدت للرحيل جمالنا | وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من حبائها | وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت بأطراف البنان وودعت | وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر | يسير ويدري ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق | فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة | فيارب ما خابت لديك الودائع

• قلت لراشد هذا إذا كان هو المسافر ، وأما إذا كانت هي المسافرة ماذا يقول لها برأيك .

– اعتقد أنه سيقول كما قال الشاعر صفي الدين الحلي

قفي ودعينا قبل وشك التفرق | فما أنا من يحيا إلى حين نلتقي

– راشد حسين ، ماذا تعني عندك هذه الكلمات

• الادعاء

– فشل وانكسار

• عفة اللسان

- ضرورة لمن لا يريد أن يقطع شعرة معاوية مع الآخرين وفضيلة مؤكدة لكل إنسان ثابت الأعصاب ويضبط غيظه وترفع عن الصغائر .

إسرائيل

• دولة عنصريه استيطانية تعيش على الإرهاب والمستقبل ليس لها .

• الإنسان الفلسطيني.

- صاحب حق يقاتل من أجل استعادة أرضه .

• الطريق إلى فلسطين

- تحتاج إلى صبر ونضال مرير وامه لا تقبل بأنصاف الحلول .

- راشد حسين

- شاعر فلسطيني يطلق أعيرة نارية من فوهة مسدسه الشعري على رأس الذين سلبوه حقه في الحياة الحرة داخل وطنه .

- وما أحلى ما كتبت لفلسطين وعنها .

- قصيدتان واحدة بعنوان ثورة على سفر والأخرى بعنوان دروس في الإعراب قلت فيهما .

ثـورة علـى سفـر

ما الذي ظل من الثـورات .....

من أجمل أحلامي القديمـة

غـير آثـــار وليمة

ويحوم فوق اكتاف الذين امتهنـوا

شـــــرح الهزيمـــة ؟!

ما الذي ظل سوى جيش مقالات حبالى

بحسابـات بنـــوك

وتفاسيـر لتبريـر الجريمـــة ؟!

ما الذي ظـــل ...

سوى مطربه إن ولولت : حيفا ويافـا

عرق البنك دنانير من القدس القديمـة ؟!

ما الذي ظـــل ...

سوى أن نبدأ الثورة من أول حـرف

ما الذي ظـــل ...

سوى قتل الجريمـة ؟!

تبدأ الثورة في عينين من دون وطـــن

تبدأ الثـــــورة ..

فلاحـــاً بـلا أرض

وبوليســاً له أرض

وأرضاً ....

كل ما فيها انسجـــن

نصنع الثورة لما ...

يقرأ الأمي والكاتب والأعمى الحقيقة

فيصير الحـــــــرف من دون ثمـــن

ويصيـــــر الرأي من دون ثمــــــن

ولهـــذا يا رفـــــاق :

أنا تعبـــان من التخديـــر ..

من كل خطابات المماليك العـــرب

ومن الرب الذي يسكن في سبع سماوات طباقاً

ذلك الرب الذي لم نبق له ..

غير تحريم الخنازير وتحليل الذهـــب

أنا تعبان من الرب الذي حوله جدي

بياع جنان وحوازي

والذي اصبح فرانـــا .. لحرقـــي

سوف يقضي العمر في جمع الحطـــب

ولهذا يا رفاق

أصبح الصبر تعب

فاغضبونـــــي

واغضبونـــــي

واغضبـــوا !

تشتهي الثورة لحظـــات غضـــب

ثـــم ماذا ؟ ...

كنـــت طفـــلاً ..

ولدتني طفلة في الســوق

قدام جميع الكهنـــة

ثم جروها إلى السجن ومازالت هنــــاك

طفلـــة ممتهنـــة

ولهذا حينما اكتب شعرا ... أتمزق

ودم من رحم أمـــي

فوق وجهي يتدفق

عندهـــا ...

ينجن شعري باحثا

عن وجوه الخونـــة

غير أنـــي ...

إن يرح أعصابكـم كـــذب ..

أصر أكـــذب شاعـــر ..

واعبيء لكم الشعر طبولا .. وأكابر

وأغنـــي :

أنا شمـــس لا تهاجـــر !

وإذا شئتم ... استرجع بالشعر بلادي في ثواني

ولتسامحنـــي بـلادي !

ولتسامحنـــي الثوانـــي!

ولتسامحني القوافي والدفاتر !

غير أني ... يا رفاق

رغم ما في الكذب من شهـــد

سأبقى العمر ... فلاحا يكابر

أينما يمشي .. تروا ميلاد شاعـر .

تفرح الثـورة بالنـــاس

ولا يفرح بالثورة إلا قلب ثائر

وبلادي ثورة ... في السجن

لكـــن ...

كلكـــم فيها سجيـــن

كلكم فيهـــا مسافـر !

صدقونـــي يا رفـــاق !

وطنـــي ما عاد أرضا وحقولا وبيـــادر

وطني اصبح ثـــورة

ثورة تجعل حتى أقدم الثوار ... ثائـر .

دروس في الإعراب

١- الدرس الأول :

كان في الستين لكــن ...

كان مازال يعلــم

مرة جاء إلى الصف وقــال :

اعربــــــوا :

جـاء المعلــم

وحسبنــاه يمــازح

فضحكنـــــــــا

واجبنـــــا :

جاء : فعل والمعلم : ....

وفهمنا فجأة ... في ثانية

فصمتنا ....

وسمعناه يتمتـــــم :

جاء : فعل

والمعلــــــم :

لم يجئ البوليس لكن .... سيعلم

٢- الدرس الثاني :

وكبرنا معه في الصف حـــتى

قارب السبعيـن لكــن

كان مازال يعلـــم

مثلاً : قال المعلم :

سيدي يحلم بالثورة لكن لا يقاتل

جملــــة ألف مفيــــدة

والذي يعربهـــا يصبــح مناضل

فصمتنـــــا ....

لم نقل شيئاً ولكـــن ....

صمتنـــا كان يقاتــــل

صمتنـــا كان .... ولكن

كان في الصف صبي أطعم الأرض يديــه

ومشى زيتونهـــا في شفتيـــــــه

اسمه عدنان ... فلاح بلا أرض ولكـن

لم يكن بالصمت ... بل في كل ما فيه يقاتل

يومها شاهدته يرفع بالباء المعلـــم

ويعلـــــم :

سيدي : ليست مبتدأ

يحلـم : ليست فعل

اليـاء مجـــــرورة

الثورة لاتجرها " ياء "

" لكن لايقاتل " هـــي الحقيقـة

٣- الدرس قبل الأخير

بعد يوم دخل المعلم

جاء فرحان

وجميلا كعطر البرتقال

كان في سبعيته طفلا .. فحيانّا وقال

وضعوا عدنان في السجن

أعربيها يا صبايا

واعربوها يا شباب

ففرحنا ، وبكينا ، وهتفنا

عدنان " فاعل "

السجن " مفعول به "

وحرقنا النحو والصرف واغلال القواعد

وتحولنا نساء

وتحولنا رجال

الشاعر محمد الجبار

انني أومن بالحب ايماني بالحياة



الحوار الأخير
مع الشاعر محمد الجيار

بعد اسبوع من هذا الحوار، فوجئنا بنبأ انتقال المرحوم محمد الجيار إلى جوار خالقه، وكان من دواعي حزننا أن يفقد الشعر العربي شاعراً من أبناءه وقف حياته له وعليه. غير أننا نجد القليل من العزاء في أن ننفرد في نشر أخر حوار مع الشاعر المرحوم محمد الجيار الذي كان من شعراء مصر العربية المجيدين، ومن شبابها العربي الملتزم بخط الثورة والتقدم.

مازن: من هو الشاعر محمد الجيار؟

محمد الجيار: بلا غرور ـ أعتبر نفسي الامتداد التاريخي لمدرسة «أبولو» في إطار متطور.

مازن: أين تقف الآن على خشبة المسرح الشعري؟

الجيار: المسرح الشعري يتعثر الآن بين البناء الدرامي المفقود والوفرة الشعرية. أما أنا فأعتقد بأنني أقف لا في مقدمته ولا في مؤخرته بل في الوسط.. لي ثلاث مسرحيات هي «شاطئ المستحيل» و «محكمة الأشباح» و «محاكمة بشارة سرحان».

مازن: هل لك أن تحدثنا عن تجربتك مع الشعر؟ وما هي أبرز ملامحها؟

الجيار: تجربتي الشعرية أساساً هي الحياة بكل جزئياتها المتناثرة والمتناقصة. وقد كانت أولى تجاربي سياسية لأنني اصطدمت

بالملك فاروق في مواقف صحفية كتبت فيها بمجموعة من القصائد التي حققت فيها نظرية (المعادل الموضوعي) وقد سجنت بعد هذا شهرين رهن التحقيق.. وتجربتي الشعرية عميقة لدرجة أنها تحولت إلى تطبيق سلوكي في حياتي الشخصية وأرى أن الشاعر إن لم يعش حياته شعراً فهو شاعر مناقض وملفق أيضاً.

مازن: هل استطعت أن تقدم رؤيا جديدة وشكلاً جديداً لم يسبقك إليهما أحد؟

الجيار: أنا اعتبر نفسي من أول المجددين بين شعراء مصر، ولي قصيدة نشرت بجريدة «المصري» أطلقت فيها روح القصيدة العربية المعاصرة من أردية القوافي الغليظة.

مازن: سميت شاعر الحب والحياة، ما رأيك؟

الجيار: إنني أؤمن بالحب إيماني بالحياة.. الحب قصيدة كبرى في حياتي. إنها أغنية المسافر الوحيد وكوخ من أغنية شفقية. وبرنامج «شعر وموسيقا» الذي أكتبه وأعده للإذاعة ينبض بهذه الحقيقة. إنه الواجهة الحية التي استخلص فيها أروع قصائد الحب والوطنية في العالم العربي.

مازن: أيهما أحب إلى نفسك الشكل الكلاسيكي أم الشكل الجديد؟

الجيار: الفن وحدة لا تتجزأ، والبنية الفنية ملتئمة عندي سواء في القصيدة القديمة أو القصيدة الحديثة وراى أن الشعر مهما تنوعت أشكاله فهو تيار سحري دافئ يتسلل وراء الألفاظ، وأكبر شعراء المدرسة الحديثة يحنون في داخلهم إلى كتابة نماذج من الشعر

العمودي المتطور لولا العناد المذهبي والعنصرية الفنية، وما الشعر الحديث إلا عملية توزيع حديثة في شكل القصيدة، مع إدخال مصطلحات عصرية كالمعادل الموضوعي والتكثيف الدرامي والرؤيا الجديدة للعالم والرمز الدائري.

مازن: ما رأيك بعلاقة الشاعر بهموم إنسان وطنه وقضاياه؟

الجيار: ارتباط الإنسان بوطنه هو ارتباط بذاته، وما الأرض إلا جلد الإنسان الأسمر، وما الوطن إلا مجموعة العلاقات الخفية بين الإنسان والآخرين من خلال أمومة الأرض.

مازن: أراك أحياناً تتعمق في الأساطير الشعبية، هل أسقطت بعضها على إنتاجك الأدبي؟

الجيار: الأسطورة تستخدم كمعادل موضوعي ولي مسرحية تحت الانتهاء عنوانها «عنترة الأسير».

مازن: من هم شعراء مصر المجددين في نظرك؟

الجيار: هم الشعراء الذين مدحوا الحب بدلاً من الحكم ومجدوا الإنسان وعبروا عن قضايا العصر في أروع أداء صادق.

مازن: لو أردنا أن نصنف هؤلاء الشعراء فأين تضعهم ولماذا؟

نزار قباني، عبد الوهاب البياتي، فدوى طوقان، محمود درويش، كامل الشناوي؟

الجيار: نزار قباني هو أعظم شعراء الحب في هذا العصر وهو الصديق الخالد لعمر أبي ريشة، وعبد الوهاب البياتي هو أكبر

شاعر يمثل الواقعية الاشتراكية، أما فدوى طوقان فهي قيثارة الغرباء في هذا العالم المتوحش. ومحمود درويش شاعر عظيم خلاق سيبقى شعره مرايا من الدم يرى الغرباء وجوههم فيها تحت القمر الغارب. أما كامل الشناوي فهو العقل الشعري المرح والحزين معاً، لكلماته ضوء منغوم في ظلال عطر لا مرئي، ومأساته أنه عاش الموت وهو يحب، وعاد إليه الحب في المغيب. إنه شاعر غنائي متفوق رشيق العبارة.

مازن: معارك تشرين التحريرية هزت وجدان كل عربي، هل كتبت شعراً في هذه المعارك؟

الجيار: ٦ تشرين ليس يوماً عادياً. بل زمن كامل. لقد وقفنا بشكل لا يدع مجالاً للشك في عظمة وبسالة المقاتل السوري والمصري هذا اليوم هو ملحمة الملاحم وكل التجارب الشعرية التي كتبت فيه لا تتسلق غبار عاصفته المعجزة ولسوف يسفر المستقبل عن معجزات شعرية تتساوى مع التجربة.

مازن: هل استلهمت شخصية قائدنا الفذ ـ قائد معارك التحرير في الجولان وبطل تشرين؟

الجيار: لقد كتبت هذه القصيدة وأهديتها لأسد سورية العربي سيادة الفريق حافظ الأسد :

إلـــى أسد سورية

وأشعر أني سعدت شبابي
لأن دمشق استعادت صباها

وكل الوجوه التي فارقتني
مع الموت يوماً أعود أراها

هجرت المصابيح في عزلتي
وأشعلت بين الحنايا هواها

نسيت الأغاريد وهي فضول
على الصمت لما سمعت صداها

أيا أمتي في بلاد العقيق
ويا دمعة الماس فوق دماها

دمشق مخابئ جرحي الدفين
وعيني إذا ما فقدت سناها

فلبيك لبيك يا إبن الأسود
إذا ما جعلت الجراح شفاها

مسكت لنا راية من دماء

تعيد إلى كل أرض دماها

ورأس الحسين الذي ضاع منه

تواصل بالجسم فخراً وتاها

أيا حافظ العهد أنت السلام

وأنت الحياة إلى منتهاها

وقلت للشاعر محمد الجيار:

ما هو أجمل ما قلت في الحياة؟

– أجاب الجيار بعد صمت.. وذهول.. الحياة هي أن تعيش حراً في وطن حر.

وأحلى ما كتبت في الحب؟

– لو لم أحبك .. لما كان معنى لحياتي وشعري.

وأحلى بيت من الشعر كتبته ؟

– هجرت المصابيح في عزلتي وأشعلت بين الحنايا هواها

ومن هو الصديق في نظرك؟

– الصديق هو الذي يبكي علي وليس هو الذي يضحك مني.

• أروع ما قلت في مصر؟

- يكفي أنها بلدي، وأنا ولدت فيها.. إنها أم الدنيا.

• هل تعبت؟

- تعبت جداً.

• من أسئلتي أم من أشياء أخرى؟

- من الحياة.

• لماذا؟

- لأن الحياة لم تعطني حقي من العيش الكريم وهدوء البال.

• وما أنت فاعل؟

- أنتظر هطول المطر.

القاهــرة ١٩٧٤

الشاعر هارون هاشم رشيد



أصبحت الكلمة بندقية انتصار تفتح الطريق

أمام الشعب الصامد العائد

هارون هاشم رشيد

الصف الأول مات

الصف الثاني

داسته الدبابات

الصف الثالث

أكلته الغارات

الصف الرابع

والخامس

آت آت

الشعب

السيل الجبار تدفق

من كل الجهات

من في هذا العالم لا يعرف قصيدة راجعون قصة الغرباء عن أوطانهم

ومن منا لم يسمع أو يعرف الشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد ابن قطاع غزة المناضل

ارتفع صوته في البدء يحكي قصة العودة إلى فلسطين إلى غزة وحيفا ويافا والجليل، وكل تلة من تلال فلسطين وروابيها، إلى غابات الزيتون وحواكير القرى، وحقول العنب والتين، وغناء الصبايا والفتيان على صوت مزمار الدبكة والآوف والعتابا والميجانا.

وجاء الخامس من حزيران "يونيو" ١٩٦٧ وبدل الأماني، وزاد جراح الغرباء من جديد.

العدو سلب ما تبقى من الأرض والوطن، وأصبحت عودة الغرباء لا تأتي بالتمني والغناء والبكاء على الأطلال أصبحت العوده هي الرشاش والبندقية والقنابل والفدائي يقتحم الحدود إلى وطنه؟

أصبحت الكلمة بندقية انتصار تفتح الطريق أمام الشعب الصامد العائد ومن الذين حملوا الكلمة ورسالتها الشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد حيث فتح لنا قلبه في هذا الحوار.

- قلت للشاعر ما الفرق بين الشاعر هارون هاشم رشيد قبل ٥ حزيران يونيو ١٩٦٧ وما بعده.

أجاب: لا أستطيع أن أقول أن هناك فرقا بين ما قبل وما بعد ١٩٦٧ ذلك أن القضية هي القضية والالتزام هو الالتزام، الفرق

أن كل ما قلته قبل ١٩٦٧، ودعوت إليه وناديت به اصبح حقيقة واقعة لقد رفضت عام ١٩٤٩في أول قصيدة نشرتها ذل الخيمة والتشرد وناديت في لحظة الأسى والدم برفض كل ما نتج عن الكارثة وصرخت في أهلي بما هو موجود في ديواني الأول " مع الغرباء " أن يلتئموا ويجتمعوا تحت شعار واحد هو " القتال حتى النصر " بتصفحك هذا الديوان تحس أن كل شيء ارتفع عاليا ، بعد ١٩٦٥ وما ناديت به بوضوح وإصرار عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وما بعده يؤكد ذلك .

الفارق أن واقع ما بعد ١٩٦٧ بالنسبة لشعبي كان واقع الممارسة لأول مرة ووضع اليد على حقوق شعب فلسطيني ، يؤديها فوق كل وصاية وفوق كل توجيه.

وما كتبته بعد عام ١٩٦٧ وفي ديوان سفينة الغضب الذي صدر عام ١٩٦٩ و " فدائيون " الذي صدر عام ١٩٧٠ و " مزامير الأرض و الدم " الذي صدر عام ١٩٧٢ عبرت فيها عن مشاركتي ومزاملتي ومرافقتي بالكلمة لرصاصة الفدائي الفلسطيني في معركة الشرف .

وقلت للشاعر هارون هاشم رشيد :

- لقد انطلقت داخل الأرض المحتلة في أول الأمر بعض صرخات اليأس تعبر عن مأساتنا ،إن كان ذلك شعراً أو قصة فهل نستطيع القول أن هذه الصرخات استطاعت أن تؤثر في الإنسان العربي خارج حدود الوطن السليب والى أي مدى؟!

• أجاب : أنا ضد اليأس ، وشعاري الدائم هو رفض الهزيمة وإيماني المطلق بأمتي الكبيرة في تحقيق الانتصار العظيم لهذا فإنني في إبعادي عن أرضي المحتلة بعد أن شاركت في الدفاع عن بلدي غزة فوجئت بموجه الياس متمثلة في شعر متهاو ولا يهدف إلى مواساة الجريح ولكن إلى دفنه .

لهذا رفعت صوتي فورا اعبر عن إحساس المقاتل الذي ناضل ببساله، واعرف الكثير من القصص البطولية التي سجلها مقاتلونا العرب على أرض الفداء والتي كانت صدمة النكسة والهزيمة سببا في طمسها وإرجاء التحدث عنها .

ومهما كانت الأسباب والدوافع التي دفعت أولئك اليائسين إلى أن يسقطوا منهارين ويغرقوا مخذولين في بحر اليأس ، فان قتالاً على " تبة المنطار " ونضالا على تلال سيناء النائية واستشهادا على أبواب العريش ، كل هذا وأكثر منه ، مما سيكشف عنه المستقبل ، يرفض اليأس ويرفض الهزيمة ، وإنني اعتبر أن الصوت الذي يجر الأمة إلى بحر الهزيمة خارج عليها ، وعدو لها ، فأيا كانت الأسباب والمسببات ، فدور حامل الكلمة الشريفة أن يضيء مشاعل الأمل في ظلام اليأس ، وأما التذرع الكاذب والنقد الذاتي لنفث سموم اليأس ، فهذا مرفوض أصلا وموضوعا إن كان من داخل الأرض المحتلة أو من خارجها .

• الواقع أن شعبنا العربي الفلسطيني لم ييأس منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا والدليل على ذلك ثباته واستمراره في حمل الأمانة " القضية " رغم كل المصاعب والأهوال التي لحقت به في الداخل والخارج وها هو الصوت الفلسطيني المقاتل يؤكد هذه

الحقيقة حيث تقول أنت يا مازن في ديوانك الشعري " الجرح والهوية "

" قم أيها المشرد

واكتب الحب بالسكين

ليس الحب

أن تنوح وتبكي

وأنت مشرد

الحب أن تقبل الأرض

حتى تتحرر "

إذن أستطيع القول أن هذه الأصوات الرافضة لليأس والهزيمة هي كثيرة في صفوف العرب ولا يمكن لليأس أن يدخل إلى النفوس الثائرة .

نعم وبكل تأكيد شعبنا لم يعرف اليأس ، بل أنه شعب عنيد وصامد وقهر اليأس والخذلان أكثر من مرة ، والشاعر الذي يرفع صوته عاليا في وجه اليأس إنما يعبر تعبيرا صادقا عن إصرار الشعب .

- سؤال آخر :
- تفضل :

- هل تعتقد أن ضياعنا الفكري الذي نعيشه هو نتيجة ضياع الهدف وعدم وضوح الرؤية ،أم أن هناك عوامل أخرى مجهولة فما رأيك ؟؟ .

- أنا في اعتقادي أن الضياع الفكري لهذا الوطن الكبير هو نتيجة طبيعية لما يفرضه الضياع السياسي على الإنسان العربي من اضطهاد وبلبله وسجن لذاته ، فالهدف واضح ولكن غير الواضح هو الوسيلة والأسلوب والمنهج .

إن الأمة العربية منذ قديم الزمن تنتصر إذا كانت " الوحدة " وتهزم إذا كان " التخلف والتمزق " والوحدة في الدرجة الأولى هي وحدة اللقاء الحقيقي في الفكر الذي يحدد الهدف فيجعله عقيدة يسقط في سبيل تحقيقها الشهداء ، فيصنعون الطريق ويعبرونها أمام الأجيال ، ولا وحده بدون وحدة الفكر ولا انتصار بغير وحدة عسكرية وسياسية بين العرب .

وقلت للشاعر هارون هاشم رشيد :

- لقد حملت هموم أمتك في شعرك وغرزت صرخاتك العالية في كل الأعماق عندما أنشدت " للأوطان راجعون " هل هذه النبرة " راجعون " مازلت تهدر بها بعد أن ضاعت بقية الأرض ، وبماذا استبدلت كلمة " راجعون "

أجاب : إنني مازلت وسأظل أردد هذا النداء الذي كان مرفأ الأمان لهموم أتطلع إليها وأنا اضرب وجه الأمواج العاتية في طريق مسيرة الأسى

والحـزن ، " وراجعـون " اليـوم كمـا بلورهـا شـعبي ، تهـدر بفوهـات البنـادق ومـن بطـولات الصمـود ، ومـن بسـالة المقاتلين ، وهي عقيدتي إذا كان لي أن أحدد هذه العقيدة ، وهـي مذهـبي إذا كنـت أحـدد هـذا المبـدأ ، وهـي شـعاري وسأظل ارفع هذا الشعار " للأوطان راجعون "

وقلت للشاعر : بماذا تحس عندمـا تسـتمع إلى هـذه الأبيات التي كتبتها أنت :

" صوتي رصاص لا يكل

قنابل صوتي مدافع

" إني فدائي وحسبي

ان تكفنني وتحتضني المرابع "

أجاب : هـو ليـس صوتـي فحسـب ، هـو صـوت الشعب الذي نذرت لـه كـل نبضـه في عروقـي ، وبـه بهـذا الصوت الذي لا يكل تحدد مسيرة الشعار الذي ارفعه وهـو شعار العودة والتحرير .

وقلت للشاعر بمـاذا تحـس عندمـا تسـتمع إلى هـذه الأبيات من الشعر التي كتبها الشاعر الفلسطيني توفيق زياد :

" كأننا عشرون مستحيل

في اللد والرملة والجليل

هنا على صدوركم باقون كالجدار

وفي حلوقكم

كقطعة الزجاج .. كالصبار

وفي عيونكم

زوبعة من نار"

- لاشك إن توفيق زياد عبر تعبيراً صادقا عن مشاعر الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة، أولئك الأبطال الذين يقاومون المحتل بصدورهم وحجارتهم وبدماء أطفالهم حتى لا يرحلوا عن الوطن الحبيب إن فلسطين هي أرضهم وهي زادهم ومهما كانت المأساة حادة وعنيفة فان صمود الأهل هو الأقوى والأبقى .

من المستحيل أن يرحل الشعب عن أرضه ، لأنها شرفه .

- يقول الشاعر محمود درويش في قصيدة له :

" سجل برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد ..

ولكني ..

إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذار ..

حذار من جوعي

ومن غضبي"

- هل تعتقد أن هارون هاشم رشيد استطاع من خلال شعره أن ينقل الحقيقة والمأساة داخل الأرض المحتلة إلى عواصم العالم الكبرى .

- نعم قمت بمجهود لا بأس به في هذا المضمار فأشعاري التي كتبتها بعضها أصبح أغنيات على الشفاه من خلال صوت فيروز وراجعون ، ومع الغرباء ، وغير ذلك من القصائد المعبرة عن مأساة الشعب الفلسطيني وحقه في الحرية والحياة والاستقلال ، تلك القصائد استطاعت أن تنتقل إلى عواصم العالم ، هذا بالإضافة إلى أجهزة الإعلام التي نقلت قصائدي من خلال الإعلام المسموع، أو المقروء أو المكتوب أيضاً .

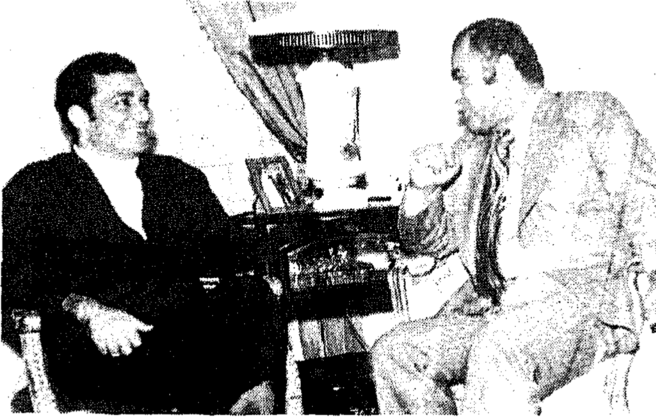
- وقلت لهارون ، أين يقف هارون هاشم رشيد في صفوف الشعراء العرب .

- أقف في صفوف المقاتلين بالكلمة والقصيدة دفاعاً عن أمة العرب المهم أن يكون صوتي مؤثراً وفاعلاً وصادقاً ومؤمنا بالقضية التي أناضل من أجلها .

القاهرة ١٩٧٤

الشاعر فاروق شوشه

دمشق حنين فوار في دمي لا يهدأ



المؤلف مع الشاعر فاروق شوشه

حوار مع الشاعر ...
فاروق شوشة ..

من خلال صوته وحنجرته عرفه المستمع العربي في كل مكان ، عرفة من الشعراء الشباب ، وفرسان الكلمة الجميلة التي تدخل إلى القلب دون استئذان .

يعرفونه في مصر العربية إذاعياً ناجحاً ، وشاعراً خلاقاً لا يكتب الشعر وينفعل فيه ولـ . ، إلا من خلال الأحداث التي تهز وجدانه .. إنه الشاعر فاروق شوشة .

قلت له : ما هو دورك كشاعر عربي ترك بصماته في كل أذن عربية تعشق الشعر ، وما هو تقييمك للشعر بعد حرب أكتوبر (تشرين ٧٣) ، هل أدى دوره المرتجى ؟

- خلال حرب أكتوبر أتيح لنا ميلاد جديد ، أتيح للإنسان وللفنان ، نبض جديد حار متدفق . إن كابوس الهزيمة واليأس والمرارة ينزاح بضربة واحدة ، مفاجأة لن نهيئ لها أعماقنا أو عقولنا ، وأصبح علينا أن نعيد النظر في أنفسنا أولاً ، وفي كل شيء حولنا . وأن نرى الأشياء بعيون مختلفة وتذوق جديد وفهم مغاير . تسأل عن الدور وهل أدى دوره المرتجى ؟.. وما هو الدور المرتجى ؟.. لقد أدى المدفع دوره ، وأعظم القصائد هي التي صنعها مقاتلونا وشهداؤنا الأبطال في سيناء والجولان ، هذا هو أصدق الشعر وأعظمه ، أما ما تفجرت به حناجر الشعراء العرب فهو التعبير التلقائي الفوار ، المواكب لضربة المفاجأة،

وإيقاع الحدث ذاته . أما الشعر الحقيقي عن حرب أكتوبر فهو لم يحن بعد ، ورأيي أنه يمر الآن بمخاض حاد عميق، وجدان الشعراء ليست من الآلية بحيث تتحول بين يوم وليلة إلى مواليد فنية وشعرية، لابد من بعد زمني تختمر خلاله الأشياء والمواقف ، والصور والعلاقات الجديدة حتى يولد من جوهرها فن جديد حقيقي وفي هذه اللحظة سيكون العطاء بحجم الحدث ، مسرحاً شعرياً ناضجاً وأعمالاً روائية كبيرة .

– يقال عنك بأنك لا تكتب شعر المناسبات إلا بما يحرك وجدانك القومي ، هل هناك حوادث معينة جعلتك تروي قصتها شعراً بعد معارك رمضان ؟

• أروع هذه اللحظات جميعها وأخلدها ، هي اللحظة التي شهدت رفع العلم المصري والسوري على أرض سيناء وقمم جبل الشيخ ، بعد أن تمزق العلم الإسرائيلي وداسته الأقدام ، لقد فجرت هذه اللحظة في نفسي بكل ما ترمز اليه نداء حياة جديدة ، وآفاق حاضر جديد رائع .

قلت في المناسبة :

أحبك

فوق ترابك يغمرني الشوق

أخشع ، أدنو

و قد أتكور فوق يديك شهيدا

و أغفو

تطلين نورا علي و فجرا

و يمنحني شاطئك امتدادا

و راء حدود الزمان ،

وراء حدود المكان ،

كأني تخايلت فوقك دربا

تمر عليه القوافل ، تسعى

كأني انتصبت جداراً منيعا و سدا

كأني تلاصقت في حضن من غاب

أحبابنا و الشهيد المضرج ،

و الأمل الأخضر المرتقب

و رايتنا ركزتها السواعد في جبهة الشرق ،

يكبر من حولها أمل العائدين

يعودون ..

ينبطحون عليها ، يغمرون وجه

ثراها المندى

تكبر أفواههم بالصلاة ،

يضمونها في خشوع المحب ،

و في لهفة العاشق المستهام ،

يعودون ،

و قد عصف الشوق

و طالت ليالي البعاد ،

و غاصت أصابعهم في التراب ،

المفدى .

يتدلى وجه الليالي نهارا

تفجر صمت السنين انتصارا .

— زملاء الحرف يقولون عنك بأنك من أجود الشعراء العرب و من أكسلهم و أقلهم إنتاجاً بماذا سترد على هذا الاتهام ؟

• لست أعتبره اتهاما ولكن اعتبره وصفا صادقا ، والوصف الصادق لايرد عليه و أنا أعترف فعلاً بهذا الكسل الذي لازمني سنوات طويلة ، لم يكن فيها إخلاصي للشعر كاملاً ، لكن أستشعر الآن أنني أعود إلى نفسي ، و إلى الشعر، و ربما كان صدور مجموعتين شعريتين جديدتين لي في عامين متتاليين هما العيون المحترقة (بيروت ١٩٧٢) ، و لؤلؤة في القلب (القاهرة ١٩٧٣)، و ربما كان ذلك دليلاً على صدق عودتي إلى الشعر ، واعتذاري عن هذا الكسل الذي وصفتني فيه .

– اتهام آخر يقول ، بأنك بعيد عن التحسس بالعمل العربي الموحد و النضال القومي و لم تلمس أحداث الوطن العربي الهامة بريشتك ، بماذا ترد ؟ . . .

● النضال القومي الذي يثيره سؤالك ، لم يعد محدداً بشعارات عامة زائفة، أو بمقاييس خطابية مجللة ، بل هو في صميم السلوك اليومي ، و المواقف الجزئية للمواطن العربي إزاء ما تمتلئ به حياته من متناقضات . و لست أؤمن في التصميم في الفن ، أؤمن فقط بإنسان يمارس حريته من خلال الجزء المرتبط داخل دائرة الوعي و المصير بالكل ، و من هنا فإني أعتبر أن تجاربي الشعرية جميعها، حتى ما يبدو منها ذاتياً زاعقاً ، تجارب في النضال القومي بالمعنى الذي تريده من سؤالك و تقصد إليه .

– أنت تحب دمشق ، و سورية كلها تحبك كشاعر عربي ممتاز ، ما هي انطباعاتك عن صمود أهالي دمشق خاصة وسورية عامة ، وهل بادلتها حبها ببعض انتاجك ؟ . .

– دمشق ، حنين فوار في دمي لايهدأ ، إذا كانت لدمشق مكانة خاصة في وجدان كل مناضل عربي فلها في نفسي أنا منزلة مضاعفة ومكانة مزدوجة ، لقد دخلت دمشق قلبي ، وتربعت عليه منذ لقائي بها لأول مرة في يناير ١٩٦٠ ، إبان الوحدة وقتها عرفت وجوه الأحباء فيها ، وطعم لياليها ، وحكايات مقاهيها ، ولون أزقتها وحواريها ، وعالمها الحقيقي الباطن ، وفي المرة الثانية أتيح لي أن أشهد تجربة الانفصال فيها في سبتمبر ١٩٦١ ، ولم تزدني التجربة إلا حباً لدمشق وإيماناً بها وتطلعاً إليها .

و لقد سجلت مشاعري إزاء دمشق في تلك الفترة في قصيدة لي بعنوان (إلى مسافرة)، أسميت من أجلها مجموعتي الشعرية الأولى بهذا الاسم و كتبتها في ظل توحدي الحميم، و اتصالي المتوهج، بدمشق قلعة النضال و قلب العروبة النابض.

- لماذا اخترت الشعر الحر في كتابة قصائدك؟..

● الشعر الحر، أو الجديد، أو شعر التفعيلة، هذه كلها مسميات لشيء واحد، هو الحساسية الشعرية الجديدة لروح هذا العصر و إيقاعه، و نوعية تجاربه، و هذا الشعر الجديد هو خطوة تطورية في مسيرة القضية، تتيح لي بنص المعاصرة، و انفتاح الحداثة، و طعم العناق الحميم من واقع الإنسان العربي اليوم. و لقد نجحت حركة الشعر الجديد في إيجاد مصطلح جديد للشعر العربي و منطلق جديد للقصيدة العربية و للشاعر العربي معاً، دون انقلاب في جذور الوجدان الشعري العربي، و تقاليد الشجرة الشعرية في جذورها الراسخة الصغيرة.

- أنت.. هل خرجت عن الشعر الكلاسيكي من حيث الشكل أم من حيث المضمون أيضاً؟..

● الشكل و المضمون وجهان لعملة واحدة للشعر الجديد، و كل تحرر لا يلمس الجوهر، هو زخرفة و بهرجة و تزويق و فهمي للشعر الجديد أنه دفق شعوري عارم، و خمر جديدة تتلمس آنيتها الجديدة، و قد وجدتها بالفعل.

- ما هي المشاكل التي تعترض الأدب، و بشكل خاص الشعر الحديث بأن يدخل قلب و عقل الجماهير؟

● لقد اعتادت الإذن العربية خلال القرون المتتابعة أن ترتاح إلى الموسيقا النمطية التي توفرها لها إيقاعات الشعر التقليدي، و تبيان القصيدة العربية التقليدية، و استراحة القافية في ختام البيت الشعري. من هنا كان لا بد لهذه الأذن العربية، و الوجدان العربي في الأساس، من مسافة زمنية واسعة يعتاد فيها ضروباً موسيقية جديدة، و تنويعات لحنية و إيقاعية جديدة، أو جدها الشعر الجديد، أو الشعر الحر. و الأمر معقود على وسائل الاتصال بالجماهير من إذاعة و صحافة، و التلفزيون و المسرح أساساً في توصيل نتاج هذه الحركة الشعرية الجديدة و ثمارها إلى الناس، والإلحاح عليها مثل إلحاحها و إخلاصها للشعر التقليدي، والمستقبل للحداثة والمعاصرة وحدهما..

– الأدب العربي المعاصر، و خاصة الشعر منه، هل خرج من دائرة الحدود الضيقة إلى دائرة القومية أم لا ؟..

● الأدب هو في صميم الدائرة القومية بالرغم منه ـ شاء أم لم يشأ ـ حتى هؤلاء الذين نظنهم كباراً بعيدين عن النبض القومي. إن القضية العربية ربما لها من حتمية المصير، و حتمية الوجود اليومي الحار و قد فرضت نفسها فرضاً على تفاصيل الحياة و نثرها المتناثر، بحيث لم يعد هناك مفر من مواجهتها من خلال مواجهة النفس أولاً و أخيراً.. و نحن الآن نعيش عصر التعبير القومي في كل ما نتنفسه، و في كل ما نكتبه، حتى وجه الحبيبة، و لون عيونها، و شحوب انكساراتها لم يعد لها معنى أو دلالة، إلا في إطار هذه الحقيقة القومية الوحيد، حقيقة المعنى الإنساني لوجود الأصيل، غير منفصلة عن العصر أو التاريخ.

● إذا كان أمامك سنوات ٤٨، ٥٦ ، ٦٧، ٧٣، بماذا تعلق عليها شعرا ؟ ..

- أترك هذا التعليق للمؤرخ الذي يتعامل مع السنوات وولادتها و حسبي أني أعيش الآن بكليتي بعد عام ١٩٧٣ ، لقد غسلت سنة ٧٣ عار مقلتيها ، و كان لها الفضل في كشف الأبعاد الكبيرة لما وراءها أو لما بعدها ، و أنا كشاعر أوثر أن أرتطم بالمستقبل عن التلكؤ لاجترار وقائع الماضي ، و إخلاصاً لهذا المعنى، فإني أسمح لنفسي بقدر من التنبؤ عندما أتصور سنة قادمة لن يطول انتظارها ، و سوف تغفر طول انتظارها، الذي امتلأ على مدار حقبة طويلة من الزمان غصصاً و مرارة ، و كآبة. لهذه السنة القادمة وحدها تطلعي و توجهي و انتظاري ..

● من هم فرسان الكلمة من شعر و أدب و قصة في مصر العربية من الشبان الآن ؟ ..

- قد لا يكونون فرساناً في نظر الكثيرين ، لكنهم فرسان بحجم العوائق التي يجتازونها ، و ضراوة الواقع الذي يحاولون اقتحامه و تغييره و الإنفلات من شراكه، و عظمتهم تكمن في نبل تضحياتهم و قوة تماسكهم و تساندهم و صدق إيمانهم واندفاعهم ، و لست أريد أن أسميهم ، فالقارئ يعرفهم و يعرف أنهم لم يستسلموا و لم يزهقوا ، و لم يخافوا ، و هو يطالعهم حيناً على صفحات المجلات الأدبية أو من خلال مؤلفاتهم و ما أقلها ، و لكنه يعرفهم على وجه اليقين بعلاقة مميزة واحدة هي أنه يرى فيهم نفسه ، و حقيقة واقعه و حقيقة مشكلاته وتطلعاته ، وما أروعها علامة مميزة .

● لغتك الجميلة ... ماذا أعطتك ، و ماذا أعطيتها من جديد من خلال برنامجك لغتنا الجميلة ؟ ..

– الحديث عن لغتنا الجميلة ، حديث الإنسان العربي ، من خلال الحرف العربي و إبداعاته ، على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان . و لعل المشكلة الرئيسية في هذا المجال ، هي خلو تراثنا العربي من المختارات و الاختيار ، و التي تقدم لنا عبر العصور نماذج لأوراق ، و ألواناً لثقافات و عقول ، و صوراً لاهتمامات كل عصر ، و كل من يحاول الاختيار و التنقيب اللهم إلا نماذج محدودة وضئيلة من هذه المختارات أهمها .. الحماسة ، لأبي تمام ، والكشكول للعاملي و زهر الآداب للحصري ، و مختارات البارودي و أخيراً ديوان الشعر العربي لأدونيس .

هذه المختارات لا تشكل في مجموعها إسهاماً حقيقياً في التعريف بكافة ألوان تراثنا العربي ، شعره ، و نثره ، و لا في الإرشاد إلى ينابيعه الأصيلة و دوره الكامل .

و من هنا كان بين أهداف لغتنا الجميلة كبرنامج إذاعي أن يسد جوانب هذا النقص الكبير الذي نستشعره كلما سئلنا عما يجب قراءته و الاهتداء به في هذا الخضم الهائل الذي يسمى تراثنا العربي وما أعظمه من تراث .

و بهذه المناسبة يسعدني أن أذكر أن كتاباً بعنوان لغتنا الجميلة و يضم مختارات مما قدم البرنامج خلال سنواته الست الماضية ، هو الآن على وشك الصدور في بيروت في صورة مجلد كبير هو الحلقة الأولى من المختارات التي تضمها مكتبة البرنامج و قد روعي في تصنيفها و تبديلها لئلا تخرج عن الطابع العام للحلقات

ذاتها في بساطتها و تلقائيتها و تنوعها و بعدها عن التعقيد أو التقصير . و خلوها من طابع التعليم و التوجيه بحيث تعطي في نهاية صورة واحدة متكاملة في لغتنا الجميلة بين الماضي و الحاضر ، وبين القديم والجديد ، بين الجمال و أسرار البلاغة و ثورة الأسلوب وتجديد المجددين بين واقع هذه اللغة و مشكلاتها المعاصرة مع ألفاظ الحضارة و مصطلحات العلوم ، بين صورتها الأولى المكسوة بطابع الصحراوي و صورتها الحديثة المكسوة بطابع المعاصرة و القدرة على الاتصال والاتساع لروح العصر و منجزات الحضارة و حصاد حركة الترجمة و التفاعل مع اللغات الأجنبية أخذاً وعطاءً ، غنى وكثافة .

و العبرة التي تستخلصها من هذا كله أن لغتنا الجميلة ظلت عبر القرون الطويلة صامدة ، نابضة بفضل انفتاحها المستمر على الحضارات و الثقافات واتجاهها الدائم إلى المستقبل ، و انها كانت تفقد حيويتها و جديتها و نبضها عندما يتوقف أصحابها على الجديد الذي تزخر به حياتهم ، و ينغلقون على أنفسهم مضغاً و اجتراراً ، وعندما يصبح الماضي هو مثلهم الأعلى المقدس، تتجه إليه رؤوسهم ، دون أن تتجه إلى حيث الغاية الأصيلة و الهدف الطبيعي ، أي المستقبل، فلنحاول دائماً أن نعي هذا الدرس الهام ، أن نقترب من تراثنا العظيم حباً و تذوقاً و فهماً و تأملاً ، دون أن نقع في أسر عبادته و تقديسه و الوقوف عند حدوده و أطره و آفاقه و إلا أصابنا الجمود و الموت و التخلف ، و لنحاول دائماً أن نجتاز هذه المعادلة الصعبة بين الحداثة و المعاصرة ، و نحب تراثنا و نتذوقه ، و لكن على ركائز ثابتة من التراث .

و بهذين الجناحين معاً ، التراث و المعاصرة ، يحلق الأدب العربي المعاصر في مجالات التعبير الأدبي شعراً و قصة و رواية

ومسرحية ، و تنبض لغتنا الجميلة بأصالة الحرف العربي و وعي الواقع الجديد و الحساسية الجديدة و الوجدان الجديد.

القاهرة ١٩٧٤

القاص سليمان فياض

خاصة الثورة الحقيقية في بلادي مصر



المؤلف مع الشاعر فاروق شوشه
والأديب سليمان فياض وموفق النقيب

حوار مع القصاص ..
سليمان فياض ..

القاص سليمان فياض ، أحد كتاب القصة العربية المرموقين ، ومن الذين تركوا بصماتهم فوق الشفاه و العيون ، ومن قصصه تقرأ الجديد و المشوق و الهادف ومن الأدب العربي الذي يخدم قضية ما ...

من هو سليمان فياض ؟ ...

- على المستوى المصري ، من أبناء البرجوازية الريفية المتوسطة ، عاش ١٣ سنة بالقرية ، و بقية أعوامه متنقلاً بين القرية والمدن في مصر ، في السعودية، في الأردن ، و في سوريا و لبنان مقيماً للعمل ، أو زائراً عابراً ، ثم استقر به المطاف ، إن كان له أن يستقر في أيامنا ، بالقاهرة ، تعلم بالمدرسة الأولية المصرية، ثم حفظ القرآن بالكتاب ، ثم واصل تعليمه بالمعهد الديني الابتدائي بالزقازيق ، والثانوي بالمنصورة ، حتى خرج من كلية الدراسة العربية بالجامعة الأزهرية بالقاهرة ، عمل بالصحافة بالقاهرة بمجلات : الإذاعة ، و البوليس ، و الشهر ، و الكاتب ، والمجلة، و الأقلام ، والموقف الأدبي ، و الهلال . و معظمها نشر بالآداب و أذيع من البرنامج الثاني بالقاهرة . نشر خمس كتب بينها أربع مجموعات قصصية هي : عطشان يا صبايا (١٩٦٦) ، وبعدنا الطوفان .. (١٩٦٨) ، نشرتا بالقاهرة وأحزان حزيران (١٩٦٩) ، والعيون (١٩٧٢) ، نشرتا ببيروت ، وبينها رواية قصيرة بعنوان أصوات

(١٩٧٢) ، نشرت بالعراق . ثم هو كاتب إذاعي محترف احترافه للتدريس ، وكلا الاحترافين لا اختيار فيه ولا حرية ، كلاهما ضرورة مادية للعيش أما القصة فهي هوايتي ، بل ذاتي : عالمي الداخلي والخارجي معاً ، اقترب منها كلما استنفذت شيئاً لنفس من مركب غارقة ، أنحيها عن كل تنازلات شخصية في حياتي اليومية ، أحميها من كل خضوع لأية رقابة ، أو أعرف شأنها معي شأن إنسان يكتب مذكراته ويومياته ، أنشرها كلما وجدت فرصة للنشر بمجلة ، أو كتاب ، في بلد أو مناخ ، ولو خارج وطني الصغير ، تتوفر فيه حرية النشر لها . كما تراني إنسان محاصر تحيط به الجدران ، بل تتجاذبه الحبال من كل جانب ، لست وحدي ذلك المحاصر وليس قدري الخاص بي . إنه قدر كل المبدعين في جيلي والجيل الذي جاء بعد جيلي ، بل قدر كل عربي بعد الحرب العالمية الثانية ، في الظروف التي يعيشها العالم العربي ، محاصراً بدوره ، للمرة الكذا ، خلال عشرة قرون وهذا الحصار هو المعنى المحوري الذي تدور حوله قصصي .

متى بدأت كتابة القصة ؟ وكيف قدمت إلى القراء ؟

– لم يكن هناك تقديم ما ، بمعنى التعريف ، كل ما حدث أني كتبت قصة رومانسية عام ١٩٥٤ بعثت بها إلى الآداب فنشرت ، مع رسالة تشجيع من رئيس التحرير ، الذي كان أكثر احتفاء بالنشر للكتاب الجدد ، مما هو الآن وللآداب ، أدين الكثير مما حققته من استمرار للكتابة القصصية بصورة لم يستطع فيه كوني مدرساً ، أو كوني كاتباً إذاعياً ، أن يقضي أحدهما على إبداعي تماماً ، أو يجهز على تحقيقي وروحي . أما متى بدأت أكتب القصة ، فقد كان ذلك قبل تاريخ نشري لأول قصة بالآداب ، بأربع

سنوات ، وكان ما كتبته رومانسية ، مراهقة ، مضموناً وفناً ، عشر قصص لم تنشر إحداها ، كتبتها في ذلك الوقت ، وكان هذا من حسن حظي وحظ ا لقراء معاً .

- أنت في جمهورية مصر العربية بدأت تترك بصماتك في كل العيون التي تقرأ الأدب وتتابع الجديد والمشوق والهادف ، لماذا لم تخرج بعد عن دائرة القطر المصري، إلى دائرة الوطن العربي كأديب قصاص ، يقرأ له الجميع ويعرفه الجميع ؟..

- ثمة فرق بين قراء الكاتب ، وجمهوره ، بالأول أقصد القارئ العام ، والثاني أقصد القارئ الخاص الذي يشكل جمهور كاتب بعينه . أزعم أن بين ما أكتبه ، وبين هذا القارئ الخاص ، علاقة طيبة ، وبالذات بين المثقفين عموماً ، والمبدعين منهم بصفة خاصة ، أما ذلك القارئ العام الذي يشكل السواد الأعظم من قراءنا في الوطن العربي ، فقد عجزت نسبياً عن الوصول إليه ، إنه كالفراش يتساقط على مصادر الضوء الأكثر سطوعاً ، وليس الأكثر دفئاً ، والأكثر قدرة على دفع جلسة للتأمل والاستجابات الواعية وغير الواعية ، إنه كتاب الصف الثاني والثالث المثيرين للعواطف والمدغدغين للحواس ، بالمبالغات والبهرجة ، والمغامرات المتخيلة عن المجتمع ، الكاتب يجلس إلى مكتبه ، منعزلاً في صومعته ولا يحسن الاستفادة في أدبه من تجاربه وعلاقته لنفسه وللآخرين ، وذلك كله في النهاية كسب لي فيما أعتقد لأنه الأكثر التصاقاً وتأثيراً في الأجيال المقبلة ، وضربة حظ أن يكون لكاتب ما أمل في الوصول إلى هذه النتيجة ، ولو بشعوره أنه يسير على دربها ، وإذا كان القارئ يوجد عادة حيث يوجد نشر ، وحيث يوجد توزيع لما ينشر من كتاب أو مجلة ، فإنني أزعم أنني موجود كأديب وقصاص ، على مستوى

القارئ العام المتاح لي ، بل والجمهور الخاص بي وبمن مثلي في دائـرة الوطن العربي، أكثر من وجودي في دائرة ا لوطن العربي الصغير ، إن أكثر ما نشرته من قصص كان بمجلة الآداب ، وتوزيعها محدود بالقاهرة ومقطّع ، وثلاثة كتب من بين خمسة لي ، قد نشرت بالشام ، وبالعراق ، وأنت تعلم أن التوزيع أكثر ، والقراء أكثر ، بالعراق، وبالشام والجزائر وحتى بعدن والكويت ، منهما بمصر لأسباب يطول شرحها الآن ، قد نختلف عليها ولكن نتيجتها مؤكدة أني أكتب أساساً بلغتي ولكنني لا أخفي عليك شعوري بالغربة في وطني نتيجة لهذه الهجرة الصغيرة بقلمي، ونتيجة لأنني لا أجني أية ثمرة اجتماعية في وطني ككاتب ، كان ينبغي أن ما يكتبه تاريخاً له ، ورصيداً حيث يعيش أولاً ، كتبت عن حياة مصر ، ومن رؤية مصري لناس مذاقها مصري أولاً ، ولا أستطيع الوصول إليها خارج دائرة زملائي في الإبداع ، إلى معاصري من المثقفين المصريين.

- وزارة الثقافة في مصر العربية جعلتك تتفرغ لكتابة قصة طويلة تحكي عن الريف المصري ، هل انتهيت من كتابتها أم لا ؟..

• لا ، كتبت نصفها ، جزأين منها ، مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ولم أنجزها في عام التفرغ ٦٦-٦٧ ، والسبب ، ضآلة راتب التفرغ عن الوفاء بمطالبي العائلية ، كثرة المد والجزر في الحركة الثورية بمصر ، والاتجاه يمنة ويسرة من آن لآخر ، ومفاجأتي بحادث هام يفجر في روحي شعوراً بالأمل الثوري ، ويجعلني أعيش أياماً في وهم التغير والحركة الثورية ، ثم أكتشف أن تحليلي ورؤيتي السابقين كانا دائماً صائبين ، وتؤكد الأحداث التالية من تقدمات على صعيد المبدأ والشعارات ، ومن نكسات على صعيد الواقع والتطبيق صحة هذا التحليل ، وتلك الرؤية وأنا أديب ، كائن منفعل

قبل أن يكون سياسياً ، هذا الاضطراب المادي والروحي لم يجعلني أنجز من روايتي (الخروج من الطين) الواقعية في موادها الخام والأسطورية العوالم والشخوص ، والرومانسية المواقف والأحداث كما يعيشها الناس وليس كما أتخيلها أنا ، أصابني بالقصور عن الإنجاز الكامل للرواية و لم أجدد التفرغ ، لصعوبات الحصول على موافقة التجديد من وزارة التربية والتعليم ، ذلك أن عام التفرغ ظللت أجري وراء الحصول عليه ، لا من وزارة الثقافة ، فقد نلته بمجرد تقديمي لبعض أوراق ، وإنما من وزارة التربية ، التي رفضت الموافقة مرتين ،

مرة بحجة أن بقية اليوم بعد التدريس تكفي للكتابة ومرة بحجة أن الوزارة ليست مسؤولة عن كوني كاتباً ، وكان ذلك من وزير لا يرى التدريس سوى أنه قطعة طباشير ولاشيء آخر .

– هل ترى تجربة التفرغ في مصر مثمرة ؟..

• لا ، لقد تاجر القطاع العام في العملية الثقافية فأجهض ثمارها ، و لم يستطع أن يقترب من مثلها ، لأسباب عديدة ، هو أن المسؤولين عن الثقافة في القطاع العام مجرد موظفين ، لا صلة لهم بجوهر الثقافة ولا يرون ضرورة لها أكثر من مجرد كونها وجاهة وأبهة لأصحابها ، شيئاً ثانوياً في أدنى ثانويات الحياة وكمالياتها، والتفرغ يعامل بنفس العقلية في اختيار المتفرغين ، وهو اختيار متسبب، يخضع للعلاقات الشخصية والوجود الشللي ، أضعاف خضوعه للأساس والمقاييس، وفي إعطاء المكافآت الجزية ... وفي الإهمال مطلق لما يتم إنجاز المتفرغين له من أعمال أدبية وفنية وفكرية ، فلا نشر لها ولا كوة واحدة / امامها تنفذ منها إلى الجمهور ، إنها تجربة مجهضة ، ولو

استبدلت صورة تجربة التفرغ هذه بتجربة أخرى هي النشر، والدفع المجزي لما ينشر، ووضع الكتاب والفنانين الحقيقيين في موضع المسؤولين عن قطاع الثقافة، لكان الحصار محققاً لقدر من النجاح، والفائدة الأدبية والفنية في حركة التطور الاجتماعي، بل لو وزعت نفقات الثقافة في القطاع العام للدولة، بأسلوب آخر فصفت وزارة الثقافة نفسها، ومنح عشر ميزانيتها مكافآت إنتاج للأدباء والفنانين والمفكرين، بالنشر للإنتاج وبالدفع السخي عنه، لكان ذلك أكثر فائدة للحياة الاجتماعية والثقافية في الوطن العربي كله، لأن الجسور المتقطعة بين المثقفين والجماهير ستعود للوجود، أقول تعود، لأنها كانت موجودة نسبياً، وأقول تعود وأنا اشتراكي بضرورة كوني كاتباً، غير أنني أعي أن الكيان السلطوي القائم في أكثر الدول العربية، هو كيان رأسمالية دولة، وكل ما أريده هو الوصول إلى قدر من الثمار الثقافية في الإطار الراهن للدولة العربية الوطنية التقدمية.

– من هم كتّاب القصة الجدد في مصر العربية الذين شقوا طريقهم إلى جانبك في هذا المشوار ؟..

• الإجابة عن هذا السؤال تفرض بالضرورة على وجهة نظر، وهذه تعني الاختيار، هؤلاء الكتاب من جيلي الذي أحسست بهم، والذين أثبتت السنوات صدق إحساسي بهم كقصاصين هم، بهاء طاهر، غالب هلسا، أبو المعاطي أبو النجا، يوسف الشاروني، ادوار الخراط، ومن بعد جيلي، أستطيع أن أرى المستقبل بوضوح لهؤلاء، عبد الحكيم قاسم، يحيى الطاهر عبد الله، محمد المنسي قنديل، وربما يغيب عني الآن تذكر فارس آخر، أو أكثر فرسان القصة في مصر.

- أين وصلت في مشوارك الأدبي ؟...

• صدقني ، لقد وصلت إلى أكثر من مأزق ، فأنا حققت بعض الإنجازات لأدبي، وأزعم بعض الإضافات للقصة المصرية تتمثل في ثمن ما كتبته من قصص منشورة ، لكنني الآن أجد نفسي في أكثر من مأزق فني يتمثل في شعوري الذي يتحرك بداخلي كإرهاص زلزال ، بأنه يجب علي أن أكتب ما يعبر عن الحياة في نبضها اليومي ، لا ما يعبر عن رؤية فرد ، أو تيار لهذه الحياة ، وهو مطلب عسير، بتحقيقه يعيش فن الكاتب كما تؤكد لي ذلك تجارب الكتّاب السابقين ، وبالقصور دونه ، يصبح الأدب كسائر الأشياء ، وأديب يعالج السياسة بالقصة ، أو بالشعر ، مفكراً مفلسفاً يخلق للفكر معادلاً فنياً ، مهما كانت درجة تجسيده أو عمقه فسيظل يخاطب الذهن ، يعبر عن رؤية للحياة ، وليس عن الحياة ذاتها ، بكل زخمها ورؤاها ، وحريتها ، سيظل صدى للأحداث الراهنة ، في الأجيال العربية الحاضرة ، صدى لفكر العالم ، أكثر مما هو تعبير عن الواقع المحلي وهو المطلب الأسمى للفن ، والمنفذ لما هو باق ، وإنساني ومأزق في علاقة ما أكتبه بقنوات التوصيل للجمهور ، فلا قنوات تذكر هنا ، في بلدي، من مجلة أو كتاب، على الأقل لنوعية ما أكتبه أنا ورفاقي من فرسان القصة في مصر ، إنني بعد عشرين عاماً من بدء النشر والكتابة ، ما أزال أشعر بنقطة البدء ، أو كما يقولون في التعبير العسكري : محلك سر .

- معروف عنك أنك تكتب أيضاً للإذاعة ، ما هي الأعمال التي قدمتها ، وأثرت بها في الجمهور ؟...

- القليل، القليل جداً، بين ركام إعلامي كثير، ينبغي أن أعترف بهذا الركام، ذلك ما يريدونه، ونادراً ما يوافقون على غيره ونادراً ما تجد إعلامياً فطناً وموهوباً، يتعاون معك لتقديم عمل إذاعي ذي قيمة للجمهور المستمع، الذي حريص عليه أيضاً، لحرمانه من القراءة والكتابة، ومن القدرة المادية التي يشتري بها ما يقرأ، ويتوسل بها إلى الوعي والثقافة والتذوق الأدبي والفني من هذا القليل، إعدادي لأسطورة فرعونية بعنوان كتاب الحكمة برؤية عصرية للأسطورة، تستثمر خامتها الأسطورية، وإن كانت قضاياها لا تبتعد عن قضايا نجيب محفوظ، ومقابلاته الفكرية في قصصه، وإعدادي لقصة (الرغيف) لتوفيق يوسف عواد، وقصة (سالي) للدكتور العجيلي، والأولى أخرجها نور الدين مصطفى، والأخريان أخرجهما بهاء طاهر، وهذا كله كان منذ سنوات بعيدة مضت، قبل أن تتقدم الطبقة الجديدة وتسيطر تماماً على كل شيء حتى على أنفاس الحياة في بيتي، حتى على علاقتنا الخفية، داخل الذهن، بالعالم من حولنا، إن ما يفجر حزني ويسحقني سحقاً هو هذه الضرورة التي تلجئني دائماً، أنا وكثيرين غيري إلى أن أكتب أكثر من ألف صفحة للإذاعة في كل عام، لو كتبت عشرها بنفس العائد لكان ذلك أجدى لي، وللناس جميعاً، وإن شعاري الدائم، هو أن الحياة أهم من الفن، وأنه عندما تضطرب القيم وتتميع العلاقات الاجتماعية، تصبح غاية الفنان الحقيقي في عصرنا، أن ينقذ ما يمكن إنقاذه من فنه، ومن المركب التي تغرق، مركب حياته الخاصة ككاتب متطور، أقول ما يمكن وليس كله، ما يمكن وليس ما يجب ويفترض، لأنه لو أراد واستشهد بالفعل، لتحقيق إرادته، لجرف تسيب وجوده المادي، حياته الفنية والأسرية معاً، وليس من أحد في النهاية مسؤولاً عنهما ولا عن فنه سواه.

- أنت كـــكاتب وقصاص ، هل ترجـــمت معاركنا في أكتوبر إلى عمل أدبي أم لا ؟..

• ليس بالوسع ذلك ، إلا عندما تمضي على التجربة سنوات تصبح معها ذكرى متمثلة ، ومرئية بوضوح وعمق على حقيقتها الخام والبكر في نفس الكاتب، لتنجو من اضطراب الرؤية ، ومن المبالغة ومن روح الدعاية ، بالتأييـد، أو بالاعتراض معاً ، ومن الحدة العاطفية ، وأيضاً من برومة الفكر، وهي أمور مواكبة جميعاً للتعبير الأدبي أو الفني المتسرع عن التجارب القريبة العهد بوعينا ، والتي لم تتسلل بعد ، إلى منطقة الذكرى وتترسب في عقلنا الباطن، إذا أحسنا معايشتها ومعاناتها ، واختزانها ، وتلك هـي مهمة الفنان في حياته اليومية ، المعايشة والمعاناة والاختزان ، لقد كتبت قصص (أحزان حزيران) تحت وطأة الشعور بالنكبة الثالثة في حياتنا إثر حرب ٦٧، وعلى مدى عامين والنتيجة هي: كل الخطايا التي أشرت إليها عن الفن المتسرع ، التي لم ينتج عنها سوى قصتي زيارة في الليل ، المنشورة بهذه المجموعة، وهي ليست عن حزيران وإنما عن الإنسان العادي الذي أثمر عجز وجوده ، وعنته في ذلك الحين ككائن حي يصارع من أجل البقاء ، بل لا يصارع ويترك الأمر لمالكه وولاة أمره وسوى قصتي الأخرى (العودة إلى البيت) وهي ليست ضمن قصص (أحزان حزيران) وبدت هذه الأحزان ، لي ولغيري كتجارب وتدريبات للوصول إليها ومتى ، بعد نشر أحزان حزيران بالفعل ، وبدافع إغراء الآداب لي لجمع قصصها في كتاب ، وقد نشرت هذه العودة في كتابي التالي ، (العيون) لذلك أحجز نفسي عن التسرع في التعبير عن تجربة أكتوبر، وغيرها أيضاً ، ثم إن تجربة أكتوبر لم تعط بعد ثمارها، وأرجو أن تكون إذا نجحت ، ونجحت ، المدخل الحقيقي

والشعبي للثورة الاقتصادية والاجتماعية . أقـول لـك ، إن علينـا نحـن الكتاب أن نلتزم بالواقع الحي ، وبمنطـق الفـن وضروراتـه ووسـائله ، وأقصد أيضاً أن نلتزم بتجربة الشعب ذاته ، وليس بمتغيرات حكوماته وسلطاته ، ذلك لا يعني الرفض لأي خطوة متقدمة شريطة ألا تعـوق خطوة تقدم أكبر للشعب بأسره .

- من هو فارس القصة الجديـد ؟ مـن الأسمـاء الـتي لمعـت أخـيراً في مصر؟..

- هناك دائمـاً في حياتنـا أكـثر مـن فـارس ، فرسـان السـبعينات في القصة هم، بهاء طـاهر بـأول مجموعـة لـه (الخطوبـة) ، مـع أنـه مـن جيلـي ، وغـالب هلسـا بروايتـه (الضحـك) ومحمـد المنسـي قنديـل بأقاصيصه المنشورة الواعدة. هناك آخرون أعتقد أن لمعانيهم آت مـن تجمعاتهم ، وطرافتهم ، لا أكثر ولا أقل ، لأنهم لا يفرقون بين ما هو بناء وتجربة للشعر ، وما هو تجربة وبنـاء للقصـص ، ولأنهـم يقلـدون نتيجة لقراءات قليلـة غـير كافيـة ولا مدروسـة ، مـا يسـمى بالقصـة الجديدة ، ولأنهـم ينظـرون إلى داخلهـم ، أكـثر ممـا ينظـرون خـارج ذواتهم ويكررون تجـاربهم في عملهـم فـأصبح مـا يكتبـون أنشـوطه يقعون باستمرار في فخاخها المعروفة.

أنت ابن القرية بلا شك ، هل صورت قريتك في قصة تحكي قصة الإنسان الكادح ؟

- فعلت ذلك على مستوى القصة القصيرة ، في قصصـي: (وبعدنـا الطوفـان)، (الغريـب) ، (النداهـة) ، (يهـوذا والجـزار والضحيـة) ، (الأعرج) ، (الفلاح الفصيح) .. وعديدات غيرهـا . وفعلـت ذلـك ، ولم أكن بعد على مستوى الرواية ، في روايتي (الخروج من الطـيران)

التي أتشبث بأنها رواية ، ولم تتم فصولها بعد منذ أعوام مضت ، ولكن كل ما كتبته عن الإنسان الكادح، هو من داخل رؤية متحررة نسبياً لكاتب من الطبقة الوسطى ، ولذلك أقول لك وأؤكد ليس بوسع أحد أن يكتب عن تجربة الفلسطينيين سوى فلسطيني ، العمال سوى عامل ، الفلاحين سوى فلاح ، تعلموا جميعاً ، ومارسوا بموهبتهم الفن وعاشوا بالموهبة والممارسة تجربة الفلسطيني والعامل والفلاح وعانوها ، وراجع معي إن شئت كل إنجازات الكتاب السابقين في العالم ، إنني في النهاية أكتب عما عشته ، عما أعرفه ، وما عداه زيف وادعاء ، يفتقد صدقه الواقعي بالمعايشة والمعاناة ، وبالضرورة سيفتقد صدقه الفني أيضاً ، وحتى لو عشت وأردت أن أكتب عن تجارب الكادحين من هؤلاء كما فعل شتاينبك ، أو ربما كانت بحاجة إلى عبقري وهذا مطمح لا أدعيه ، فكل كتابنا العرب لم ينجبوا بعد ذلك العبقري الملهم والفطن طوال القرن العشرين ، إن خير من فيناً كتّاب ، وكتاب ممتازون ، ولا أكثر من ذلك بعد .

– بماذا توحي لك هذه الأسماء : المحراث ، المنجل ، الأرض، الفلاح ، العامل، الإقطاعي ، المرابي ، سنبلة القمح ؟...

• من صيغة السؤال فيما يبدو ومن ظاهره ، أقول هذا سؤال خطر لكن سأجيب .

المحراث : رمز التخلف من حضارة الفراعنة إلى يومنا ، سبعة آلاف عام من الحكم الاستغلالي الفردي والطبقي ، والاستعماري ، شاهد اثبات ، والصبر ، والعجز عن السيطرة على الطبيعة في وطني بغير المحراث ، معبود ثلاثة أرباع السكان في شعبي ، يظل الحلم أن يشهق

به الفلاح صدر ظلاّمه قبل أن يشق باطن أرضه ، شعراً خطابياً ، وحلماً .

المنجل : رمز الحصاد الوفير ، في يد العمال يحصدون به الأعواد ، ومعهم رقابهم ، تقدمهم أيد بلا رؤوس لسادة الأرض والبشر .

الأرض : فلاح أنا ، وبيني وبين الأرض والنبت علاقة وثيقة ، تؤكدها روايتي عن الموت والصبر ، ورموز الأرض ولادتها في الأساطير التي أشعر بها شعوراً عميقاً ، حتى ليستحيل الواقع الراهن في قلمي ، بأشخاصه وتجاربه وأحداثه إلى جزء من عالم أسطوري ليس أحب إلي من رائحة الأرض في النبت وأيدي الفلاحين ، والرقعة المروية التي ضربتها الشمس .

الفلاح : خامة الثورة الحقيقية والكبرى ، في بلادي ، مصر ، أبداً معزول بقريته عن المدينة ، أبداً مزرعة كأرضه ، وبنيه وأجياله مستغلة للإقطاعي والسلطة، أبداً يهجره بنوه ليلحقوا بالطبقة الوسطى في المدينة ، وينسوه ، أو يعيشوا بينه مميزين ومعتزلين ، كموظفين وتجار ، مأساة بلادي في فلاح بلادي . الوعود الثورية لبلادي بين يديه إذا ... إذا وجد طليعته.

العامل : عاملان هما ، عامل المصنع بالمدينة ، وعامل التراحيل بالقرى والكفور والنجوع ، عامل الصناعة عامل زراعي ما يزال يقيم ، يعيش على هامش المدينة ، مدينة التجار والموظفين، هو أداتهم للعمل الخاص والعام ، وقراه سوقهم ومواردهم معاً . عامل التراحيل ، خمس شعبي ، عشرون بالمائة منه ، مئات الآلاف كارثة ، طموحه أن يملك ، أو أن يصبح موظفاً ، شاهد حي على اللجوء في الوطن، على الغربة في الدار ، على الضياع في الزمن ، على مأساة

الفشل الاجتماعي العــام ، شقاؤه يطول ، شقاء مصر هــو شـقاؤه ، هو الوجه والسبب والنتيجة لهذا الشقاء . وجوده الراهن (ليــل فشــل كل الاشتراكية في بلادنا ، كل اليسار في أرضنــا ، أي تقـدم آخــر لا يمس وجوده بالتغيير والتطور ، لافتة مجرد لافتة، تقدم طبقي لغــيره في الوطن ، للقلة في الوطن في النهاية ليس ذلك تقدماً) .

الإقطاعي : بكلمات : أعمى ، أصم ، أبكـم كـالحجر ، دراكـولا ، مصاص دماء وعرق الغير ...

المرابي : عشب طفيلي ، كاليهودي ، كلاهما مـرادف للآخـر ، وإن حـارب وأقـام دولـة وبورصـة وبنكــاً ومصرفــاً ، شــاهد التســيب الاقتصادي والاجتماعي ، يحقق غايته أولا وما أحقرها من غاية أبأس صاحبها ، ثم يبررها (انظر شخصية عليوه) (المرابي) في قصة وبعدنـا الطوفان ، وشخصيات الطوفان في قصص كتاب العـالم وشـخصيات اليهودي أيضاً .

سنبلة القمح : نقتلها حتى لا يأكل منها غارسـو بذورهـا ، نضيـق من رقعة أرضها المزروعة ، لـنزرع مكانهـا قطنـاً يلبـس منـه الفـلاح ثوبين على اللحم في كل عام شتاء وصيفاً ويأتي بالمال للإقطاعي ثــم للدولة التي تجهد لتشتري بثمن القطن قمحاً ، ننسى ما يجب علينا من أن ما يحتاجه البيت يحرم على المسجد ، وما يحتاجه أبناء الوطن يحــرم على العالم ، فنبيــع القطـن لنكسـو الغير ، بـل ليصـدروه نسيجاً لنـا بالثمن ، لنسد حاجتنا ، أي ذكاء؟.. ألم نفكر في أنه ما كان ضرورةٍ لمحمد علي وطموحاته وللإقطاعيين والإبعاديين من بعده ، ليس قـدراً لنا بعد ثوراتنا الوطنية ، سنبلة القمح واحة في صحراء ، نبتة كشقائق النعمــان بـين صخـور الجبـال وفي الأرض العربيـة أكـثر مـن ثلاثمائـة

وخمسين مليون فدان صالحة للزراعة لا يزرع منها سوى ثمانين ، وأكثرها بأعتق الوسائل البدائية في الري .

- البطل في قصصك من أين تستمد وجوده ؟... هل تستمده من رؤيتك وانفعالك ، أم من الواقع اليومي ؟...

- من الواقع اليومي بالتأكيد ، ومن خلال رؤية وانفعال، وجهة نظري للعالم التي هي محصلة لأمور عديدة ، من تجربة العمر ، ومن الثقافة ومن المدركات العقلية والشعورية ، أكثر قصصي قصص شخصيات ، قليلاً ما تقرأ لي قصة مما يسميه النقاد ، بقصة اللحظة أو الوقت أو الحالة أو البيئة قصتي أساساً قصة ، حدث وشخصية عادية من الكادحين - كما أراهم - ومن البرجوازيين الصغار . الواقع عندي يعطيني أولاً الشخصية والحدث ، ويعطيني معها التجربة . وعلي أن أحيل الثلاث إلى تجربة فنية ، بصدق فني ، يحملان معهما في نفس الوقت التجربة الواقعة، والصدق الواقعي ، وفي هذه الصيرورة يكمل خيال الفنان بعض قصصي انطلقت منها من فكرة ، لمسرحيات الحكيم، وأقاصيص نجيب محفوظ ، وروايته الأخيرة ، فجاءت تجريداً تخليت عنه منذ أكثر من عدة سنوات ، إن غايتي أن أكتب ما يبقى، وأن أخاطب بسذاجة ووهم ما في أعمق أعماق الإنسان من مكنونات وذكريات ، أثيرها بكل صدق مع النفس أولاً ، ذلك مطمحي وبين المطمح والفعل ذلك الصراط الرفيع ، الذي يصنعه قانون المصادفة .

- أيهما أصدق في رأيك ، الكتابة من خلال الواقع الريفي أم خلال واقع المدينة ؟..

• الكاتب حين يكتب ، مهمته أن يكتب عن العلاقات والقيم السائدة ، يعربها كما هي ، وينميها إن شاء ألا يكون فقط واقعاً نقدياً ، وفي مجتمعي ، لا يختلف كثيراً سلم العلاقات والقيم في واقع المدينة ، عنه في واقع القرية ، فأصدق من هذا الاختيار بين الكتابة عن هذا الواقع أو ذاك ، أن أقول : إنني أكتب عما أعرف ، عما صار ذكرى متمثلة ، بل إنني أجد تجسيد واقع المدينة المصرية الراهن وتجاربها في واقع المدينة وتجاربها ، أصل إلى نفس المعنى والعالم والعلاقات وأعتقد أنه سوف يمر وقت طويل ، برغم أنني لم أعش في القرية سوى فترتي الطفولة والصبا ، قبل أن أكتب عن واقع المدينة وتجاربها من الخامات الخاصة بالمدينة كصور وجزئيات ، حين تصبح هذه الخامات ذكرى ، بعيدة الغور ومتمثلة وربما كان ذلك عندما أدخل في سن الشيخوخة ، وعندما أفلح في تحقيق الحلم أن أستدعي مرة أخرى عالم المدينة ، الذي عرفته وعشته وعانيته .

– ما هو حلمك لمجتمعنا العربي ؟...

• أن يدخل العصر ، ولن يدخل إليه إلا بفتح أبوابه للاشتراكية ، بالوقوف على ضفافها بالعقل والإقدام .

– ووجهة نظرك للمجتمعات الاشتراكية الحاضرة ؟..

• حلم مرحلي بالنسبة لي ولبلادي ، وانتظر ثورة أخرى تفلح بتطوير الاشتراكية فيها ، ثم تطوير علاقات الحكم والحزب لإيجاد صيغة اشتراكية جديدة تجمع بين حرية الفرد في التعبير والنقد وحرية المجتمع ، ممثلاً في سيطرة الطبقة العاملة، تلغى إلى الأبد خمائر البيروقراطية وفاعليتها دون أن تفتقد الفاعلية تكنوقراطية في المجتمع الاشتراكي .

حوار مع الأدباء فوق بساط أخضر
شارك فيه الاساتذه

- الشاعـــر شوقي بغدادي
- الأديبة كوليت خوري
- الشاعـــر محمد الحريري
- الناقد محي الدين صبحي
- الأديبة سهـــام ترجمـــان
- الأديب عادل أبو شنـــب

حوار مع الأدباء

فوق بساط أخضر

عالم اليوم ما عاد يقول بمبدأ «الفن للفن». كما لا يرضى عن أدب مواز للسياسة، أو مستقل عنها، فكما الأعمال الأدبية أو الفنية تبحث عن قيمتها الحقيقية من خلال تفاعلها الجدلي مع قضايا المجتمع الإنساني.

لقد سقط الأدب الذي يرتدي الثياب المهلهلة، وسقط الأديب الذي لا يتقن ركوب المغامرة من أجل حياة أنقى، وحضارة أفضل.

إننا نرفض الأدب المثلج، ونطالب بأدب يحمل في ملامح وجهه عافية الحياة، لأن الأدباء والفنانين ما عادوا بمعزل عن آلة الثورة.. إنهم «ترسها ومسمارها» ، وهم يمثلون بعطائهم جبهة أساسية من جبهاتها، إننا نبحث عن الثقافة التي يمكن أن تكون «محراثاً» يقلب التربة ويحضرها أيديولوجياً، كما يكشف للضوء ما في داخلها من علة وألم.

إننا نريد لأدبائنا وفنانينا أن يتحولوا إلى أحصنة مجنحة تحمل في صدرها أمة بكاملها، ولكن كيف؟ .. إن مسألة الإبداع في مجال الأدب والفن لا يمكن أن تتم بمرسوم، أو بفعل السلطة الإدارية، إذ لا بد من مناخ للحرية تتنفس فيه الآراء، وتتحاور من خلال الأقلام، فمن أجل «مائة زهرة تتفتح» ومن أجل مائة مدرسة فكرية

تتبارى.. نادى الرئيس حافظ الأسد بأن «لا رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير».

وهنا وفي ندوتنا مع بعض العاملين في مجال الأدب، نريد أن نؤكد على مبدأ الحرية أمام كل أديب ليقول قناعاته، ولا نعتبر أنفسنا ملزمين بما يقول إلا بحدود ما يساعد في تطوير الأدب وتحويله إلى سلاح. ولا نهدف مطلقاً إلى الترويج لهذا الأسلوب أو لتلك المدرسة، ولا نريد عبر هذا تحريم ذلك الأسلوب، أو تلك المدرسة، ولا نحب أن نعطي القرارات حول مسألة الخطأ والصواب، لأن ذلك يضر بنمو الأدب ويعطل من تقدم الفن.

إن مسألة تحديد الخطأ والصواب في الأدب يجب أن تحل عن طريق الحوار المباشر بين أوساط الأدباء والفنانين تحت أعين الجماهير وبمعرفتها ولا يجوزأن تحل بأساليب خشنة يمارسها بعض «الأوصياء» عبر وسائل الإعلام والصحافة كما نرى اليوم. من هذا المنطلق جئنا نبحث في قضايا الأدب وفي شؤون الأدباء، وقد حضر هذا اللقاء كل من السادة: شوقي البغدادي ـ كوليت خوري ـ سهام ترجمان ـ محمد الحريري ـ محي الدين صبحي، وعادل أبو شنب.

مازن: «مناسبة طيبة أن نجتمع اليوم لنبحث مسألة في غاية الأهمية لكونها ذات تأثير بالغ على مجمل الحياة الفكرية في بلدنا، وأعني بها مسألة الأدب، والإنتاج الأدبي المعاصر. ولا يكفي أن نتعرف بأهمية الأدب في حياة المجتمعات.. بل يجب أن نترجم اعترافنا من خلال نقاش واسع لشؤونه لأن آثاره لا تنحصر في الدور الأخلاقي أو الاجتماعي.. بل هو الوجه الحضاري الذي تبرز على معالمه شخصية الأمة التي تطرحه.

ويقيناً ا بالدور الذي يمارسه أدبائنا، أحببنا أن نفتح هذا الحوار ليستوعب كافة طروحاتكم وآرائكم في هذا المجال.. كي يطلع قارئنا عا ِ أفكاركم ويكون بالتالي قريباً من تصوراتكم ومعاناتكم. أملاً في دفع الحركة الأدبية في بلدنا إلى مسارات متقدمة وناجحة.

أعود وأرحب بكم من جديد.. وكلي أمل أن تحقق ندوتنا الغايات التي نتوخاها، والتي سيطلع عليها شعبنا، حيث يتعرف من خلالها على طبيعة الدور الهام الذي يمارسه الأدباء وعلى مواقعهم في حياتنا الأدبية.

وبدأت الندوة بالسؤال الأول:

مازن : يقولون بأن الأدب ضروري للإنسان حتى يفهم العالم ويغيره.. فما هو تفسيركم لهذه «الضرورة» على صعيد الإنتاج الأدبي؟.. ثم على صعيد التناول الجماهيري لهذا الإنتاج؟..

محمد الحريري: ما من شك، بأن الحياة تؤثر على الأدب وتعكس عليه ملامح التغيير، ومن هنا تبرز ضرورته للإنسان. حيث يقوم الأدب بتناول هذا التغيير الذي تقدمه الحياة ويضيف عليه نمطية جديدة من فكر جديد.

كوليت خوري: لا أدري إن كان الحريري يريد أن يفهمنا بأن الحياة تتغير وبالتالي يقوم الأدب على هذا التغيير؟..

شوقي بغدادي : إني أتساءل ، على ضوء ما قاله الشاعر الحريري، عما إذا كان الأدب قادراً على تغيير الحياة أم لا ؟..

عادل أبو شنب: إذا كان تعريفاً ما سمعناه من الحريري فإن هذا التعريف يكون مبالغاً في تجريد الأدب لكونه جعل للحياة ركناً ووضع الأدب في ركن آخر ولم نصل من خلال ما قال إلى معرفة أيهما أكثر تأثيراً بالآخر..

وهنا يتدخل الشاعر محمد الحريري في محاولة لتوضيح رأيه، والرد على ما سمعناه من تساؤلات فيقرر بأن الحياة هي التي تتغير، وأن تغيرها ينعكس على الأدب، وأن الأدب يغير الحياة عندما يضيف عليها تجديداً فكرياً ومذهبياً ولكن ذلك لا يضع حداً لأسئلة أخرى..

شوقي البغدادي: إذا سلمنا وقلنا بأن الأدب يضيف إلى الحياة، فهل الأدب يستوحي من الحياة أم من ذات الأديب؟..

وتجيب **كوليت خوري**: لا يهم أن يركز على هذا الجانب بما فيه من أهمية، بل يجب أن نقرر ونقول أن للأديب دوراً طبيعياً، لأنه يلحظ الواقع ويشير إليه، ثم يبشر بالكمال، وهنا، فإن مهمته لا تنحصر في «المراقبة» بل لديه شعور تبشيري.

شوقي بغدادي: لا أجد خطأً في ذلك، وإنما كنت ألح حول ما إذا كان الأدب يضيف شيئاً على الحياة أم لا ؟.. وهل هذه «الإضافة» عضوية وجدلية، أم لا؟.. إنني أعتقد أن الأديب لا يضيف بقدر ما يكتشف، لأن الحياة تخضع للتغيير من خلال القوانين العملية حيث لا علاقة للأديب فيها.

وتورق الكلمات عند **سهام ترجمان**: كل إنسان أديب.. وكل إنسان فنان، القارئ الذي يتناول النص الأدبي يتفاعل معه

كأديب، والمشاهد لعمل فني يتأثر فيه من خلال نزوعه للفن والجمال، أما دور الأديب الذي تشيرون إليه ينحصر في قدرته على توظيف الفكرة وتجسيدها قبل غيره، إلا أن الفكرة التي أشار إليها، مجهولة عند الناس، وما يؤكد ذلك أن الإنسان يرى نفسه باستمرار، وبشكل أو بآخر في الأعمال الأدبية أو الفنية وهذا ما يجعله يحبها. ويقيني أن الأدب في المحصلة، هو رؤية جديدة للحياة.. وتطلعاً إلى الأفضل .. والأجمل .

وهنا إشارة حمراء من **محي الدين صبحي**: قفوا، قفوا، أنا لا أجد معنى لكل ذلك. (الأديب يغير الحياة).. ما معنى ذلك بل من هو الأديب؟ وما هي الحياة؟.. الأديب عاجز عن (تغيير) الحياة الخارجية. وليس له دور في ذلك، الأديب يكتب عن الحياة الخارجية.

شوقي بغدادي: وهو يرى الحياة كما يجب أن تعاش.

سهام ترجمان: والأديب يقرع الأجراس.

ويعقب **عادل أبو شنب**: إذن ما هي بالتحديد وظيفة الأديب؟ وهل هي آنية؟ على الأديب أن يمارس دوره في إضفاء قيمة جمالية أو اجتماعية أو رؤية شخصية أو فكرية، إن هذا لا يتم من خلال الآنية، وإنما يبرز على المدى الطويل.

محي الدين صبحي: لقد أوحت لي كلمة «الآنية» في أقوال عادل بأن هناك الحياة وهناك التاريخ. فإذا قلنا أن الأدب يؤثر في توجيه الحياة المعاشية إلى حياة مستقبلية أفضل، فإن الأدب لا يغير شيئاً من التاريخ، لأنه بحد ذاته يغير التاريخ. وهنا لابد من الفصل بين

الأدب والحياة، فالأدب ليس الحياة، وربما يكون أفضل منها، وأحياناً أسوأ وقد يكون في بعض نماذجه «ذاتياً».

إن الحياة تحمل أبعادها وعناصرها الخاصة المميزة، والأدب له مميزاته أيضاً من أهمها كونه إنتاج فكري مصمم بهندسة معينة.

عادل أبو شنب: ولكن، يا محي الدين، هناك من يصر على التوحد بين الحياة والإنتاج الأدبي، وهناك من يدعو إلى ذلك باسم (المدرسة الفوتوغرافية).

محي الدين صبحي: بكل بساطة، إني أتساءل، هل يستطيع الأديب أن يصور الحياة كما هي؟ إنه سيفشل حتماً، لابد أن يأخذ زاوية جانباً، شريحة مقطعاً فقط ثم تأتي محصلة الإنتاج الأدبي عبر التاريخ منذ فجره، وعبر الحدود والقارات فتجمع هذه المقاطع والشرائح تحت صور أقرب ما تكون إلى الحياة ولكنها ليست الحياة حتماً.

كوليت خوري: إني أدرك ما يقصده محي الدين.. إنه يأخذ بآخر ما توصل إليه النقد الحديث الذي يصر على أن أي أديب جيد لا يكتب إلا في حالة غير عادية، وهذه الحالة عند الأديب تدفعنا لنقرر أن هنالك شيئاً في الأدب غير متوفر في الحياة.

شوقي بغدادي: الأديب ينتزع وجوده الهام من خلال اعتراف الناس به.. هؤلاء الناس الذين يدهشون بإنتاجه، فإذا ما شارك الأديب بعض الناس في تصوير شجرة، فإن الصورة الأجمل هي التي تحظى بدهشة المجتمع وتنال إعجابه.

عادل أبو شنب: هذا طموح كل فنان.. إن الرغبة الأصلية عند الأديب هي في إعادة الخلق وتطويره بشكل يجعل الآخرين يشعرون بأنهم أمام الحياة، ولكنهم، في ذات الوقت، يستشرفون في العمل الفني شيئاً آخر.

كوليت خوري: يا زملائي.. أحب أن أسأل، لماذا كل أديب يبحث عن العالم الأفضل؟؟..

محي الدين: هذا جزء من طموحاته الإنسانية المشروعة، كلنا يعيش في سورية، وكلنا يريد أن تكون حياتنا في سورية الأفضل، الأديب دائماً يبحث عن «الجمهورية الأفضل».

كوليت خوري: هل هذا بفعل التوتر والقلق؟

سهام ترجمان: بدونهما لا يتحقق الإبداع.

محي الدين: لا تستغرقوا في هذا، الأدب ليس قلقاً صرفاً، ولا تواتراً فقط، الأدب حرفة.

كوليت خوري: ولكن يا محي الدين، لماذا لا يدفعون لنا كما يدفعون للحرفيين؟.

محي الدين: المسألة «عرض وطلب»، صحيح أن أحدنا لا يتقاضى أجر (مصلح الحنفيات) إلا أن هذا يعود لوجود خمسمائة ألف بيت، بينما لا نجد خمسمائة ألف قارئ.

وتعقب..

كوليت خوري: للأسف.. هذا لا يغير شيئاً، فهناك العديد من مصلحي (الحنفيات) بينما عدد الأدباء قليل جداً.

وتنتهي المزحة المرّة.. ليقول:

شوقي بغدادي: ليس هناك من ينكر أن الأدب حرفة، ولكننا يجب أن نشير إلى الجانب الأخلاقي في الحرفة. ونتيجة هذا الجانب فإن القلق الصحي لابد منه.

سهام ترجمان: التوتر والقلق لابد منها عند الأديب هما يرفدان إبداعه.

عادل أبو شنب: أنا أوافق سهام، فمن أدوات الأديب القلق والتوتر والخيال، تماماً كأدواته الأخرى من قلم وورق وحبر.

محي الدين: إن أميل إلى التحديد (وهذه مهمة الناقد)، لاشك بأن الفكرة تولد تحت القلق، وأما التعبير فيكون من خلال «الحرفية».

مازن: لقد أكدتم من خلال الحوار الذي جرى على ضرورة الأدب للإنسان في فهم العالم وتغييره. فالحياة التي تتغير ضمن شروط وقوانين طبيعية تعكس أحداثها على مرآة الأدب، وأن دور الأديب هو دور طليعي إذ يأخذ ما تفرضه الحياة من تغيير ويتفاعل معه داعياً إلى الجديد. ومبشراً به. وبهذا المعنى نستخلص أن الأديب لا يضيف، بل يكتشف ويساعد المجتمع على فهم آلية التغيير مع بذل الجهود لتوجيه الناس نحو الأفضل. والأديب لا يمارس دوره بشكل ميتافيزيقي، وإنما يتعامل مع معطيات الواقع متلمساً درباً للمستقبل وهذا ما يجعله يكسب احترام المجتمع لأنه يمارس عملاً حرفياً له أخلاقياته وأصوله.

مازن: تحت شعار الالتصاق إلى جدار الواقعية الاجتماعية، تخلى بعض أدبائنا عن الفصحى وارتفعت أصواتهم تنادي بالعامية وسيلة للتعبير. فهل هناك خطورة تهدد التراث الأدبي للعرب؟ وهل تفضلون محاربة هذا التيار قمعياً أم ترون إمكانية إقناعه عن طريق الحوار؟

شوقي بغدادي: هذا سؤال يطرح مشكلة معقدة جداً غير قابلة للحل عن طريق التوجيهات والنصائح، لأن الفصحى لها مزاياها، كما لها عيوبها، ولأن العامية لها أيضاً ما يميزها وما يعيبها، فهل يجب القبول بعملية تسوية بهدف الوصول إلى الأفضل؟.. ومن أجل معالجة الموضوع، يتراءى لي أن أسأل الزملاء عما إذا كان بالإمكان اعتبار اللغة العربية حية ومتطورة وجديرة بالتمسك بها.. أو فسح المجال أمامها كي تتطور إلى مستوى العصر الذي نعيشه؟..

كوليت خوري: اللغة العربية كسائر لغات الدنيا، ولما كانت كل لغة أشبه ما تكون بالكائن الحي الذي يتعرض للولادة والحياة والموت، لذا صار من الأهمية بمكان فتح المجال أمام لغتنا كي تتحرر، وإلا فإنها مهددة بالموت كما حدث للاتينية واليونانية. إن الحياة تفرض على الإنسان أن يبذل الجهود من أجل التطور، هي ذاتها تفرض على اللغة مسايرة التطور الحضاري، وهذا ضروري إذا لم يكن حتمياً، ومطلب لابد من تحقيقه، وكل ما نحتاج إليه حالياً هو تبسيط لغتنا، بحيث تنزل قليلاً إلى مستوى الجماهير، كما نحتاج في ذات الوقت بذل المستطاع من أجل رفع مستوى القارئ العربي، ولهذا فإن مهمة الأدباء في هذا الحقل ضرورية وملحة.

عادل أبو شنب: لاشك بأن اللغة كائن حي، وعندها حساسية عالية، وربما صارت كل لغة اليوم أكثر عرضة للتأثر بسبب سرعة المواصلات، فصغر حجم العالم، وتداخل شعوبه ولغاته حتى أصبح من العسير الوصول إلى لغة نقية. لكن مشكلة اللغة العربية المطروحة حالياً لن تجدها في المستقبل، وذلك لأن لغتنا تفتح صدرها ببطء أمام المتغيرات المعاصرة، وتعمل على هضمها، كما أن وسائل الإعلام تعمل على هدم الهوة بين العامية والفصحى بالشكل الذي سيؤدي إلى رفع مستوى العامية من الفصحى، وسنصل حتماً إلى لغة ثالثة هي اللغة العربية المبسطة، ولعل أبرز المحاولات التي يمكن أن أشير لها هي تلك المحاولات القائمة على اللغة العربية المبسطة، ولعل أبرز المحاولات التي يمكن أن أشير لها تلك المحاولات القائمة على صعيد المسرح، إذ أبرزت أعمال ونصوص حذف منها اسم الموصول وسكنت أواخر الكلمات.

شوقي بغدادي: استنتج من كلام الزميل عادل أن الزمن وحده هو الكفيل بحل جميع الصعوبات التي تعترض اللغة، وما علينا كأدباء إلا أن ننتظر هذا التطور أو نشاهده. إن ما قيل يجعلني اعترض على هذا الرأي، لأن اللغة العربية لا تستلم بسهولة إلى قانون التطور، وهي اللغة الوحيدة في العالم التي تقاوم هذا القانون منذ أكثر من ألف سنة، وذلك لأسباب أكدها رجال الدين. لقد حاول هؤلاء إفهام الأجيال أن اللغة العربية مقدسة، وهذه القداسة تحول الآن دون حدوث التطور، وإذا كانت قناعاتنا بضرورة التطور قائمة، إذاً لابد من نزع الصفة المقدسة عن لغتنا ونسمح بالتالي لكل الناس بتطوير لغتهم بما يتناسب مع الضرورة الحضارية.

محي الدين: إن ما يعترض عليه شوقي يجعلني أعلن بأننا الآن نستخدم لغة متطورة، هي بالتأكيد غير لغة القرآن أو الدين، ولازلنا نرفض العامية ونعتبرها أدنى من الفصحى لا لسبب ديني وإنما لسبب جمالي.

كوليت خوري: أنا أحب اللغة العربية، وأتذوق جمالها، ولكن هذا لا يلغي وجود المصاعب التكنيكية، فالتشكيل في اللغة العربية ـ على سبيل المثال ـ هو أحد هذه المصاعب، ففي حين نجد أن الناس في المجتمعات الأخرى يقرأون ليتعلموا، نجد أن العكس عندنا تماماً، إننا لابد أن نتعلم أصول القواعد حتى نصبح قادرين على القراءة.

سهام ترجمان: إن الصعوبة التي أشارت إليها كوليت يمكن التعامل معها إذا أدركنا أهمية التشكيل في لغتنا.. فهو يمتلك المعنى، وبالتالي يمتلك اللغة.

محي الدين صبحي: لا أجد ضرورة للاستفاضة في هذه النقطة، لأن المسألة يمكن حلها ولأنها تقنية تماماً وكل ما نحتاج إليه هو عامل عربي يعيد رسم الحرف العربي بشكل يتوافر فيه التشكيل إلى جانب التنقيط، وكفى. لكن الرأي الذي سمعته عن كون الإنسان الناطق للغات الأخرى يكتب كما يتكلم، يستدعينا أن نقف عنده، فمن الوهم المحض أن نأخذ ذلك كحقيقة، وتوضيحاً.. أقول لما كتب هنري ميلر بالعامية سنة ١٩٢٠ اعتبرت كتابته ثورة في عالم الكتابة لم يحدث ما يشابهها منذ أن «وجدت التوراة وحتى جيمس جويس» ولكن واقع الأمور يشير إلى أن لغات العالم الفصحى تواجدت فوق أصول من اللهجات العامية، وأن الفصحى

دائماً هي حصيلة لتطـور العاميـة، فكيـف نتخلـى عـن الفصحـى مـا دامت أكثر استجابة للتطور؟..

شوقي بغدادي: هـذا ليـس دليـلاً للتفـاؤل.. إنـي أدعـو إلى إعطاء الحريـة للشـعب كـي يمـارس حقـه في اسـتعمال اللغـة بشـكل يتناسب مع رغباته في التطور ، أنا لا أدعو إلى تكريس العامية كدليل للفصحـى، وأنـا لا أكتـب بالعاميـة لأن عاميتنـا نشـأت فوضويـة، ومفلوشة.. ليس لها ضوابط وعندما أرفضها، كذلك أرفـض مـا في الفصحى من قيود كثيرة. إننا نريـد لغـة بعيـدة عـن التعقيـد تتعـامل بشكل سهل مـع كافـة النـاطقين بهـا، وهـذا لا يتـم إلا مـن خـلال ممارسة الجماهير لحقهـم في تطويـر اللغـة بـدون إرهـاب مهمـا كـان نوعه.

سهام ترجمان: إني أفهـم الآن شيئاً غريبـاً، إنكـم ترفضـون العامية، ولكنكم تبحثون عن مبررات لوجودها: وأسـتطيع أن أحـدد الآن رأياً في هذا الموضوع، علـى ضـوء تجربـتي. لقـد كتبـت نصـف عملي (يا مال الشـام..) بالعاميـة الشـامية، وكـان هـدفي مـن ذلـك حفظ لهجة أهل الشام باعتبارها جزءاً من التراث، وكنت على يقـين من أن هذه اللهجة العامية التي استخدمها والـتي نطـق بهـا قـاصدوا حمام السوق والباعة كـأبي علـي وأبـي مصطفـى، والـتي اسـتخدمها المتنزهون في (السيارين)، لـن تسـتمر، وهـي عرضـة للتطـور. ومـن الأمثلة التي تحضرني حول تطور العامية لمسته خلال دراستي الجامعية، ففي الجامعات تكتنف لهجات المدن السورية، حتى كان من الصعب أن نفهم بعضنا كطلبة بشكل مريح، ولكن ما أن مرت سنوات أربـع حتى خرجنا بلهجـة موحـدة، وأشير أيضـاً إلى أن المؤتمـرات العربيـة ساعدت على المستوى القومي في تفهـم اللغـات ــ أقصـد اللهجـات

العراقية والسودانية والجزائرية.. الخ. أين أقف إلى جانب استخدام اللغة العربية لكونها تنبع من ذاتي، وأرى أن العامية لن تعمم، وهنا لابد أن أقول لماذا لانطرح المسألة للنقاش مسألة (المعاصرة) في اللغة العربية؟ لماذا لا تزال لغتنا متخلفة عن العصر الذي نعيشه؟ فرغم الجهود التي تبذلها المجامع اللغوية وخاصة (مكتب التنسيق العربي) في المغرب، ورغم ما أفردته من مصطلحات، بقيت لغتنا في حالة من التخلف في هذا الزمن.

كوليت خوري: إن ما تتساءل عنه سهام جدير بالمناقشة، لأن أكثر من مائة وخمسين ألف كلمة غير موجودة في لغتنا. بينما نلمس غنى اللغة العربية بمفردات الصحراء.

شوقي بغدادي: يا أصدقائي.. المفردات ليست المشكلة، إني أطالب بلغة جديدة، واللغة التي نستخدمها أشبه ما تكون بالماء الذي تحيط به السدود العالية، فكيف نحطم هذه السدود لأن ما خلفها اتخذ شكلاً ثابتاً وراكداً. لابد من تحطيم السدود، نريد شيئاً جديداً، نريد ماءً نظيفاً ينساب بحرية وينعش أرضنا الأدبية.

كوليت خوري: لا أعتقد أن أحداً منا يكتب الآن بلغة التراث، فكلنا يكتب بلغة جديدة.

شوقي بغدادي: لكن شكوانا منصبة على التركيب الأصلي الذي لم يحدث فيه تغيير سواء على صعيد الإعراب أو النحو. وإذا كانت اللغة كائناً حياً، فليس تغيير المفردات أو زيادتها هو الذي يحل المشكلة. لابد من حدوث تغيير على مستوى بنية اللغة.

عادل أبو شنب: إن الواقع المعاش هو الذي سيفرض التبديل على طبيعة اللغة، ومثالي على ذلك أن اللغة المستخدمة في الإذاعة والمسرح وحتى في المدارس تكرس التغيير وتساهم في فتح الآفاق أمامه وهذا شيء لابد منه، ولهذا فإنني أطالب بلغة أدبية جديدة ومعاصرة.

شوقي بغدادي: إذا كنا نريد ذلك فإن من واجب العاملين في مجال الأدب أن يمارسوا دوراً عملياً على هذا الصعيد. وقد مارس هذا الدور أدباء غيرنا من الغرب، فعندما كانت اللغة اللاتينية هي لغة أوربا وعندما بدأت لغات أخرى تتواجد متفرعة عنها، مارس الأدباء دورهم في تكريس اللغات الجديدة وهذه العملية لم تتوقف حتى الآن حتى أكاد أقرر بأن اللغة الفرنسية الحالية لن تكون مفهومة عند الأجيال القادمة في فرنسا، بينما نفتقد عند أدبائنا هذه الروح وبالتالي ستكون لغتنا الحالية مرشحة للاستمرار.

محي الدين صبحي: لكن الحقيقة التاريخية يا شوقي لا تدعم ما قلته، فقصة تفرع اللاتينية كما يؤكد التاريخ تقول أن الشعوب الرومانية التي عممت لغتها في أوروبا تعرضت للانقراض. وحلت محلها قبائل (الغال) في فرنسا وقبائل (الجرمان) في ألمانيا، وحتى في إيطاليا ظهرت شعوب غازية أخرى، ونستنتج من هذا أن اللغة اللاتينية لم تنقرض إلا بانقراض الأقوام الذين حملوها، وأخذ الفاتحون الجدد من اللاتينية ما أضافوه إلى لغاتهم لكون اللاتينية أكثر تطوراً في تلك الفترة. وهنا أريد أن أخلص إلى أحد الخيارين: فإما أن نعتبر العرب كأمة يواجهون الانقراض، وبالتالي صار من الطبيعي أن تتكلم كل منطقة على طريقتها، فيحدث عندنا كما حدث في أوربا التي ظهرت فيها دول جديدة كفرنسا واسبانيا وألمانيا، وأما أن نعتبر أن

الأمة العربية جسداً واحداً لها لسان واحد، وهنا نكون قد أقحمنا الأيديولوجيات وكذلك السياسة. ومن خلال هذا الجانب السياسي الذي يشكل الأساس لابد أن نعي خطورة تكريس العامية كبديل للغة العربية. وتصور لو حدث هذا ما سوف يسببه من خطر لو حدث، لوجدنا ظهور أكثر من عامية في القطر الواحد، بل ستكون (للحارة) الواحدة عاميتها الخاصة وللبيت الواحد لهجته التي تميزه، إني أتوقع ظهور مئات من اللهجات في حال اندثار وتقهقر اللغة العربية. إن العامية مهما كانت (المصلحة) تؤكدها ستبقى مفهوماً مجرداً، بينما تبقى الفصحى هي المفهوم المجسد، وهي الوعاء، وهي الذاكرة، أن لا أجد (عامية) عربية كالعامية في المفهوم الفرنسي، لأن العامية العربية غير متكونة أو منتشرة على امتداد الوطن العربي، وكل ما نلمسه من (عامية) في الوطن العربي هو عامية محلية.

ولندخل إلى السياسة مرة أخرى، ونتساءل متى طرح شعار الكتابة في العامية، ومن دعا له؟.. لو راجعنا صفحات من تاريخنا المعاصر أو الحديث لتبين لنا أن اللورد (كرومر) هو الذي طرح هنا شعاراً على المصريين، مدعياً أن مسألة تطورهم الاجتماعي لا يمكن أن تتم إلا من خلال تغيير الحرف العربي بالحرف اللاتيني، وهكذا فمن حقنا ومن حق شعبنا أن نتشكك بالطروحات التي تؤدي إلى اغتيال اللغة العربية، ومن حقنا أن نسأل، من يمول هذا التيار؟ ومن هنا فإذا كان البعض يدعو للتغيير والتطور في ميدان اللغة بنزاهة ووطنية فمن المقبول أن تصفى هذه المسألة ديمقراطياً وعبر حوار واسع النطاق، أما إذا وجدنا من يدعو إلى الأخذ بالعامية (لغاية في نفس يعقوب) فمن الواجب توقيفه قمعياً، لأن هذا يمس جوهر الوجود القومي ولا يقف عند حدود اللغويات.

لقد أثارت كوليت وكذلك سهام موضوع تخلف اللغة العربية، لغة بدوية ومروية، أي أن الإنسان يتعلم أصولها حتى يتمكن من القراءة، وهنا تظهر الحاجة الماسة إلى رفع مستوى اللغة وتسهيله أمام المتعلمين، واللغة مهما كانت صعبة أو عاتية أمام الذين يريدون تعليمها فهي أشبه ما تكون بالعضلة التي تلين وتشتد بكثرة الاستعمال، ولما كانت اليد وبالتالي اللسان هما وسيلتا التعبير عند الإنسان منذ القديم، لذا لابد من لفت النظر إلى أهميتهما، لأنهما مازالا يحافظان على هذه القدرة، فالبدوي الذي كان يعدد أسماء ما حوله ويدخل إلى جزئيات محيطة، كان لسانه ويده هما اللذان يفرضان عليه صياغة الكلمة. وإذا كانت الصحراء في الماضي هي التي أخصبت لغتنا بمفرداتها المميزة، فإن نمو الصناعة العربية بشكل أكبر سيغني لغتنا بمفردات معاصرة عربية، ولعل هذه الفكرة تتضح لدينا إذا عشنا في أوساط الميكانيكيين، حيث نرى أن هؤلاء العمال الذين لا تربطهم بالأدب روابط حميمة قد عرّبوا أجزاء الآلات التي يتعاملون معها يومياً.. وأغنوا بذلك لغتنا الفصحى دون الرجوع إلى المجمعات اللغوية والأكاديمية المختصة.

شوقي بغدادي: لا يسعنا في هذه الحالة إلا أن نحترم عمالنا لما يقدمونه من مفردات للغتنا ولابد أن نطالب بإدخال اجتهاداتهم إلى اللغة.

محمد الحريري: بعد الحوار الذي طال.. أسألكم، لماذا تشعرون بالراحة والانشراح عندما تطالعون نصاً لابن المقفع أو أبي التوحيدي.. علماً أن هذا النص كتب بلغة فصحى مر عليها زمن طويل؟..

محي الدين صبحي: إن مثل هذا النص بالنسبة لنا هو مثل أعلى، فكيف لا نشعر بما أشرت إليه ونحن نتعامل معه على هذا الأساس؟..

محمد الحريري: إذن .. لماذا لا نعمل ونبذل المستطاع حتى نصل إلى مستوى هذا المثل الأعلى؟.

سهام ترجمان: نحن نعمل، ولابد أن تعطي أعمال بعض الأدباء شيئاً من هذا القبيل أو قريباً منه، والمهم هو أن نبذل الجهود.

مازن: من خلال ما طرحتموه من تصورات وأراء في مسألة الدعوة التي يطلقها البعض حول ضرورة استخدام العامية كوسيلة للتعبير، استخلصنا النقاط التالية:

أولاً — أن اللغة العربية، كغيرها من اللغات، كائن حي، وهي لازالت تتمتع بحيوية وخصوبة. لكن هذه اللغة تعاني أوزار طروحات رجعية، وهذا ما يتطلب بذل الجهود المكثفة بهدف العمل على تبسيطها.

ثانياً — إن اللهجة العامية لا يمكن أن تنافس اللغة العربية، وأكد الجميع على رفضها لأسباب جمالية ولمبررات سياسية.

ثالثاً — لابد من اعتماد اللغة الفصحى لكونها عامل توحيد الأمة العربية وهي تشكل أحد المقومات الأساسية للقومية العربية.

رابعاً – إن مسألة الارتقاء الثقافي بالشعب العربي لابد من حلها من خلال حل جميع المشكلات المعوقة. ولو حدث هذا فإنه سيؤدي حتماً إلى الارتقاء اللغوي.

محمد الحريري: الأديب لا يكتب لسكان الكواكب الأخرى، وهنا لابد للأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص أن يتواصل مع قواعده الشعبية. لا يمكن تصور قيمة الأدب المنقطع عن الجماهير، ومن خلال تجربتي أسأل نفسي، وأنا في حالة تناول عمل فني، عما سيكون موقع هذا العمل عند الجماهير، وهذا ما يسبب لي قلقاً، لحرصي على إيصال أعمالي إلى الشعب هو الغاية عند الشعراء، لكون الشعر جماهيري في أساسه. ولكن .. أرجو أن لا يفهم من هذا أن الأديب مطالب بالانحدار إلى السطحية، إذ ليس مفترضاً بالعمل الأدبي أن يتمرغ بأوحال السطحية حتى يكون جماهيرياً، الجماهير لديها ثقافة.. كما لديها حس وتذوق.. وهي تقبل بحرص شديد وذكاء على الإنتاج الأدبي وتتعامل معه.

محي الدين صبحي: هذا صحيح.. فقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي تعتبر من القصائد المعقدة، لما فيها من رؤية فلسفية أو صيغ لغوية، كذلك رباعيات الخيام.. ورغم ذلك فإن الجماهير تفاعلت مع هذين العملين على أوسع نطاق.

مازن النقيب: هل يستطيع الشعر محمد الحريري أن يدلك على ذلك من خلال إنتاجه، فيروي لنا بعض الأبيات؟..

يقوم الحريري بالبحث عن جواب.. ولكن من الشعر فيقول:

شـق لمحـي وصـب فيـه بقايـا — من عطايا الـبريق قبـل النضـوب
أيـن وردي؟ غـابت سـجاه حتـى — قلت قد سافرت قوافـل الطيـب
وتبقـت حقـائب فارغـات — مـن شـذاه ومـن جنـاه الرطيـب
عنـد غصـن عـاري الأضـالع إلاّ — مـن أحاسيس بجده المسـلوب

مازن: إني اعتقد أن شعبنا يمتلك الإحساس ويمتلك الرؤية الخصبة، ولا غرابة في هذه الحالة أن يتغلغل بكل رصيده في الحس والرؤية في كافة الأعمال التي ينجزها الأدباء، ودائماً يحاول أن يعبر عن وجهة نظر محددة فيما يسمعه أو يقرأه. وسهام عندها كامل الحق عندما قالت: (إن كل إنسان أديب) بمعنى أن الأدب حتى في حالة كونه حرفة، فإنه بالتحديد حرفة لا تحتفظ بأسرارها ولا تقبل من الأدباء معاملة الناس بازدراء أو فوقية. لأن الأديب الحقيقي هو الذي يقيم صلة وثيقة مع جماهيره.

سهام ترجمان: لم يغب عن ذهني لحظة أن الشعب هو الأساس الذي أستند إليه في عملي ككاتبة، وهو الهدف الذي أقصده دائماً، ولقد كانت تجربتي مع الكتابة مخلصة للإنسان، فقمت برسم حياته بكل ما فيه من أبيض وأسود وبما فيها من خصوبة وعقم، والذي يطالع أعمالي بحثاً عن الشعب سيرى كم الشعب رائع ومعطاء، وهذا ما سبب رواج أعمالي فتلقفها الجمهور برغبة شديدة. يجب أن نكتب بشكل مباشر باتجاه الجماهير، إننا لا نمتلك أنفسنا وأدواتنا، وما ننتجه يجب أن يكون للعامة، ومن المؤسف أن بعض الأدباء والكتاب لا يريدون ذلك بدافع من الصلف أو التعالي. ولذلك درج هذا (البعض) عندما يمارس الكتابة في الصحف على استخدام أسلوب معقد غاية في الغموض، الفلسفة، لماذا يمارس

هؤلاء برجوازيتهم الفكرية على القارئ؟.. لماذا يعذب هذا البعض نفسه فيضطر إلى الاتفاق مع عامل المطبعة لطباعة الكلمات الصعبة بالحرف الأسود والكلمة السهلة بالحرف الأبيض؟ فإذا كانوا يعتقدون الجهل وعدم الفهم عند القارئ فهذه طامة كبرى. لأن ألوان المطبعة وحروفها ليست بالقادرة على شرح (الطلاسم). مطلوب، من الأديب صاحب النص أن يكون أكثر تبسيطاً، وإلا فأن أسلوبه سيبقى منفرداً، وهو بالتالي سيدلل على ضعف حقيقي كما يظهر مدى الاستهتار عند هؤلاء الكتاب بالجماهير، إن الجماهير تفهم هذه (اللعبة) وهي لذلك ترفضها وترفض الذين يمارسونها. إن شولوخوف العظيم الذي كتب ملحمة (الدون الهادئ) لم يستورد العظمة من دكاكين التعقيد، بل فرضها من خلال أسلوبه البسيط الذي صور به شخصيات عمله حتى جعلنا نحن الغرباء عن الأرض الروسية مأخوذين بروعة أعماله. وكذلك كان (ديستويفسكي) وغيره من كبار الادباء حيث برزت (الأرض) عندهم فكانت الوطن، وكانت القداسة. فإذا كنا نريد أدباً حقيقياً فما علينا إلا أن نفرض جذوره في أعماق تربة الوطن ونوزع ثماره على مساحة المجتمع.

مازن النقيب: لقد أوردت السيدة سهام رأياً متوازناً حول تجربتها مع الجماهير وحددت شكلاً عملياً للعلاقة بين الأديب وجماهيره.. كما أوصت تبسيط الأسلوب كحل واقعي مع الجماهير، فهل لدى الأستاذ شوقي بغدادي من تعقيب على ذلك؟...

شوقي بغدادي: ما قالته الأخت سهام هو ما أردت قوله تماماً، ولكن أريد أنه أشير إلى أن مسألة الإيصال وما يمارسه البعض من غموض يصل إلى حد الإبهام، فقد توصل الأدباء إلى ما يشبه الاتفاق حولها، وهي تشير إلى مخرج مناسب. ولا أعتقد أن أحداً

من الحاضرين هنا ينتج أعمالاً بعيدة عن الجماهير، ولم أصادف شخصياً أية مشكلة مع الجمهور لأني كنت (متهماً) بالتبسيط الشديد. ولكن الذي أريد الإشارة إليه هو أن الجماهير لا تعني دفعنا إلى الابتذال، فالأديب له مهمة طليعية عليه أن ينهض بمستوى الشعب ثقافياً، وحتى ينجح في هذه المهمة لابد أن توجد مسافة بين الأديب والجمهور تقتضيها محبته للجماهير وتفرضها رغبته في رفع المستوى الثقافي عند أوساط الشعب، وهنا يكون الأديب كالقاطرة التي تجهد نفسها في سحب المقطورات عن طريق المعرفة والتقدم.

مازن النقيب: سمعنا منذ قليل بعضاً من أعمال الحريري فيها تعمق، ولكن الشاعر استطاع بمقدرته الفنية تلوينها بالشكل الذي يحرض الجمهور على الاستماع إليها وكشف أبعادها، فهل لدى الأستاذ شوقي أعمال تفاعل معها الجمهور، وحققت غرض الشاعر الذي أبدعها؟..

شوقي بغدادي: أعمالي كلها تحتوي الخلفية الإنسانية، وهي كلها تعتمد بساطة الأسلوب، وعندما أشير إلى البساطة فإن ذلك لا يعني السطحية، فهي ابتعاد عن التعقيد الذي يقف عثرة بين الأديب والشعب. وهي أيضاً تأكيد على حقي كأديب في التعرف على ملامح الناس. وأستطيع أن أقدم مثلاً لهذه البساطة ذات الخلفية من قصيدة (أسئلة حول المدهش). قلت فيها:

«ما هو المدهش في الأمر
إذا كنت قد سرقت..؟
قلمي جف..

وكان الطفل في الشرفة

يرمي الأدوات المدرسية

.. فالتقطت.

ما هو المدهش في الأمر

على صدري وسام ذهبي؟

عندما أعلنت الحرب

تقدمت..

ولوحت بسيفي..

صدفة أني لم أقتل..

فما ذنبي؟

إذا كنت انتصرت..

مازن النقيب: هذا موقف الأدباء من الجماهير فما رأي الناقد في هذا الموضوع، وما هي أشكال علاقة النقاد مع الشعب؟..

محي الدين صبحي: إن كل إنسان لا يستطيع أن يقدم رأياً في هذا الموضوع إلا على ضوء تجربته، ولما كان النقد موظفاً للتعامل مع الأثر الأدبي، لذا فإن الناقد يخاطب الأديب أولاً، وهذه المخاطبة بين الناقد والأديب تحتاج إلى مستوى معين. فعلى صعيد تجربتي النقدية مع الأدباء أدرك أنهم يفهمون ما أقول كما أفهم ما يرمون إليه. وإذا كان السؤال عن أغراض النقد، فإني أشير إلى أن هذه الأغراض تجري ضمن ثلاث مستويات، فعلى الصعيد الأول يتوجه

الناقد إلى الأدباء، وهذا يقتضي منه معالجة خاصة ومستوى معين كما أسلفت سابقاً، وعلى الصعيد الثاني يمارس النقد مهمة التنظير الأدبي، ويناقش الأعمال الأدبية ويقيمها من خلال رؤية إيديولوجية وفلسفية ليقرر مدى نجاح هذه الأعمال في قدرتها على التوصل. الأدب «تجربة، وتصور، ورؤية» وقد تكون التجربة عند بعض الأدباء معقدة، وهذا يعود إلى أسباب نفسية واجتماعية تكتنف حياة الأديب.

إذ ليس من السهل أن نفترض وجود القدرة عند ـ أدغار ألن بو ـ في إنتاج قصص بسيطة، لأن التركيب النفسي عند هذا الكاتب لا يسمح له بذلك، أما عن التصور والرؤية التي يطرحها بعض الأدباء، فإنها لا تقدم بالضرورة أعمالاً مبسطة، وهل من المستطاع أن نتخيل البساطة عند عقل كعقل جيمس جويس عندما راح عبر كتاباته يريد هدم الأنماط الأدبية، كما ادعى، لقد قام جويس بتكسير أطر الملهاة، والمأساة، والتراجيديا، و القصة، فماذا كانت النتيجة؟ لقد خرج بعمل غاية في التعقيد.

إن المقياس الحقيقي الذي يجعلنا نقيم الأعمال الأدبية وبالتالي يمكننا من إدراكها يكمن دائماً في امتلاك النص الأدبي للشفافية التي تجعله يرى من الداخل.. وإلى الداخل. فإذا وجد الإنسان الذي يمتلك هذا المقياس، واستطاع أن يفسر لنا معنى العمل الأدبي مهما كان معقداً، وإذا شهد بذلك عدد من النقاد بعد قيامهم بتحليله وترجمته، إذا تم كل ذلك فإن هذا العمل، مهما كان معقداً، هو بالتأكيد أثر أدبي. وهكذا، فإن دور النقاد يبدو خطيراً، ولذلك لابد أن يتحلى الناقد بالدراية والذوق والثقافة، ويجب أن يمتلك رصيداً ضخماً في هذا المجال، وهو كالمليونير الذي يمتلك رصيداً يستطيع أن

يسحب دينه عليه. إن أي أديب يفشل عند عملية التوصيل فلا يجد ناقداً أو إنساناً قادراً على شرحه، إن مثل هذا الأدب لا يعدو أكثر من كونه طلاسم وتهاويل ليست من الأدب بشيء. الأدب الحقيقي هو الأدب الذي يمتلك قدرة معينة على الانتقال من الحلقة الصغيرة إلى الحلقة الأوسع.. وأعني بها الجماهير.

أما المستوى الثالث للنقد فإنه يتبدى من خلال كون النقد تصور لأنواع أخرى من الأدب. وهو أيضاً تصور لمثل عليا لابد منها في الحياة الأدبية، فكما كان أفلاطون يحاكم أمور الواقع المادي من خلال مثاله الأعلى، كذلك فإن الناقد يتعامل مع الأعمال الأدبية على أساس المثال الأعلى الذي يمتلكه ويدعو إليه. والمثال الأعلى عند الناقد ضروري ليقيس به الآثار الأدبية على جنسها الأعلى، لأن الأدب مهما كان واقعياً فإنه يجنح إلى المثال. وعلى ضوء المستويات الثلاثة لعمل ناقد، نستطيع أن نبين كيف يمارس الناقد عمله كشارح للناس ما يظهر من أعمال أدبية، وكمنظر في دنيا الأدب، وكمبشر يدعو إلى الأفضل.

كوليت خوري: إن علاقتي مع الجماهير مبنية على أساس الحب المتبادل.. وكذلك من خلال اشتراكي معهم في حب الجمال، وفي كل الحالات التي جعلت مني كاتبة لا أدعي الذكاء الذي يفوق ذكاء الشعب ، فكل ما أعبر عنه وأبشر به لا يخرج عن كونه شعور وآمال متواجدة عند كل الناس، ومن هنا لا أميل مطلقاً إلى إتباع أسلوب معقد عندما أكتب، وأبحث دائماً عن توفير الأجواء المريحة للقراء، ولما كنت قارئة مجتهدة لا أحب الكتابات المتعبة، لذا أحب لغيري من القراء أن لا يواجه في كتاباتي التعب.

عادل أبو شنب: ما من شك أن كل كاتب يبحث عن جماهيره.. ويجب أن يتواجد مع كل أفراد المجتمع، وعلى ضوء تجربتي أدعو الكاتب إلى استخدام كافة الوسائل المتاحة من أجل الوصول إلى الجماهير. لقد كانت الطباعة قديماً هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل مع المجتمع، لكن الإذاعة والتلفزيون اليوم يعتبران وسيلتان تحققان الغاية بكفاءة أكبر، إن استخدام الوسائل الجديدة يجب أن يكون قائماً، ويجب أن يستفاد منه كما نستفيد من القلم أو الورق.

مازن النقيب: ما طرحه الأستاذ عادل صحيح وضروري، لكن استخدام الإذاعة والتلفزيون من قبل جميع الكتاب يبدو لي صعباً، لأسباب تعرفونها جميعاً وقاسيتم منها، وبهذه المناسبة أذكر مرة أن التلفزيون العربي في جمهورية مصر العربية طلب من المرحوم الدكتور طه حسين أن يقدم حديثاً يومياً، فلما سأل عميد الأدب العربي عن المبلغ الذي سيدفع له لقاء كل حديث، طمأنه المخرج قائلاً: سندفع للدكتور طه حسين أعلى سعر. وألح طه حسين على سؤاله، فم يجد المخرج حلاً فأجاب، خمسون جنيهاً في نصف ساعة. وفكر طه حسين ملياً ثم قال، وإذا رقصت راقصة نصف ساعة فكم تعطونها؟.. أجاب المخرج خمسماية جنية.. وهنا قال طه حسين لمحاوره: إذهب يا بني يبدو أن الاتفاق مستحيل، لأن التلفزيون يبحث عن راقصة ولا يبحث عن أديب. إذهب وسجل رقصه تفيد المثقفين.

إن ما جرى مع الأديب الكبير، لا يحمل ملامح النكتة بقدر ما هو صورة عن واقع الفهم السيء والقصور المذهل عند المسؤولين في هذه الأجهزة. ويكفي أن نلاحظ أن مطرباً جيداً يتقاضى عن حفلة فنية أضعاف ما يتقاضاه مفكر أو أديب طوال أعوام. إن

مسألة التواصل مع الجماهير وإنجاز علاقة حقيقية بين أوساط الأدباء من جهة وقطاعات الشعب من جهة أخرى لا يمكن تصورها إلا من خلال رؤية ذاتية تؤدي في النهاية إلى بروز الأنانية الأدبية على حساب المصلحة الجماهيرية، وهنا.. لابد أن تنطلق جميع أعمالنا على أساس خدمة الشعب بكل أمانة وإخلاص. وعدم فصل أنفسنا عن الجماهير لحظة واحدة، والأديب قبل غيره يتمتع بروح نكران الذات، ولابد أن يقدم التضحيات مادام يؤمن بالجماهير.

لقد استمعت باهتمام كبير إلى جميع الآراء التي طرحها السادة في هذا الحوار المفتوح، وتأكدت من توظيف رغبتهم في توظيف طاقاتهم لخدمة الجماهير الواسعة. لكن هناك بعض العاملين في مجال الأدب لم يدركوا بعد هذه الحقيقة. فرغم كونهم يعبرون بألسنتهم عن احترامهم للجماهير، إلا أن الواقع ينفي ذلك لكونهم يضعون أنفسهم في المكان الأول والجماهير في المكان الثاني، فما الذي يسعى إليه هؤلاء الأدباء غير الشهرة وحب الظهور؟..

أحب أن أشير إلى نقطة حساسة تتعلق بموضوع العلاقة بين الأدباء والجماهير، فقد درج بعض الأدباء على تناول المسائل البسيطة وراحوا يهولون وينفخون فيها. فإذا كانوا يعالجون الداء بهذا الأسلوب من أجل إنقاذ المريض.. فما مدى ما أنجزوه على هذا الصعيد؟.. لا شيء.

إن انزلاق بعض الأدباء إلى مستوى الأشياء الصغيرة لابد أن ينعكس على مستوى الأدب بشكل عام، إذ سيؤدي إلى هبوط أدبي ويكرس شكلاً من الأدب لايهدف إلا إلى تمجيد الذات .

أخيراً سنحاول الآن تلخيص الأفكار التي أفرزها الحوار حول علاقة الأديب بالجماهير، لقد أكد الجميع على ضرورة وجود علاقة واضحة بين الأديب والشعب. وحددوا شكلاً عضوياً لهذه العلاقة، يستمد حيويته من التفاعل الجدلي بين الأديب والشعب. وسمعنا تنديداً بالمواقف الفوقية التي يتخذها بعض الأدباء في علاقتهم مع الجماهير مؤكدين أن مثل هذه المواقف لا تؤدي إلى نمو الأدب بشكل صحي في الوسط الاجتماعي، هذا الوسط الذي يشكل هدف الأديب والفنان بالإضافة إلى أهدافه الأخرى.

وطالب البعض بضرورة فتح الآفاق أمام الأديب وتمكينه من وسائل التوصيل الحديثة، حتى نصل إلى أدب يستطيع أن يخلق الإيمان العميق بالوطن وترابه. وعلى ضوء الجهود التي يبذلها الأدباء على الصعيد الوطني طرح السؤال التالي:

مازن: ننتقل الآن إلى مسألة تعايشنا معها فأعطيناها وأعطتنا، ألا وهي حرب تشرين التحريرية. لقد طرحت هذه الحرب، من جملة ما طرحت، دور الأدب في الحرب (ماضياً وحاضراً)، (تراثاً ومعاصرة).. (نتاجاً آنياً وتخطيطاً مستقبلياً). فما دور الأدب في الحرب؟ وما قيمته؟ وهل هو أدب مناسبات؟..

كوليت خوري: صحيح أنه لا يوجد أدب بمعزل عن المناسبة، لكننا نرفض ذلك الشكل الذي درجوا على تسميته (بأدب المناسبات) والذي يتناول أحداثاً معينة لا تؤثر على مسار التاريخ الحضاري للإنسانية المناسبة الضخمة تخلق أدباً ضخماً.

شوقي بغدادي: إن الأديب الحقيقي لا يقبل (مناسبة) تفرض عليه من فوق والأديب يكره دروس الإملاء الخارجية إنه

بفعل الأحداث الوطنية أو الاجتماعية الإنسانية يستطيع أن يكتب ويعبر.

عادل أبو شنب: أستطيع أن أوضح ذلك من خلال تجربتي خلال حرب تشرين. أنا لم أجد ما أفعله خلال الحرب، فقد كان صوت الرصاصة أكبر تعبير وأفضل أدب. ولكن ما أن مضى على الحرب عدة أشهر حتى كتبت قصة تستمد أحداثها من هاجس الحرب، لم تحو هذه القصة أصوات المدافع، وإنما تحدثت عن رجلٍ ضرير لم تمنعه عاهته من إدراك ما يجري في هذه الحرب، كان نفيا لكل ما أدركه في الحروب السابقة بين العرب والصهيونية وأصبح على يقين بأن أمته تقف على أبواب النصر الذي أنتظره طويلاً. في هذا العمل نجد أن المناسبة هي التي كانت تلح علي وتعبر إلى أعماقي الداخلية، ولم أكتب إلا بعد شعوري بأني سأموت إذا لم أفعل. ولذلك فإن أي عمل يأتي من خلال فرض الإرادة الخارجية سيكون مخصياً حتماً.

مازن النقيب: إذا لم يكن هناك (أدب مناسبات) فما دور الأدب أيام الحرب؟..

محي الدين صبحي: لقد عشنا بعد نكسة حزيران حالة من المرارة لا توصف، وكاد شعبنا يتحطم بفعل الهزيمة، لكن الأدب لم يفقد إيمانه بالمستقبل، فرغم جراحات الأديب قام يضمد الجرح الأكبر، وراح يغني للنصر القادم. وهكذا جاء (أدب النكسة) ليؤدي دوره في التوعية وأتى يطلب من المقاتلين توحيد طاقاتهم، وعلمهم أن من واجبهم أن يعملوا لخوض غمار معركة حقيقية. وما أن أطل

السادس من تشرين حتى تأكدت ثقة العرب بأنفسهم فحاربوا وانتصروا.

كوليت خوري: أريد أن أشير إلى حقيقة لابد من إبرازها في هذا المجال، وهي أن الأدب يلعب دوره قبل الحرب وبعدها، لكنه لا يعمل شيئاً في لحظة اشتعالها، لأن الأديب قبل الحرب يمارس دور الهادي والمبشر. وبعد الحرب يدعو إلى الاستفادة من المعطيات الناجمة عنها، وما من مهمة له إبان احتدام المعارك إلا أن يلبس قميص الاستشهاد ويقاتل كسائر قطاعات الشعب.

عادل أبو شنب: لقد سار أدب ما بعد النكسة في خطين، فظهر أدب يعتبر النكسة كارثة ماحقة، وقام أدب يزرع بذور التفاؤل، والنمط الثاني من الأدب هو الذي خلق إنساننا الجديد، ولهذا من الأهمية بمكان أن نبشر بأسلوب الأدب المتفائل، هذا الأدب الذي ترجمت ملامحه معارك النصر في تشرين.

مازن: لقد أكدتم من خلال الرد على السؤال الأخير أن (أدب المناسبات) مرفوض. وإن أي عمل عظيم يستمد عظمته من الظروف العظيمة التي توجد. وقلتم بأن الأديب الحقيقي هو الذي يعمل بهدي من ضميره وغيرته الوطنية. وقيمتم أدب ما بعد النكسة بكل ما قدمه من عطاء، وهذا ما يجعلنا ننتقل لسؤالكم عن الأديب الفلسطيني. الأديب الفلسطيني لم يتصور (وطنه حقيبة) وكان يلح على تمسكه في صخور الوطن الفلسطيني حتى وهو يعيش في (منفاه الإجباري). بل راح يحمل تربة الوطن على ظهره فكان مسيحاً يجر في المنفى صليبه. فماذا أعطانا أديب الأرض المحتلة؟..

كوليت خوري: إن شعراء الأرض المحتلة هم أفضل الأدباء عطاء.. فقد استطاعوا شحن الجماهير وربطها إلى تراب الوطن المحتل. لقد تمسكوا بالأرض عندما غادرها الكثير.. أحبوها وغنوا لها، وكانوا يناضلون ولا يفقدون الأمل بعودة الأهل في يوم آت. لم يكن شعراء الأرض المحتلة أداة تواصل بين الجماهير والأرض بل كانوا يغنون الوطن الذي افتقده سكانه ويواسونه في أيام الاغتراب الكئيب.

عادل أبو شنب : لقد وقف شعراء الأرض المحتلة بشموخ وسط بحر الألم، وكانوا بحجم قضيتهم التي يناضلون من أجلها، وأغنوها بفكرهم كما لم يبخلوا في بذل أرواحهم في سبيلها.

شوقي بغدادي : بظهور هؤلاء الأدباء حدث انقلاب في الأدب العربي ولم يعد كلاماً جميلاً منمقاً بل صار سلوكاً حياتياً حقق الدمج الكلي بين ممارسات الأديب وفكره حتى بات من الصعب الفصل بينهما.

سهام ترجمان: لقد توحد الفدائي الفلسطيني مع الأدب الفلسطيني، وقاما معاً عبر البندقية والقلم برسم خارطة فلسطين العربية، حتى إن نضالهما المشترك شكل قناعة دولية تلمسها الآن.. هذه القناعة التي لا تقر بوجود الكيان الصهيوني.. وإنما تعترف بفلسطين، هذه الحقيقة التاريخية التي حاولت الصهيونية طمسها على مدى ثلاثين عماً. وأحب أن أنوه إلى جهود الدبلوماسيين العرب والطليعة الشابة العربية في الجامعات الأجنبية، فقد ساهم هؤلاء أيضاً في رسم خارطة فلسطين.

محمد الحريري: لقد خدم الشعر الصادر عن الشعراء الفلسطينيين الجيدين القضية العربية الفلسطينية مادياً ومعنوياً . فعلى صعيد المادة، أصبح كل عربي يتلمس المدن الفلسطينية ويتحسس المقدسات هناك خلال الملاحم والقصائد. وعلى الصعيد المعنوي، وقف الأدب الفلسطيني يعمق في ذاتنا الإيمان بالعودة والإيمان بالتحرير.

محي الدين صبحي: على ضوء الإنتاج القادم من أدباء الأرض المحتلة، أستطيع القول بأن وظيفة الشاعر أن يقول لا، أو يموت. وما نسمعه عند شعراء الأرض المحتلة هو بدون شك، جزء من سلسلة طويلة من الأنين. ولهذا فإن تفاعل الأمة العربية مع هؤلاء يعبر عن إخلاصها وتصميمها على شد جميع العرب إلى الجسد الواحد. إن طبيعة الشعر في كونه أكثر نزوعاً نحو الفلسفة من التاريخ، لذلك فإن شعراء الأرض المحتلة جسدوا (فلسطين العربية) كحقيقة فلسفية إلى جانب حقيقتها المادية، وهذا الجانب الفلسطيني هو الذي يوفر الأساس العقائدي للمقاتل العربي عندما يخوض الصراع مع الصهيونية.

مازن: ما كنا نريده من السؤال السابق أن نستوضح عن رأي معين منكم حول دور الأدباء في الأرض المحتلة. لأننا نعرف سلفاً هذا الموقف، لكننا طرحناه في هذه المناسبة كوسيلة تعبرون فيها عن مواقف الدعم والمساعدة والمساندة لهؤلاء الأدباء الصامدين باسم جميع الأدباء خارج الوطن العربي المحتل. والسؤال الأخير كان:

لما كنا نعيش الآن مع أيام ثورة الثامن من آذار في ذكراها المتجددة فماذا يود كل منكم أن يقول في هذه المناسبة؟

محي الدين صبحي: إنها مناسبة غالية أن تعيش جماهير شعبنا هذه الذكرى العظيمة لثورة كانت فاصلاً بين زمنين. وأجد الفرصة متاحة كي أرفع صوتي إلى رئيس الجمهورية **الرئيس حافظ الأسد** عبر هذا الحوار (مطالباً بإنصاف الأدباء وتكريمهم) أسوة بغيرهم ممن شملتهم عطاءات الثورة. إن الكلمة الجيدة.. كلمة العمار وكلمة الأمل هذه الكلمة لازالت تعامل على أهميتها معاملة غير منصفة، فمتى نرى الإنصاف يفرض كواقع ملموس في حياة الأدباء والعاملين في مجالات الفكر. وقد قال اوسكار وايلد (إن المسمار وحده هو الذي يعرف ثمن ما يفعل ولا يعرف القيمة سواه) ولهذا أتمنى، ونحن على أعتاب عام جديد من عمر الثورة أن تتحقق آمال الأدباء والمفكرين.

شوقي بغدادي: وأحب أن أؤكد على أقوال الزميل محي الدين، وأقول، لما كنا نعيش في مجتمع اشتراكي.. وإن هذا المجتمع يؤمن بتقديم المكافآت لكل جهد بما يساوي هذا الجهد، ولما كان الجهد الفكري هو جهد عظيم يعترف به المجتمع، فمن المفروض أن يحصل العامل في هذا الميدان على مكافأة تناسب إبداعه. ولكني في ذات الوقت لا أصر على ذلك، وإنما أرحب به.. فمن المفيد تشجيع الكتاب لنخلق عندهم المعنويات العالية كي ينجحوا في أداء مهامهم.

سهام ترجمان: في هذه المناسبة أتمنى على الرئيس حافظ الأسد أن يلتقي مع كافة الأدباء والمفكرين في ندوة موسعة، لأن الرئيس هو المفكر الأول، ولقاؤنا معه يكسبنا الفرصة كي نتعرف عن قرب على أفكاره السديدة. نحن نرفض أن نتعرف على أفكار الرئيس من خلال ما ينقله لنا الأوصياء والموظفون، نريد منه جلسة واحدة نعبر فيها عن آرائنا وأمانينا وتطلعنا. كما عود القطاعات

الاجتماعية الأخرى على ذلك. إن لقائنا مع الرئيس لا يخرج عن كونه جزءاً من الطموح المهني، فنحن الذين نحمل الأقلام لابد أن نكون على معرفة وقرب من الخط السياسي لأننا نحمل مرآة الفترة السياسية التي يمر بها الوطن وبالتالي لدينا التزامات كي نعبر عن معركة الوطن العربي أمام الجماهير العربية الواسعة.

كوليت خوري: تأكيداً لما قالته الزميلة سهام ترجمان، أقول لكم بأن هذا أول حوار أُدعَ إليه، ولم أدع لمؤتمر أو ندوة في السابق.

ومع هذا فقد قدمت جهدي المتواضع ولم أبخل في تقديم اطلاعاتي ولكن أشعر بأنني لم اطلع بالشكل المطلوب من حامل القلم أن يطلع عليه. ولهذا فمن الضرورة أن توفر للأدباء والكتاب الفرص اللازمة.

مازن: وبانتهاء هذا الحوار نتمنى لمن لبوا الدعوة وشاركوا في هذا الحوار بأن يستمروا بالعطاء، وأن يؤكدوا باستمرار مع كل الأدباء الآخرين دور الأديب العربي في بناء المستقبل الذي تنشده الأمة العربية وصولاً إلى الأفضل والأعظم.

اننا نعشق الحرية ونريدها لنا ولغيرنا

الرئيس حافظ الأسد



صدر للمؤلف

• أسد وإرادة شعب	سياسي
• ماذا يجري في لبنان	سياسي
• ماذا يجري في العراق	سياسي
• لماذا الوحدة العربية	سياسي
• عصر الخوف	سياسي
• القنبلة الموقوتة والاستيطان	سياسي
• من سجننا نتحدث إليكم	دراسة أدبية
• أحلى كلام الحب	دراسة أدبية
• خواطر أولاد العشرين	خواطر
• زوجة بلا زوج	قصة
• مذكرات مذيع	قصص
• العيون الضاحكة	شعر
• نعم إني أحبه	شعر
• علميني كيف أحب	شعر
• صرخات ثائرة	شعر
• الجرح والهوية	شعر
• قصص للأطفال	

تحت الطبع :

• أفكار تحت الأضواء	سياسي
• لحظات للتفكير	سياسي
• حروف لها أظافر	خواطر
• من المغرور	شـعـر



هذا الكتاب

أربعون عاماً ويزيد قضيتها في حقول الإعلام والثقافة والفنون والسياسية حيث عملت صحفياً وكاتباً وإذاعياً في دول عربية متعددة.

قرأت الكثير وسمعت الكثير، والتقيت بالكثير من صناع الفكر والسياسة والأدب والفنون. وأصبح لزاماً علي أن أكون شاهداً ومتفاعلاً مع هؤلاء، أنقل بكل دقة وأمانة تلك المرحلة الزمنية من عمر أمتنا العربية وبكل ما فيها من هزيمة أو انتصارات، وفي أماكن كتب لي أن أنتقل فيها بين المتلقي والشاهد والناقد، وأن ألتقي مع عمالقة أمتنا في ساحة الإبداع والعطاء. إن تاريخ مرحلة من مراحل أمتنا العربية لا يولد من لاشيء، فالتاريخ في مكان ما وفي زمان ما هو خلاصة ما قلناه وما فعلناه وما غيرنا فيه، وما تغيرنا، ما أثرنا فيه وما تأثرنا وما تركناه من بصمات مادية ومعنوية وفي شتى أشكالها وتسمياتها.

لقد التقيت العديد من الأخوة الذين تركوا بصمات سياسية وفكرية وأدبية في زمن هو زمن النهوض القومي والثوري، زمن التحدي لكل ما كان يدبر لأمتنا العربية من مؤامرات ومكائد وافتراءات.

حاورتهم في كل شيء وعن كل شيء لكي أضع الضوء على هؤلاء من خلال هذا الكتاب الذي بين يديك، وكل ما أتوخاه هو نقل الأمانة الفردية التي حملتها كفرد بصفتي الزميل الذي تابع كل شيء لتصبح أمانة جماعية يتم حملها للآخرين.

إن هؤلاء الذين قابلتهم لديهم كل العطاء وكل التجربة وكل الإيمان بالوطن الذي نحب.

لنقرأ معا ما قالوه فإن لديهم الكثير وأنت لديك حرية الالتقاط والفرز.

مازن

حـــوار مـــع هـــؤلاء

مــــازن النقيـــــب

عبد الله السلال	رئيس جمهورية اليمن
أحمد الشقيري	رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
أكرم ديري	وزير سوري
صلاح خلف	عضو اللجنة المركزية لحركة فتح
أحمد حنيدي	وزير سوري
عبد الله جزيلان	نائب رئيس وزراء اليمن
زهير محسن	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير
عبد القادر حاتم	نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الإعلام المصري
خالد الحسن	عضو اللجنة المركزية لحركة فتح
كلوفيس مقصود	مفكر وسياسي عربي

وفيق الطيبي	مفكر وصحافي عربي
عصام القاضي	عضو القيادة القومية الأمين القطري الفلسطيني لحزب البعث قائد الصاعقة
أحمد سعيد	مدير إذاعة صوت العرب
محمود درويش	شاعر عربي
صلاح عبد الصبور	شاعر عربي
راشد حسين	شاعر عربي
محمد الجيار	شاعر عربي
هارون هاشم رشيد	شاعر عربي
فاروق شوشه	شاعر عربي
سليمان فياض	أديب عربي
شوقي بغدادي	شاعر عربي
كوليت خوري	أديبة عربية
محمد الحريري	شاعر عربي
محي الدين صبحي	أديب عربي
سهام ترجمان	أديبة عربية
عادل أبو شنب	أديب عربي